ديزيره سقال

الأعمال الجديدة الكاملة

الجزء الثاني

٢٠١٨

ديزيره سقال

أصداء وألوان

٢٠١٨

القصيدة ١

(إلى ديزيره سقال)

...ثمّ يَبدأُ الصَّمْتُ بالتّداعي،
وَيبدَأُ الشّكلُ بالتداعي،
وَيَبدأُ التّداعي...

غيرَ أنّ هذا الهواءَ الإهلليليجيّ يحاصرُ العصرَ، ينثقبُ البرْدُ، ينطرحُ البحرُ على الشَرَمِ، يبدأُ الحصارُ/

هَلْ

يمسحُ

الماءُ

لونَ

ٱلماءِ؟

هكذا تبدأُ القصيدةُ، وبعضُ البُثورُ تخرجُ من دمِ العصرِ، بعضُ الأسمالِ من عينيهِ؛ بَيدَ أنّكَ تَسألُ عن

حدودِ الرَّجْعِ، تسألُ عن بعضِ الأليافِ، تسألُ/
وَجهكَ ظامئٌ/ هلْ يصيرُ البَرْدُ ترْجمانَ اللونِ؟

لِهَيْأَتكَ شَكلٌ يمسخُ الشكلَ،
للشمسِ عطشٌ.
من أينَ تبدأُ عندما يصيرُ الشرقُ ممحاةً؟
وجهُكَ ظامئٌ/ هلْ يصيرُ البردُ ترْجمانَ اللونِ؟

بردُ التاجِ
يلبسُ الوقيعةَ العمياء.

الأرضُ مِنخَلٌ
والشمسُ قرصٌ منَ الرّصاصِ –
هلْ يبدأُ آدمُ؟

القصيدةُ تكتبُ نفسَها – تسألُ عنِ الغَرقِ بينَ الماءِ ومجرى الماءِ، تَمورُ في النورِ الإهليليجيِّ، يحاصرُها العدمُ – هل تدخلُ الأرضُ في جِلْدِ الضَّبِّ؟

تتنفّسُ في الحدِّ الملاصِقِ للعدمِ، في صدَفَةِ الانتظارِ. تلتقطُكَ الجوامحُ. يبدأُ بكَ تَصَدُّعُ الشيءِ. ينتهي بكَ الشَرمُ؛ بَيْدَ أنّكَ لا تسكنُ في الانفصالِ.

وجهُكَ بقيّة تحترق،

انحدارٌ صوبَ اللهِ!

ينشطرُ في جِلْدِكَ اللونُ. قبلَ الميلادِ بِبَعْضِ رمادٍ تمرُّ زواياكَ المنحنيةُ. تخرجُ من الصّدى رَطِبًا، مُمَدَّدًا كالقِثّاءِ. يَصِلُ إليكَ الصّدى. يلتهمكَ. تَتَكَوْكَب. تَتَقَلْسَى. تُعود.

تدخلُ

شيئًا

فشيئًا

حيثُ

ينشطرُ

في جِلْدِكَ اللون...

قَلعةٌ منَ الرّكامِ –

تتحَلّقُ حولكَ الوجوهُ في آخرِ الشّفيرِ الّذي يرضعُ الأشكالَ المتدافِعةَ. يسّاقطُ فيكَ كَرَزٌ وَخَوْخٌ وبعضُ حلمٍ... تَتَكَوكَبُ المدينةُ. تبدأُ الأشكالُ:

١ – **جليل حيدر** يكشطُ الضوءَ عن نعلَيْه.

٢ – **رامز عَوَض** يُجَنُّ في خرائطِ الانتحارِ.

٣ – **يولا فَرّان** تحملُ حرارةَ الظِّلِّ في أبجديّةِ الدخولِ الجديدِ.

٤ – **جيلبير زَبّال** يبدأُ أُقنومَ المحالِ رابِضًا بلَوحَي موسى .

غَيرَ أنّكَ تتخطّى الأشكالَ مُنحدرًا في هبوطٍ مُضيءٍ، يا الضاربَ في جذورِ الليلِ، حيثُ لا لوحَ إلاّ مَقرونٌ برعشةِ الهوّةِ.

قلعةٌ منَ الرّخامِ –
تسألُ عن الفرقِ بينَ الماءِ ومجرى الماءِ.

تخرجُ لحظةً من القصيدةِ وهيَ تكتبُ نفسَها، وتدخلُ بحّةً غريبةً. لكنّكَ فيما تبحثُ عن صوتٍ تتعثّرُ بالأسمالِ. ترى غيومًا في ضبابِ الأقداحِ. ترى في الخوفِ ضبابًا لرمالٍ تتسرّبُ – هل توقّفَ الزحفُ؟

تبقى لحظةً بينَ الحرفِ والحرفِ.
تبقى لحظةُ متأمِّلًا بعضَ الكوى.
تبقى لحظةً...
تراقبُ الظلَّ يطغى على غيابِ الشّمسِ –
ألشّمسُ قرصٌ منَ الرصاصِ
والقبيلةُ قبلةٌ دمويّةٌ.

برجٌ من الإعصارِ –
يعاودُكَ الإعصارُ. ترى قبّةً نحاسيّةً. ترى بكفيّا قبّةً نحاسيّةً فوقَها عشبٌ باهِتٌ. يدخلُ لونُها المرآةَ. يخرجُ...
تموتُ معًا وتولَدُ معًا.
غيرَ أنّكَ
تبقى في مدارِ القبلةِ الدمويّةِ.

كنتَ تسمعُ نِداءً (عاشقٌ أو معشوقٌ؟) لكنّكَ لا ترى. حولَكَ تُراثٌ جائعٌ ينهضُ.

تتخثّرُ الوجوهُ. تعاودُكَ الأشكالُ:

١ – **ماري غ**... تسيرُ على حافّةِ العمرِ اليابسِ (هل تموتُ؟)

٢ – **جوزف سقّال** عصفورٌ يزهو في ضبابِ الوطنِ.

٣ – **الياس لحّود** "مشاهدُ" مُتكسّرةٌ وجنوبٌ يبكي.

٤ – **ديزيره سقّال** بريقٌ يتخبّطُ بينَ الدمعةِ والدمعةِ.

٥ – **ليلى** جوقةٌ ملائكيّةٌ تترنّمُ.

٦ – **رولان سقّال** وجهٌ ضيّعَ الفردوسَ وانْهارَ في فراغٍ حالمٍ.

يُعاودكَ النداءُ لكنّكَ لا ترى. يعلو زئبقُ الغطاءِ.
تنتهبُكَ "الحربُ". تطفرُ بيروتُ من هاويةِ الدموعِ.
أرى عينيكَ شاشاتٍ منَ البريقِ.
أرى فضاءَ وجهِكَ سديمًا.
تفتحُ جناحَيكَ وتهجمُ...

ألمهرّجُ يَبْقُرُ الرؤيا .
تتساءَلُ:

هلْ
يمسحُ
الماءُ
لونَ
ٱلماءِ؟

تتكسّرُ. تَتَكَوكَبُ. تعودُ.
غيرَ أنّكَ تخرجُ منَ الأمرِ الواحدِ.

تولدُ معًا وتموتُ معًا.
تموتُ معًا وتولدُ معًا.
وحولَكَ كابوسٌ منَ الجِياعِ.

هَكذا تكتبُ القصيدةُ نفسَها.
هكذا تصبحُ العاشقَ والمعشوقَ.
وفي خِضَمِّ البَهجَةِ، حينَ يتلاشى اللسانُ في فراديسِ الكلامِ، تنتظرُ. يتغلّبُ عليكَ التَوحيدُ.
وتبقى حولكَ الأرضُ
ماءً
ومجرى ماءٍ.
وتبقى حولكَ الأرضُ
رعدًا يمتصُّ الندى وينثُرُ الرحيقَ...

(١٣ - ٩ - ١٩٨١)

القصيدة ٢

(إلى ديزيره سقال)

– ١ –

يخرجُ من ذاتِهِ لِيَراها.
يتنقّلُ، بِلا جسدٍ، بينَ الأشياءِ/
يتّحِدُ بها/ يلبَسُها/
يَذوقُ لونَها ويسمعُ ضجيجَ صمتِها
وصمتَ حركتِها/
وفي كلِّ شيءٍ
يتركُ ذاتَه ويرحلُ.

لكنّهُ،
بينَ الفَيْنَةِ والفَيْنَةِ،
يطيرُ فوقَ ذاتِهِ

ليُشرِقَ عليها كإلهٍ.

وعندَما يسترجعُ نفسَه
ويعودُ إليهِ
تضيقُ الرؤيا شيئًا فشيئًا
ويتّسعُ هو.

- ٢ -

يسكنُ في شوارعِ الجسدِ وتارةً في سماءِ الروحِ؛
ولكنّه بينهما مشدودٌ كالخيطِ،
واسعٌ كالعبارةِ.
يَتحرّكُ بحذَرٍ كمَنْ يمشي واثقًا على حدِّ السيفِ، أَوْ كَمِثْلِ بهلوانٍ يقفزُ على حَبْلٍ ولا يخافُ/ يحتوي كلَّ شيءٍ تحتَ جِلْدِهِ: الشوارعَ، السياراتِ،

الأرضَ، السماءَ، الشجرَ، الحبَّ، والبكاءَ/ يحتوي كلَّ شيءٍ ولا يَنِي يطلبُ أكثرَ، بإلحاحٍ يطلبُ أكثرَ/

يَستبدُّ به الطمعُ:

طمعٌ كالحبِّ العارمِ،

طمعٌ كالوجْدِ،

طمعٌ كالمجامعةِ الرقيقةِ،

طمعٌ كالقبلةِ الأولى،

طمعٌ كالنارِ كاللهيبِ،

طمعٌ كاللسعةِ تُخرجُ منَ الفردوسِ،

طمعٌ كفضولِ الاكتشافِ/

يستبدُّ بهِ الكشْفُ/

يرى ويسمعُ ويقولُ

وهو أشدُّ ارتعاشًا من ورقِ الخريفِ:

راءٍ كالذائبِ في عينِ الـ"هوَ".

سامعٌ كأذُنِ السماءِ ترقبُ الأرضَ،

قائلٌ كنطقِ الكلمةِ الأولى:
"كنْ – كوني"/
كانَ الكلامُ سِرَّه الأكبرَ
– والكلامُ جبَلُهُ الذي يحدّثُ فيه اللهَ،
يشاركُهُ خلقَهُ –
مِنْ غَيْرِ حِجابٍ:
يورقُ فيهِ اللهُ/ يتّحدُ بهِ/ يتَساويان/ يتكسّران/
يتشظّيان/ ويبقيان واحِدَينِ متميّزَين:
أحدُهما في الأرضِ
والآخرُ في السماءِ/
يرى ويسمعُ ويقولُ...
ومعَ ذلكَ
لا صوتَ لهُ ولا لونَ
لا أذنَ ولا عَيْنَ –
ينحلُّ في ذاتِهِ بَصيرةً، روحًا، ولا شكلَ،

لا شيءَ سواه/

لا شيءَ في الأرضِ في السماءِ في الجهاتِ في الذاتِ في الآخرِ في الداخلِ والخارجِ... سواه/

كلُّ شيءٍ هوَ

كلُّ وقتٍ وكلُّ مكانٍ.

صَلْبٌ، ولكنّهُ بِلُيونةِ الماءِ.

مُتماسِكٌ، ويَسيلُ كالزّئبقِ.

ضاجٌّ، ولا حِسَّ فيه كالصمتِ.

لا شيءَ سِواه:

كلُّ ما فيه ليسَ له،

وكلُّ ما لَهُ غائبٌ عنهُ،

ولكنّه يملكُ كلَّ شيءٍ.

- ٣ -

"- القصيدةُ تتحرّكُ بي/ تُحَرّكني.

أيكونُ وجهي أشدَّ بَوحًا من المدادِ الّذي يسيلُ؟"

القصيدةُ تتحرّكُ –

ينزلُ إلى سراديبِها.

يطيرُ في سَمائها/ يتجمّعُ – يتشظّى/

يتكاثرُ في كلِّ زواياها:

أحصنةٌ تخرجُ من الغبارِ – تذوبُ فيهِ/ مدائنُ تتشكّلُ من ضبابٍ – تذوبُ فيهِ/ "صحراءُ" تمتدُّ منَ الرملِ على الوطنِ – تذوبُ فيهِ/ وجهُ عاشقةٍ يؤوبُ إلى معشوقِهِ – يذوبُ فيهِ/ صهيلُ فَجْرٍ يخرجُ على الظلامِ – يذوبُ فيهِ/

يتكاثرُ في زوايا القصيدةِ:

١ – **أدونيس**: مُرَكَّبٌ مُشِعٌّ يخترقُ ضلوعَه ويفتحُها على الأبجديّةِ.

٢ – **خليل حاوي**: رصاصةٌ تثِزُّ يستلهمُ من ضجَّتِها رؤيا جديدةً.

٣ – **محمود درويش**: نضالُ الفجرِ معَ ليلٍ بطولِ العالمِ.

٤ – **إيف بونفوا**: قراءةٌ لرؤيا وَثَنيّةٍ مِنْ أُفقٍ آخرَ.

٥ – **ميشال ديغي**: خروجٌ بُنْيَويٌّ إلى حقولِ الشِّعْرِ.

يتكاثرُ في زوايا القصيدةِ:
الوطنُ يهجسُ بهِ،
يسافرُ معهُ إلى حنينِ الجديدِ،

إلى فضاءٍ رائعٍ مليءٍ بالغضبِ.

"– القصيدةُ تتحرّكُ بي/ تُحَرِّكُني.
أيكونُ وجهي شكلًا للماءِ وهوَ يغسلُ الأرضَ؟"

بينَ الحرفِ والحرفِ/ بينَ الكلامِ والكلامِ
هواجسُ مُتَقَطّعةٌ كلَهاثِ العاشقين
كلذّةِ النشوةِ التي تكتشفُ الآخرَ –
لهاثٌ... لهاثٌ...
لهاثٌ صاعدٌ مِنْ أَلَقِ التكوينِ – هابطٌ في أَلَقِ التكوينِ،
لهاثٌ سائلٌ كالدمعةِ بينَ المفترَقِ والمفترَقِ، بينَ الدهشةِ والدهشةِ، بينَ الشَّهْقَةِ والشَّهْقَةِ،

لهاثٌ ذائبٌ في المدادِ الزئبقيِّ الّذي يكتبُ العالَمَ،

لهاثٌ خارجٌ من السِّرِّ، عائدٌ إلى السِّرِّ،

لهاثٌ هادِرٌ في الصمتِ – صامتٌ في الهديرِ،

لهاثٌ منكفِئٌ إلى الذاتِ – ممتدٌّ من الذاتِ إلى العالِمِ،

لهاثٌ مُنهَلٌّ في عرَقِ التعبِ، في تعبِ الرِّضى عن الكتابةِ،

لهاثٌ... لهاثٌ/

" – أيكونُ وجهي شكلًا للماء وهو يغسلُ الأرضَ؟"

– ٤ –

القصيدةُ تتحرّكُ/ تصنعُ نفسَها:

١ – **رامز عوض**: دهشةُ الضحكِ في تحدّي العالم المحبِط.

٢ – **روبير البيطار**: تواترٌ شعريٌّ بينَ الاكتشافِ والبَوْحِ.

٣ – **يولا فرّان**: حقلٌ من الضوء يطيرُ بعيني القصيدةِ.

٤ – **جمعية "تجاوز"**: أملٌ بالخروجِ إلى إشراقةِ الرؤيا.

كلُّ شيءٍ يتجمّعُ فيهِ
ولكنَّهُ يُبَدِّدُهُ ويتحرّكُ في كلِّ اتّجاهٍ.
الوطنُ سيفٌ يرحلُ في الجرحِ،
الوطنُ صدًى لهُ – أفقٌ من عصَبِهِ ومسمامِّهِ وجِلْدِهِ/
مِدادٌ يكتبُ –

يتكسّرُ في الحروفِ/ يتشظّى/ يعودُ ويلتئم...
مِدادٌ ويكتُبُ:
- الأرضُ امتدادٌ لهُ: جسدٌ وروحٌ.
- السماءُ مدًى لحركتِهِ.
- وحَدُّهُ اللانهايةُ.

- ٥ -

في الأنينِ الذي يَسْتديرُ كحبّةِ قمحٍ،
كوهْجٍ يلفُّ المدى والمتاهْ
يُفَتَّحُ وجهُكَ كي يتحرَّكَ في الحِبْرِ
أوْ
يكتبَ المستحيلَ الّذي عجَنَتْهُ يداكَ
وكوّنْتَ منهُ الجباهْ/
أيّها المتوحِّدُ في الحبرِ والحرفِ
عَبْرَ الرؤى والغيوبِ القَصِيَّهْ

وجهُكَ الآنَ محبرةٌ للزمانِ
وآهاتُكَ الأبجديَّهْ.

(١٦/ ٨/ ٢٠٠٥)

(**استدراك**: القصيدة مهداة أيضًا إلى:

- رامز عوض،
- منذر عامر،
- والآخرين...)

صديق

(إلى رامز عوض)

- ١ -

يخرجُ
من أُفُقِ الغرابةِ.
بَيْنَهُ وبينَ العالِمِ هُوّةٌ، صَحراءُ، فَضاءٌ واسعٌ، كونٌ/ ومَعَ ذلكَ
يَراهُ وَيقبضُ عليهِ.

يخرجُ
مِن فضاءٍ غريبٍ كالأَلَقِ/
ينكسرُ في المدادِ،
يُناوِرُ،

يستيقظُ مُرْهَقًا على ليلِ الأشياءِ؛
يكتبُها توهُّجًا،
شَظايا،
وأضغاثَ أحلامٍ.

لكنّهُ،
بينَ البُرْهَةِ والبُرْهَةِ،
ينظرُ حولَه
ولا يقرأُ إلا الغيابَ.

أيكفي هذا الضجيجُ العميقُ لِتَغْييرِ وَجْهِهِ؟
أَيَكفي هَمْسُ الرفضِ ليصيرَ الفضاءُ حِبْرًا للكتابةِ
والحلمُ أبجديّةً؟
أَيَكْفي هذا الضَّحِكُ الهاربُ مِنْ بينَ السُّطورِ
وهذا الحزْنُ المنْكَسرُ في الجرحِ،

الراحِلُ على سفُنِ الإحباطِ،
ليبدَأَ العالمُ معَه رحلةً إلى المدهشِ
أوْ
لِيخرجَ العالمُ من قِشرتِهِ
وَيستحِمَّ في ذاتِ الوَرَقِ؟
أَتَكفي هذه الكوابيسُ الراحلةُ
في أسَنِ الوطنِ المصدَّعِ
تَحُثُّ القلَمَ على الإبحارِ في مَوْجِ الوَرَقِ
حَيْثُ يجدُ هُوَ أفُقَهُ
وينسلخُ عَنْ ذاتِهِ
لِيَسْكنَ ذاتًا أُخْرى
مِنْ ضَبابٍ؟
أَيُّها النّازلُ مِنْ أُفُقِ الغَرابةِ المضيئةِ،
ٱلصاعِدُ إلى ضَعضَعَةِ الجحيمِ،
أَيُّها المنعزِلُ في حدودِ الحلمِ،

ٱلمسكونُ بالدهشةِ،
ٱلخارجُ من التراكُمِ إلى إشعاعِ الفَرادَة،
أَيُّها النازلُ مِنْ جحيمِ اللهِ
إلى سُكونِكَ،
تَألَّقْ في ثُرَيّاتِ الوَحْيِ الضائعِ،
وخُطَّ للعالمِ إطارًا ذهبيًّا
لِرِوايتِكَ الماسِيَّةِ الّتي لم تُكتَبْ.

– ٢ –

بينَ المدى الصارخِ والذاتِ المضطربةِ حَتّى الانْفجارِ،
بينَ العقيدةِ المكتنِزَة والفكرِ الفارغِ إلاّ مِنْ ذاتِهِ،
بينَ العقلِ الَّذي يَبْني والرَّفضِ الذي يُخَرِّبُ
يَتَمدّدُ وجهُكَ
واسعًا كالصحراءِ،
ضَيِّقًا كَخرْمِ الإبرةِ.

كُنْتَ تلتمُّ خارجَ الدّنيا،
تَحشدُ ذاتَكَ كَحقلٍ مِنَ السَّرْوِ
أَوْ
كَحزْمةٍ مِنْ سنابِلِ القمْحِ
وَتهاجمُ الواقعَ/
كانَ بَيْنَكَ وبينَ انحناءاتِ الضَّوْءِ
كُلُّ هذا الألَقِ
وكُلُّ كُلُّ هذا البريقِ.

إذنْ
لماذا، أَيُّها المرتمي بأحضانِ الغرابةِ،
أَيُها المستقِرُّ في عينِ الدّهشةِ،
لماذا
تخلعُ جَسدَكَ
وتُحاذي بخطْوِكَ الهواءَ

حينَ يجفُّ العالمُ كالحَطَبِ،
حينَ ينبسطُ الكلامُ كَلِسانِ الصَّحْراءِ،
حينَ يَتَخثَّرُ الحِبْرُ عَبْرَ ضِفافِ القَريحةِ،
وَتَغيبُ...؟

لماذا
تُصَدِّعُ الهواءَ في مُرورِكَ العارِمِ
وتَنبسطُ كالرايةِ في إشراقةِ الحلمِ،
تفتحُ نفسَكَ على تألُّقِ المجهولِ
وتغيبُ...؟

لماذا
أَيُها الهاربُ من ذاتِكَ،
ٱلمشتاقُ إلى ذاتِكَ،
لماذا

تَحُسُّنا بحنينكَ الثّاقبِ،
تُطْلِقُنا كالألعابِ الناريّةِ
في سماءِ أقاصيصِكَ المنخَطِفَةِ
وتغيبُ...؟

- ٣ -

وجهُكَ تألُّقُ السرابِ
في صحراءِ الارتواءِ القاحِلِ.

وجهُكَ الجرحُ الممتدُّ
في جحيمِ قلوبِنا.

وجهُكَ الأنينُ الذاهِلُ
في جسدِ الواقعِ الثقيلِ.

وجهُكَ الطَّعْنةُ
على شفيرِ الجراحِ الأخيرةِ.

(أينَ وجهُكَ؟)
كنتَ تَصْطَبِغُ بالحلمِ،
تَتَوتّرُ عَبْرَ سديمِ تَوْقِكَ الطافِرِ،
ويبدأُ العالمُ:

- **تروتسكي**: تألُّقُ الفكرِ عَبْرَ أَرْضٍ مِنْ فَراغٍ.
- **هاني الراهب**: مِدادٌ أسودُ وروايةٌ لم تُنجَزْ.
- **نجوى يمّين**: طعنةٌ رائعةٌ وموسيقى مِنْ أَثيرٍ غامضٍ.
- **رامز عوض**: تَشَتُّتٌ بينَ فكرٍ يَتلاشى وإبداعٍ مِنَ الذاتِ يَتَخطّى.

كلُّ ما حولَكَ يميعُ/ ينجذرُ في مِدادِكَ.

تُخرجُه من عَصَبِكَ،
مِنْ عَينيكَ الرُّؤْيَوِيَّتينِ.
تَتألّقُ فيهِ – يتألَّقُ بِكَ
ثمَّ
يتلاشى عَبْرَ الضِّحكةِ الكبيرةِ.

أينَ وجهُكَ؟
أيُّها الذاهلُ حتّى الغيابِ،
أيُّها الخارجُ مِنْ مَدى الحبرِ ورائحةِ الوَرَقِ،
أَيْنَ وَجْهُكَ؟

– ٤ –

لا شيءَ سِواكَ
في هذا المدى المضَعَضَعِ حتّى الأُفولِ،
في هذا الأُفقِ الصَّحراءِ يخرجُ مِنْ أَعيُنِنا.

لا شيءَ سِواكَ في هذا التألُّقِ المؤْلِمِ
والعالِمِ المنْسابِ مِنْ بينِ أَصابعِنا كَالرَّمْلِ.

لا شيءَ سِواكَ في هذا الواقعِ المشَظّى
تحتَ مَسامِّ الحلمِ.

لا شيءَ سِواكَ
في جَسَدِ الكِتابَةِ القاحِلِ
وَفِكْرٍ يَسْقُطُ تحتَ أَرْجُلِ الحَقيقةِ.

ولكنْ
حينَ تَنْكسرُ الدَّهشةُ الجامِحَةُ
تأوي أَنتَ إلى ذاتِكَ المنفتِحةِ
وَتَعْزِلُ الحُلمَ الطويلَ...

(١٧ – ١٨/ ٨/ ٢٠٠٥)

مرآة لجليل حيدر

عِنْدَما تَسْتكينُ إلى الذّاتِ
لَوْنًا لمرآةِ جوعٍ
وَتَرْقُصُ حَوْلَ حُطامِ الزّوايا
تُعايِنُ أَرْضًا مِنَ الإِمْتِدادِ
وَتَتْرُكُ جوعَكَ شَهْوَةَ خَسْفٍ
تُرَجِّعُ بينَ المرايا...

الغائب

(أو قصيدة نورمان دياب)

تَغيبُ...
وَتَتركُ في القَلْبِ بَسمَتَكَ الوارِفَهْ...
تغيبُ...
كأنَّ الغيابَ رحيلٌ...
وجرحٌ عميقٌ بخاصِرةِ العاصِفَهْ...
تغيبُ...
وتترُكُ فينا
هدوءًا عميقًا
وأَحلامَ كونٍ جديدْ...
وأَنتَ الذي قلْتَ:
"أترُكُ هذا الإلَهَ لكُمْ
فاترُكوني لِحالي..."

تلَحَّفْتَ قلبَ الإلهِ، صديقي،
وعانقْتَهُ اليومَ هذا العِناقَ الشديدْ...

***

تَغيبُ...
وَأنتَ حُضورٌ سَحيقٌ بقلبِ الجميعِ،
ووجهُكَ قَوْسُ قُزَحْ...
فكيفَ، إذا لم تكنْ حاضِرًا،
يَنسُلُ الحاضرُ المستحيلُ
حدودَ الفرَحْ؟
وكيفَ يُواريكَ عنّا ظَلامٌ
وَقلبُكَ أنتَ ضِياءٌ... ضياءْ...
وأحلامُكَ الواسِعاتُ تُصَيِّرُ هذا المدى
ضَيِّقًا... ضَيِّقًا...
وتُجدِّدُ رَسْمَ تُخومِ الفضاءْ...

ويَنكسِرُ القَدَرُ المتهَدِّلُ بيني وبينَكَ...
يَعوي الزمانُ صغيرًا... صغيرًا...
لأنَّ القَضاءَ تكَسَّرَ فِيَّ وفيكَ —
فبِئسَ القَضاءْ!
تخَطّيتَهُ ساخرًا، يا صديقي،
وحَمَّلْتَ بَسْمَةَ ثَغْرِكَ رفْضَ الشُموخِ،
وأَعْلَنْتَ صَوْتَكَ لَونَ الصَّفاءْ...
لَئِنْ كُنْتَ غِبْتَ بحقٍّ
فكلُّ القَصائدِ صمتٌ مميتٌ،
وكلُّ الأماني هَباءٌ... هباءْ...
وكيفَ تغيبُ وأنتَ رسَمْتَ بكلِّ فؤادٍ
بَخورَ الصَّفاءِ
وصِدْقَ النَّقاءِ،
وغَيَّرْتَ فينا حدودَ السماءْ؟

***

تغيبُ...
وَتَتْرُكُ هذا الوجودَ الصَّفيقْ...
وتُعلنُ، في صمتِكَ المطمئنِّ،
عُبورَ الكلامِ، وبدْءَ الطريقْ...
وتزرعُ فينا،
على وجهِكَ المتبسِّمِ،
بذرةَ رفضٍ عميقْ...
تركتَ الصلاةَ
لأنَّ الإلهَ الذي يعبُدونَ
غَدا ثابتًا... كَالجدارْ...
وصارَ تقاليدَ باليةً... واحتضارْ...
ورحتَ تُصَلّي
لربٍّ يجيءُ مِنَ النّارِ،
يسكُنُ في بصَماتِ الحريقْ،
ويَخرجُ منْ زَعْزَعِ الرَّفْضِ،

يُغويهِ تدميرُ هذا المدى
لِيعودَ أصيلاً
وتَسترجعَ الروحُ فيهِ الألَقْ،
تُصلّي لكونٍ سَمَا الصِدْقُ فيهِ
وكسَّرَ حَدَّ القلقْ...
وقالوا: نَسَيتَ الصلاةْ،
وَضَيَّعْتَ إيمانَكَ الثَرَّ بالكُفْرِ،
زَيَّنْت كُفرَكَ بالكلماتْ...!
ولم يعرفوا
أنَّ رفضَكَ صِدْقٌ،
وإيمانَكَ المستحيلَ ضِياءٌ رقيقٌ
يفيضُ على البَسَماتْ...
وأنّكَ كُنْت تصلّي
مَتى زلزلَ الرَّفْضُ هذا الرِّياءْ،
وَأَعلَنْتَ رفضَكَ للكبرياءْ...

وَأَعْلَنْتَ أنَّ المحبةَ فِعلٌ،
وأنَّ الإرادةَ تقهَرُ حَتْمَ القضاءْ...
وكُنْتَ ترى الصِدْقَ في صَمْتِكَ المتجلّي،
وَيفتُنُكَ الرفضُ،
يفتُنُكَ الصِدْقُ
في وجهِ هذا العَماءْ...
وأنتَ بصِدْقِكَ
غَيّرْتَ فينا حُدودَ السماءْ...

***

يقولونَ: غِبْتَ...
وما عادَ قلبُكَ ينبِضُ،
ما عدْتَ تسْمعُ إلا السُّكونْ...
يقولونَ: إنّا سَنشتاقُ صوتَكَ،
نَشتاقُ رفضَكَ،

نَشتاقُ بسمَتَكَ الساخِرَهْ
ووقْعَ خُطاكَ بظلِّ "تَجاوُزَ" مَعْنا،
ولفْظتَكَ الساخِرَهْ...
ولكنْ،
لماذا، إذا اجتمعَ اثنانِ مِنّا،
رأيناكَ ثالثَنا في ٱمتِدادِ الفُتونْ؟
وإنْ قيلَ شِعرٌ رأيناكَ تَقرأُ،
إنْ حضرَ السامِرونَ رأيناكَ تَحضُرُ،
إنْ نبَضَ القلبُ حُبًّا
رأيناكَ بالحُبِّ تَغسِلُ وجهَ الشُّجونْ؟
فكيفَ تغيبُ
وأنتَ أشدُّ حضورًا مِنَ الحاضرينَ،
ووجهُكَ مُنْحَفِرٌ في القُلوبِ...
جَميعِ القلوبِ...
وكيفَ تغيبُ، صديقي،

وأنتَ حضورُ الأماني الشَّريدَهْ؟

وكيفَ تغيبُ

وقد كنْتَ أنتَ بهاءَ الحضورِ

وأنتَ القصيدَهْ؟

١٠/ ٥/ ٢٠١٤

باب الحلم

(إلى روبير البيطار)

تُغَمِّسُ قلبَكَ بالشِعرِ...
حتّى الضِّياءْ...
وتُبحِرُ في الحُلُمِ المستَحِيلِ
إلى آخِرِ الكَوْنِ،
تَكْسو حُقولَ الحروفِ بِلونِ الصَفاءْ.
يُعَمِّدُكَ الحرْفُ بالضَّوْءِ،
تُشْرِقُ...
ثُمَّ تَذوبُ علَى غَمْغَماتِ القَمَرْ،
وَتَزْرَعُ أَحلامَكَ التائِهاتِ
بأَرْضِ السَفَرْ
لِيُزهِرَ فيها السَّناءْ
وِيغدُوَ قلبُكَ أَنْتَ الثَّمرْ...

***

وتَقطُفُ منْ قلبِكَ الشِّعْرَ،
تَعجُنُهُ بذُهولِكَ،
تَخبُزُهُ بضَميرِكَ،
يَخرجُ منْكَ رَغيفًا
أشَدَّ ٱرتعاشًا منَ الضَّوْءِ
وهْوَ يُلامِسُ قَلْبَ السَّماءْ...
وتَرقُصُ كالطِفلِ
حِينَ يُؤَاتِيكَ وَحْيُ القصيدةِ،
تُنسيكَ هَذا الوجودَ العَماءْ...
ويُشْعِلُكَ الحَرْفُ وَهْجًا
تَبَيَّضَ بالوَحْيِ،
تَحْمِلُكَ الأسْئِلَهْ
إلى طَرَفِ الكوْنِ
خارِجَ هَذي المنى الزائِلَهْ —
تَصيرُ إلهًا يَفيضُ وُجودًا،

ودُنْيا تَشِعُّ وُعودًا،
وبَرْقًا يُكَحِّلُ جَفْنَ الفَضاءْ،
وصَوْتًا يُلَوِّنُ هَمْسَ الإِباءْ،
وضِحْكةَ طِفْلٍ
تُخيطُ منَ الجُرْحِ لونَ بَهاءْ...

***

وتَكْبَرُ فيكَ "تَجاوُزُ"،
تَحْضُنُ صَوْتَكَ وَهْوَ يُعَزِّدُ بينَ القَوافي،
ويَحْمِلُكَ الشِّعْرُ خارِجَ هذا الوُجودِ،
وخارجَ هذي المَنافِي...
كذا كانَ في البَدْءِ...
والبَدْءُ ما زالَ يَقْطُرُ شِعرًا،
وما زالَ فيكَ وَفينا
رَحيلًا إلى حُلُمٍ

يتَمَدَّدُ دونَ ضِفافِ...
وما زِلْتَ... ما زِلْتَ في الأحْرُفِ الناعِسَهْ
تُذَوِّبُ ضَوءَ النُجومِ
على ورَقٍ من دَمٍ وعَصَبْ،
وتُغْوي الزمانَ...
فيَفْتَحُ لَحْظاتِهِ التاعِسَهْ
لِيَمْسَحَها بحُبورِ اللَهَبْ...
كَذا كانَ في البَدْءِ...
والبَدْءُ ما زالَ يَقْطُرُ شِعْرًا
ويَغرَقُ عَبْرَ مِدادِكَ
في ملَكوتِ العَجَبْ...

***

غريبٌ على أرْضِنا
ليسَ فيكَ سِواكَ...

وأَنْتَ تُصالِحُ بينَ السماءِ وبينَ الترابْ،
وتُعلِنُ قلبَكَ أُنشودَةً
تَتَواتَرُ بينَ انْفِلاتِ المدى والسَرابْ،
وتُشْرِقُ حينًا إِذا هَبَطَ الليلُ،
تَأْرَقُ حينَ يُلَفُّ بها الوَحْيُ،
تَنْزِلُ بَيْنَ الحروفِ قَصيدَهْ،
وتَهْجرُ هذا الفضاءَ الّذي أَلِفَ الناسَ،
تَهْجُرُ جسْمَكَ وَهْوَ دَمٌ وعِظامْ
لِتَغْدُوَ أَنْتَ جُسومًا عَديدَهْ
يُرَنِّحُها أَلَقُ الشِعْرِ —
تُقْبلُ... ترقُصُ حينَ تَشاءْ...
وتَهْوى وتَكْرَهُ حينَ تَشاءْ...
وتَخْلُقُ... تَهْدُمُ حينَ تَشاءْ...
وتَنزِلُ في الكَوْنِ رُؤْيا جديدَهْ...
تَحوكُ القَصيدَةُ أَحْرُفَها فيكَ

شيئًا فشيئًا...
لِيَكْتُبَكَ الفَجرُ كلَّ نَهارٍ
فتَنْزِفَ عَيناكَ ضوءًا،
ويَنزِفَ قلبُكَ ضوءًا،
ويرفعَكَ الشِّعرُ نحوَ حُدودِ البَهاءْ...
كَأنَّ مِدادَكَ ليسَ مِدادَكَ،
لَيسَتْ حدودُ السَّماءِ سماءَكَ...
غَيَّرْتَ بالشِّعرِ وجهَ الوُجودِ...
ووجْهَ السَّماءْ!

***

هُنا... لَيْسَ فيكَ سِواكَ...
غريبٌ على أرضِنا
وقَريبٌ منَ القلبِ... حتّى التلاشي،
وفي القلبِ جَمرٌ، وغاباتُ أسئِلةٍ...

وَمُتونٌ تُوَثِّقُ نَبْضاتِهِ... وحواشي...
وفي القلبِ عِطرٌ... وورْدٌ...
وشمسٌ وظِلٌّ...
وكونٌ تَعَمَّرَ مثلَ السَّرابِ يُطِلُّ...
وتَبحَثُ عن أَلَقٍ في الغرابةِ،
تَبحثُ عنْ مستَحيلٍ يَهُلُّ...
تُذَوِّبُهُ في المِدادِ،
وترسمُ منهُ أَساطيرَ
في أحرفِ الضوءِ،
تَغْسِلُهُ برذاذِ القصيدةِ...
حتّى يصيرَ رذاذًا...
تُلوِّنُهُ برنينِ الفَرَحْ،
وتَغرُبُ في الشِعرِ،
تُشْرِقُ...
تُمطِرُ فوقَ الزُروعِ،

ويَنشُرُكَ الشِّعرُ قوسَ قُزَحْ...
وَتَبحَثُ عَنْكَ بِإشراقةِ الوَحْيِ،
لَكنّما غَيَّبَ الواقعُ المتَهَدِّلُ
قلبَكَ في نَثرِهِ،
واحْتواكَ الضبابُ متى عُدْتَ...
فانْشُرْ خَيالَكَ خَيمةَ شِعْرٍ،
وِسَمِّ الحضورَ القَضِيَّهْ،
وَهُبَّ خَفيفًا، يُها الحالِمُ المطمَئِنُّ،
لتَثْقُبَ واقِعَكَ الصَلْبَ بالكَلِماتِ السَنِيَّهْ
وترحَلَ في الحُلْمِ...
تَبقى القصيدةُ أَعراسَهُ الأَبَديَّهْ...
وتُعْلِنُ:
بالشِّعرِ نَملأُ أَيّامَنا الفارِغاتِ،
وبالشِّعرِ نرسمُ هذا الوُجودَ،
نُؤَبِّدُ لَحْظاتِهِ الزَمنِيَّهْ،

وبالشِّعرِ نُعْلِنُ عنْ قوّةِ الخَلْقِ،
تَغدو دِمانا مِدادًا،
ونَبْضُ الفؤادِ حروفًا،
وأحلامُنا الأبجديَّهْ...

زهر الغائب

(أو: قصيدة جورج غانم)

يقولونَ غِبْتَ
وأَشعَلْتَ لونَ الأسى
في ثيابِ البَقاءْ...
يقولونَ إنَّكَ غادَرْتَ
خَلْفَ حُدودِ الرجاءْ...
وفي مثلِ هَذي الهُنَيهاتِ تَرْنو إلَيْنا،
وفي لَحَظاتِ الصَّفاءِ
تُشاهِدُ ظِلَّكَ في مُقْلتَينا
وتَرْحَلُ...
في فرَحِ الحُبِّ
حينَ يَعودُ إلينا المساءْ.

***

وكُنتَ، إذا سَافرَتْ في رُؤَاكَ الحُروفُ،
تَرنَّمَ فيها المدَى وانفتَحْ
وسَافَرْتَ في الكَلِمَاتِ
لِتَرْسُمَ فِيكَ المحبّةُ زَهْرَ الفرَحْ
وتُزْهِرَ أَرْضُ الطُفولةِ
في مُهْجَةٍ من سَناءْ،
ويَهْمسَ فيكَ "نِداءُ البَعيدِ"
ليرْشَحَ بالطِيبِ رَجْعُ النداءْ —
فكَيفَ تَغيبُ
وما زِلْتُ أُبصِرُ وجهَكَ
يَزْهو على ظَهْرِ قَوْسِ قُزَحْ؟

***

وحتّى وأنتَ تُطِلُّ مِنَ الفَوْقِ
لا تَسْتَطيعُ فَكاكًا مِنَ الشِّعرِ

أو مِنْ قُيُودِ البَهاءْ،
ولا تَسْتَطيعُ التَوَحُّدَ في بُرْجِكَ المتعالي
لِأَنّكَ فينَا كَثِيرٌ
وأنَّكَ فينا تُغنّي الصَّفَاءْ،
وأنَّ "مَرايا الغُبارِ" ببَيْروتَ
تَمْسَحُ كُلَّ الجراحِ بزَيْتِ الطَهَارَهْ
وتَرْتَاحُ في لَحْنِكَ المريمِيِّ
جُفونُ العِبارَهْ...
فكيفَ تَغيبُ،
يُهَا الحاضِرُ المسْتقِرُّ بقلبي،
ووجهُكَ فينا نَشيدُ البَقاءْ؟

***

هوَ الوَقْتُ، والوَقْتُ لَيْسَ يُسَمّى...
ولكنّهُ يتسلَّلُ فِينَا كَلِصٍّ غَريبْ

ويَسْرقُنا في سُكوتٍ... بَطيئًا... بَطيئًا...
كأنَّ أصابعَهُ الماهِراتِ نَسيمُ عَليلٌ
تُخلِّفُ بَعدَ الرحيلِ
فراغًا عَجيبْ.
ونحنُ لُصُوصُ الحياةِ
نُحَاولُ أنْ نَسْرُقَ العُمُرَ المسْتَحيلا
ونُمسِكَ بالواقعِ العَبَثِيِّ
خَيالًا هَزِيلا
ولكنَّهُ يَتبَخَّرُ بَيْنَ أصَابعِنا
كدُخَانٍ يَغِيبْ...

***

فَكَيْفَ، إذًا، كُنْتَ في العُمْرِ
هذا البَقَاءَ الأَصِيلا؟
نَذُوبُ وتَبْقَى...

ونَنْحَتُ في الحُزْنِ آهاتِنَا
حينَ تَفْرَحُ أنتَ
وتَفْتَحُ فينا الحُبُورَ طويلًا... طويلا...
وتَرْسمُ بالشِّعرِ كونًا خُلودًا
يُزَغردُ فَوْقَ حُدُودِ السَّمَاءْ
ويَقْتَنِصُ الألَقَ المتفتِّحَ
عَبْرَ ضَميرِ البَهَاءْ
ونَنْسَى...
لِتَذْكُرَ أنَّكَ بالشِعْرِ
أَرَّخْتَ فينا حُضورًا
وغيَّرْتَ هذا الوُجودَ الذَّلِيلا...

***

يقولونَ غِبْتَ...
وأَشْعَلتَ لونَ الأَسَى

في ثِيابِ البقاءْ...
ولكِنَّ وَجْهَكَ في كلِّ زاويةٍ
يقرأُ الشِّعْرَ،
وَجْهَكَ في كُلِّ عَيْنٍ
يُوَشِّحُ تَرْتِيلةً في صَفاءْ،
وفي صَوْتِ أولادِكَ الناظِرينَ إِلَيْكا،
وفي وَجْهِ إِخْوَتِكَ القَلِقينَ علَيكَا...
فكَيفَ تَغيبُ، إِذًا،
وحُضُورُكَ يَكْسِرُ حَدَّ الفَناءْ؟

***

كانَ يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيقَ
ونُبصِرَ وَجْهَكَ بَيْنَ الوُجُوهِ يُحَدِّثُنا
أَوْ يُلامِسَ مَسْمَعَنا صَوْتُكَ المنتَشي
في غِناءِ القَصيدَهْ...

كانَ يُمكِنُ أَنْ تَعبُرَ اللَحظَةُ القاتِلَهْ

وتَبقى...

فَيَمْتَدَّ عُمرُكَ في سَنَواتٍ جَديدَهْ،

وتَضحَكَ مَعْنا...

وتَشْرَبَ كَأْسًا،

ويَبْسمَ ثَغرُكَ في الضِّحْكَةِ الماثِلَهْ.

كانَ يُمْكِنُ أَنْ يَستمِرَّ غِناؤُكَ

في غَمغَماتِ الزُّهورْ

ويَترُكَكَ الوقتُ أَكْثَرَ بينَ الحُضورْ...

ولَكِنْ...

لَوَ أَنَّكَ أَنْتَ بَقَيْتَ

لَما كانَ وجْهُ السَمَاءِ

تَزَيَّنَ بالشِّعْرِ

أَوْ هَزَجَتْ في قُلُوبِ مَلائِكَةِ الفَوْقِ

آيُ القَصيدَةِ

في مَهرَجانِ النُّشُورْ...
وَلَمَا ازْدانَ مَرْجُ الكِيانِ بزَهْرٍ جَديدٍ
فآلامُنا فِيكَ صَارَتْ زُهُورًا جديدَهْ...
أَيا أَيُّها الغائِبُ المستقِرُّ بقلبي،
لَوَ ٱنَّكَ أَنْتَ بَقَيْتَ
لَما ٱكتَمَلَ الشِعْرُ فيكَ
لأَنَّ غِيابَكَ صارَ القصِيدَهْ!

٢٠١٠ /٣ /٣١

كِتاب الوَقْت

- ١ -

نائِمٌ تَحْتَ جِلْدي
وَجِسْمِي هَباءْ...
يُطارِدُني الصَّمْتُ في دَهْشَتي
وَبُروجُ الكَلامِ نَوافيرُ ماءْ.
أَيُّها الوَقْتُ،
هَلْ تَنْزِلُ اليَوْمَ نحْوِي
وَتَجْلِسَ قُرْبِي تُحَدِّثُني؟
كَيْفَ أَنتَ عَلى مَلْعَبِ النَّجْمِ
أَوْ في سَدِيمِ الرَّحيلِ الَّذي
يَتَعَشَّقُ لَوْنَ البَهاءْ؟
كَيْفَ تَتْرُكُ خَطْواتِكَ الهادِئاتِ بِقَلْبي
وَأَنتَ شَرِيدٌ كَقافِلَةِ الرّيحِ؟

كُنْتَ تُظَلِّلُ وَجْهي بِجِلْدِكَ
وَهْوَ سَديمٌ
وَتَحْمِلُني مِنْ أَثيري
إِلى مِهْرَجانِ القَصيدةِ.
يا وَقْتُ،
لُمَّ خُطاكَ بِكَفّي
وَجَمِّعْ شُرودَكَ في عُمُري
هادِئًا كَخَريرِ المياهِ
وَمُسْتَوْثِقَ الخَطْوِ مِثْلَ عُيونِ القَضاءْ،
وَٱنْثُرِ الحَتْمَ في وَاقِعِي
ثُمَّ سَوِّ خُطاهُ بِهَسْهَسَةِ الحُلْمِ —
هَذَا دَلِيلِي
وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ لَوْنُ الحُروفِ
الَّتي تُشْبِهُ الماءَ،
يا وَقْتُ،

بَيْنِي وَبَيْنَ شُرودِكَ هَذا الفَضَاءْ
فَكُنِ الأَلَقَ المتَحَرِّكَ بَيْنَ رَنينِ الثَّوَاني
وَشُدَّ إِلَيْكَ غِطاءَ الحُروفِ
وَأَلْقِ عَلَى الشِّعْرِ هذا الغِطاءْ.

– ٢ –

حَائرٌ في كِياني
وَعَيناىَ صَارِيَةٌ وحُرُوفُ...
يَتَجَمَّعُ بَيْني وبَيْني المدَى
مِثْلَما يَتَجَمَّعُ مَاءٌ بِشِقَّي مَضيقٍ/
هُنا وَطَنٌ يَتَناقَضُ... حَتّى السَّكِينةِ...
في وَجهِهِ قَضَماتٌ
وفي قلْبِهِ صُفْرَةٌ وَخَريفُ.
وَهُنا غُرْبَةٌ
لَوْنُها كَانْسِلالِ الخَديعَةِ.

آهِ، أُغْلُقوا بابَ وَجهي عَلَيَّ،
وَنادُوا مَفاتِيحَكُمْ —
إِنَّني أَتْرُكُ اللَيْلَ يَسْتَعْرِضُ المسْأَلَهْ:
كُلَّمَا نَبَتَ الوَطَنُ المتَكَرِّرُ
غَطَّتْهُ صَحْراؤُهُ القاحِلَهْ.
كُلَّمَا ٱنْتَظَرَ الشَّعْبُ شَعْبًا لِتَسْكُنَ أَحْلامُهُ
صَدَّعَتْهُ الظُروفُ.
أَيُّها الوَقْتُ،
كيفَ تَرُدُّ إِلى الحُلْمِ أَضْواءَهُ
وَالظَّلامُ يَطوفُ؟

— ٣ —

يَنْسُجُ الوَقْتُ أَكْفانَهُ في عُروقي
وَتأْفُلُ في جِلْدِيَ الكَلِماتُ
ٱلَّتي سَرَقَتْ نَوْمَها.

تَنْسُجُ الرّيحُ بَيْني وَبَيْنَ الضَّجَرْ
لَوْنَها المتَفَتِّحَ —
يَخْرُجُ مِنْ نَومِهِ اللَوْنُ
ثُمَّ يُطَرِّزُ بَيْني وَبَيْنَ البَشَرْ
شَجَرَ الإِخْتلافِ.
هُنا في مَرايا الذُّهولِ الَّتي عَبْرَ ذاتي
أَراني وَحيدًا...
وَلَكِنَّني في ٱخْتِلافي كَبيرٌ
وَأَوْسَعُ منْ كَلِماتِ الرَّنينِ
ٱلَّتيَ خرَجَتْ من فَمِ الوَقْتِ.
كُلُّ حُرُوفِ الوَرَى سَفَرٌ
وَحُرُوفي تَوالَدُ في ذاتِيَ المسْتَكينَةِ
حَتّى التَوَتُّرِ...
يا وَقْتُ،
بَيْني وَبَيْنَكَ أُنشودةُ الصَّمْتِ،

بَيْني وَبَيْنَكَ هَذَا المدَى مِنْ كِيانِي
فَرُدَّ عَنِ الصَمْتِ ما عَمَّرَتْهُ الأَحاجي،
ورُدَّ رَنينَ المعاني
إِلى العَجَبِ البِكْرِ،
وَلْتَكُنِ الأَبْجدِيَّةُ هَمْسًا جَديدًا
لِكُنْهِ الوُجودِ الجَديدِ
وَبابًا إِلى الأَزَلِيّ
ٱلَّذي يَتَكَوَّرُ في شَكْلِها.
كُلُّ شَيْءٍ يُحَرِّكُ نَفْسَهُ نَحْوَكَ،
يا وَقْتُ،
يَبْدأُ مِنْكَ وَيَخرجُ مِنْكَ،
وَكُلُّ المدى ٱخْتَصَرَتْهُ ثَوانيكَ
إِلّا مَرَايا القَصيدَةِ في وَهْجِها المتَأَلِّقِ
خانَتْكَ...
وَٱبْتَعَدَتْ عَنْ مَداها الثَّواني

وَأَعادَتْ صِياغَةَ ما حَفَّرَتْهُ يَداكَ بِذاتي
وصِرْتَ ترى، من خِلالِ نَسيجِيَ، رُوحِي
فتَعْصاكَ... تَعصاكَ... حَتَّى الغِيابِ...
وتُقْعِي وَحيدًا عَلَى بَابِها
لا تُؤَثِّرُ فيهَا بَرَاثِنُكَ الطّائِشاتُ
وَلا زَعْقُكَ المتَواتِرُ...
يا شِعْرُ،
هَذا فَضاؤُكَ
فَٱلْعَبْ بِهِ خَارِجَ الوَقْتِ،
وَٱرْسُمْ لِذاتِي مَدَاها
كَأَنَّ لِرُوحِي ٱمْتِدادتِها
في نَسيجِ الأَماني،
وَٱسْكُبِ الوَقْتَ ضَوْعَ أَريجٍ
فَتَنْزَعَ عَنْهُ المهابَةَ،
وَٱحْفِرْ بِهِ أَبْجَدِيَّتَكَ المسْتَكينَةَ

فَوْقَ حُروفِ كِتابِهِ
تَسْتَنْزِلِ الغَيْبَ في لَفْظَةٍ واحِدَةْ.

أَيُّها الأَبَدُ المتَواتِرُ في الشِّعْرِ
عَبِّدْ دُروبَ الغَرابَةِ
بِاللُغَةِ الشّارِدَةْ.

أيار ٢٠١٠

مَرْيَمِيّتان

مريم

يا جَسَدًا مِن نورْ
يَتَهادى فَوْقَ حُقولِ بَخورْ،
يا جَسَدًا في كُلِّ الأَجْسادِ
يُحَوِّلُها عِطْرًا وَعَبيرَ زُهورْ،
يا لَوْنَ الفرَحِ الآتي
مِنْ فِرْدَوسِ الصَّلَواتْ،
يا عِشْقَ الرّوحِ المتَجَلّي
في كلِّ الأَشْياءِ
وفي كلِّ الهَمَساتْ...

في جَنَّتِكِ المسْبوكَةِ مِنْ لَوْنِ الطُّهْرِ وَرائِحَةِ العِشْقِ المتَجَلّي أَتَجَمَّعُ في ذاتي/ أَتَجَلّى، وَأَطيرُ إِلَيْكِ كَما يَحْنو الماءُ عَلى الضَّوءِ، أَنامُ بِهذا النّورِ المسْتَغْرِقِ، يا كُلَّ

الأَسْرارِ ٱجْتَمَعتْ في سِرٍّ، يا كُلَّ نِساءِ الأَرْضِ ٱلتَمَّتْ
في خَاطِرَةِ ٱمرأَةٍ، وَانْصَهَرَتْ حَقْلًا أَزْرَقَ مِنْ ضَوْءٍ،
أَوْ
مِنْ رائِحَةِ الضَّوْءِ...
بِجَنَّتِكِ المسْكوبَةِ داخِلَ جِسْمِ الفَرَحِ العاري
يَتَجَمَّعُ سِرُّ صَفاءِ الأَشْياءْ،
وَيَصيرُ رِداءْ
لِلدُّنْيا إِذْ تَتَجَلّى
أُغْنِيَّةَ حُبٍّ
تَنْبُتُ في كُلِّ الأَمْداءْ...

في جَنَّتِكِ المسْكوبَةِ داخِلَ جِسْمِ الفَرَحِ العاري
تَلْثُمُ جُرْحَ الدُّنْيا
شَفَتا "عَذْراءْ".

١٩٩٤

كتاب مريم

نورٌ مِنَ الأَعْلى يُهَوِّمُ أَزْرَقًا
وَيَصُبُّهُ أَرَجٌ تُوَشّيهِ النُّجومُ.
نورٌ عَلى نورٍ
وَفَجْرٌ عابِقٌ
تَزْهو بِأَزْرَقِهِ التُّخومُ،
وَالأَرْضُ تَلْبَسُ في الزَّمانِ المريَمِيِّ
وُرودَها وَأَريجَها،
وَيَطيرُ في هَمْسِ الصَّلاةِ عَبيرُها
زَهْوًا تُعانقُهُ الغُيومُ.
فاضَ الصَّفاءُ عَلى الثَّرى
وَتَمَدَّدَتْ هَمَساتُهُ في كُلِّ مَعْلَمْ،
وَانْزاحَتِ الأَضْواءُ
عَنْ أَلَقِ الصَّلاةِ وَعِطْرِها

لِتَكونَ... مَرْيَمْ!

***

وَتُؤَرِّخُ الزَّمَنَ الَّذي يَأْتي،
وَتَفْتَحُ لِلزَّمانِ زَمانَهُ
وَبِدايةَ التّاريخِ مِنْ تاريخِها المضْني.
بَتولٌ... إِنْ مَشَتْ
مَشَتِ الحُقولُ وَراءَها،
وَإِذا رَنَتْ لِلنّورِ شَعَّ بها الضِّياءُ
وَٱنْداحَ فَيْضُ الطُّهْرِ مِنْ صَلَواتِها
فَتَلَمَّسَتْهُ الأَرْضُ
وَارْتَعَشَ الفَضاءُ...
هَذا هُوَ الزَّمَنُ الجَديدُ:
يَكونُ ما سَيَكونُ —
عَهْدٌ مُسْتَجَدٌّ

بَيْنَ كُلِّ النّاسِ وَالأَعْلى
يُكرِّسُهُ الفِداءُ...
وَتَهيمُ في الصَّحْراءِ —
"هَذي نَخْلَةٌ... شُدّي إِلَيْكِ بجِذْعِها!"
قالَ الملاكُ،
وَشَقَّ أَطْباقَ السَّماءِ
حَمامَةٌ بَيْضاءُ.
فاضَ النُّورُ مِنْ أَعْلى —
"إِلَهي، كَيْفَ يَسْكُنُني جَنينُ
وَأَنا بَتولٌ لَمْ تمَسَّ يدي يَدا بَشَرٍ
وَلا عَبَرَتْ بِأَحْلامي ظُنونُ؟"
"– هُزّي بِجِذْعِ النَّخْلَةِ!"
اهْتَزَّتْ لها أَمْداءُ هَذي الأَرْضِ
وَابْتَدَأَ الزَّمَنْ،
وَاخْتارَها الفادي لَهُ أُمًّا،

فَلا دَنَسٌ إذَنْ!...

***

يا رَبُّ، أَحْمِلُ في ضَميري
سِرَّ الأُلوهَةِ وَالنُّبُوّةِ –
لَيْتَ إبني لَمْ يَكُنْ رَبًّا إلهًا!
لَيْتَني ما كُنْتُ عاشِقَةَ الأُلوهَةِ
كَيْ أَقولَ لَهُ: "صَباحَ الخَيْرِ يا أُبْني!"
لَيْتَني أَغْفو وَأَحْضِنُهُ
وَأَرْقُدُ في سَريري...
لَكِنَّني كَرَّسْتُ نَفْسي لِلْفِداءِ
وَكَرَّسَتْني نِعْمَةُ الملَكوتِ
أُمًّا لِلإِلَهِ وَزَوْجَةً
وَنَوافِذًا لِلعَهْدِ يَفْتَحُهُ المسيحُ
لِتولَدَ الدُّنْيا بِفَرْحَتِها مِنَ الأَلَمِ المريرِ.

عانَيْتُ مِنْ أَجْلِ الفِداءِ
مَرارةَ الأُمِّ الَّتي ثَكِلَتْ،
وَمُتُّ مَعَ ٱبْنِيَ المصْلوبِ
أَلْفًا في ثَواني...
وَدَخَلْتُ عَتْمَ القَبْرِ في كَفَنٍ،
وَسمَّرَني الزَّمانُ عَلى الزَّمانِ،
وَنَهَضْتُ مِنْ مَوْتي
مَتى نَهَضَ المسيحُ
وَعُدْتُ وَعْدًا مِثْلَهُ في العَهْدِ
يَغْسِلُنا جَديدًا —
قَطْرَةُ العَهْدِ الجَديدْ.

سَأَظَلُّ أَحْضِنُ هَذِهِ الدُّنْيا كَأُمٍّ:
كُلَّما دَمَعَتْ عُيونُ البائسينَ دَمَعْتُ فيها.
كُلَّما هَمَسَتْ صَلاةٌ لِلسَّماءِ ظَهرْتُ فيها.

كُلَّما لَثَمَتْ شِفاهُ الحُبِّ خَدًّا كُنْتُ فيها...
فَأَنا الشَّهادةُ وَالشَّهيدْ،
أَجْثو عَلى قَدَمِ المسيحِ
وَأَحْضُنُ النّورَ المخَلِّصَ إِنْ تَكَلَّمْ،
وَأُرافِقُ النّاسَ الَّذينَ يُزَنِّرونَ
بِشُعْلَةِ الإيمانِ
مَجْدَ الرَّبِّ في الحُبِّ المعَظَّمْ،
وَتَظَلُّ عيني تَرْقُبُ الدُّنيا لِتَحْرُسَها،
وَتَتْرُكُ في قُلوبِ البائِسينَ عَلى المدى
عَيْنًا لِمَرْيَمْ...

٢٧/ ٥/ ٢٠٠٨

ديزيره سقال

الصّحراء

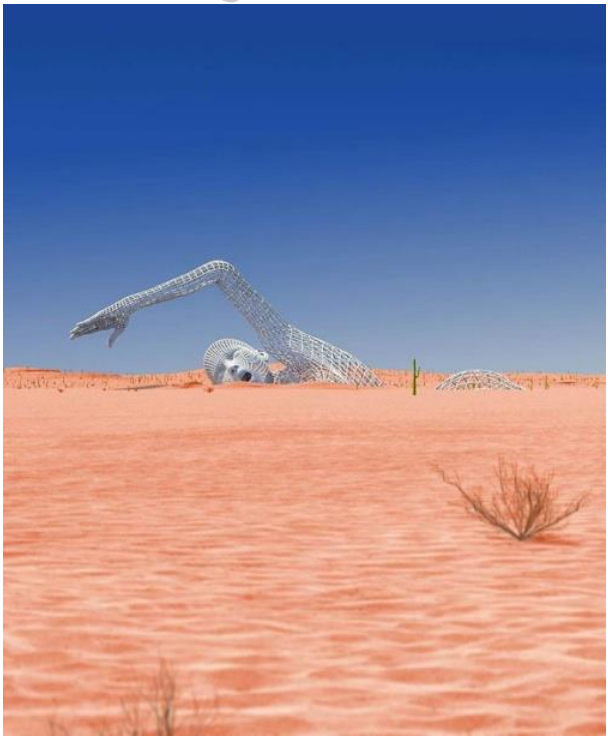

٢٠١٨

مزامير الصّحراء

- ١ -

رَمْلٌ – جَسَدٌ

جَسَدٌ بِلا مَلامِحَ...

وَجْهٌ رَمْلِيٌّ تَتَهاوى فيهِ السَّاعاتُ/ عَيْنانِ غائِبتانِ/ فَمٌ بِلا هَيْئَةٍ/ وَالسّاقانِ هَواءٌ بُنِّيٌّ بِلا رائِحة.

قَوافِلُ تَمُرُّ عَلى المدى المنْسَرِبِ
كَأَنَّهُ... قَوافِلُ تَمُرُّ/ لَحَظاتٌ/ ساعاتٌ/
دُهورٌ/ أَبَدٌ/ وَالرَّمْل صدًى لِبَقِيَّةِ المنْظَرِ/
قوافِلُ مِنْ زَمَنٍ بائِرٍ/ جِمالٌ مِنْ هَواءٍ/

بَشَرٌ لا تُشْبِهُ شَيْئًا عَلى حاجِبِ الأُفُقِ
المُقْفَلِ فَوْقَ قُبَّةِ الأَرْضِ/

رَمْلٌ – جَسَدٌ.

الرَّمْلُ شَكْلٌ لِلْجَسَدِ/ الجَسَدُ هُوَّةٌ
نَحْوَ الرَّمْلِ = الرَّمْلُ يَقودُ إِلى الجَسَدِ/
قَوافِلُ عَلى المدى المُنْسَرِبِ: سِرْبالٌ مِنْ
سَماءٍ بِلا مَلامِحَ/ بِلا نُجومٍ/ سَرابٌ
يَتَسَرْبَلُ في الرَّمْلِ/ سَرابٌ في الفَمِ الذّائِبِ
مُنْذُ أَبَدٍ/
سِرابٌ
بَيْنَ

الحَبَّةِ
وَالحَبَّةِ
فَوْقَ
ٱلأَرْضِ

رَمْلٌ – زَمَنٌ.

الـزَّمَنُ سُـفُنٌ في سَـواقِي السَّـديمِ
الرَّمْلِيِّ/ شَعْبٌ شارِدٌ عَلى شَآبِيبِ الأَسى
وَالسَّرابُ سَماءٌ مَسْفوكَةٌ كَدَمِ الضَّعيفِ/
الزَّمَنُ فَخٌّ لِلْجَسَدِ/

وَطَنٌ لِعَذاباتِ القافِلَةِ الرّاحِلَةِ في الرِّمالِ
فَوْقَ القَفْرِ الفائِرِ/
وَطَنٌ فائِرٌ كَالرَّمْلِ –
الصَّحْراءُ
صَرْخَةٌ صامِتَةٌ
لِصَبْرِ العالَمِ/
وَطَنٌ مَيْتٌ مِنْ صَفاقَةِ الرَّمْلِ
وَصَلابَةِ الهواءِ/
أَرْضٌ مِنْ غَيْرِ جِهاتٍ
جِهاتٌ وَلا أَرْضَ/ تَساوٍ في الدِّقَّةِ:

الوَجْهُ سَرابٌ = السَّرابُ وَجْهٌ
الصَّحْراءُ مَدًى = المدى صَحْراءُ
صَمْتُ الفَراغِ = فَراغُ الصَّمْتِ

لا زَمانَ
لا مَكانَ –

هُــوَ السَّــلامُ الغَريــبُ في اللَّيْــلِ
الغَريبِ/ غَرِقَ الوَجْهُ في غَسَقِ الغُموضِ/
غَرِقَ الغُروبُ في الرَّمْلِ: بَيْنَ الحَبَّةِ وَالحَبَّةِ
أَرْضٌ وَفَضاءٌ ضَيِّقٌ كَالقَشَّةِ ضائِعٌ بَيْنَ
الصَّحْراءِ وَالصَّحْراءِ/

لا زَمانَ
لا مَكانَ –

كُلُّ شَيْءٍ سَرابٌ

وَطَنٌ – صَحْراءُ.

عَلـى حَفـافِي أَرْضـي حُفَـرٌ لِلـدُّموعِ
وَالصَّدى وَحُزْمَةٌ مِنَ الصَّمْتِ كَالحَقيبَةِ/
عَلـى حَفـافِي أَرْضـي بَقِيَّـةٌ مِـنْ حَطَـبٍ
(قِيلَ: شَعْبٌ) وَمَدًى مَفْتوحٌ عَلى الفَراغِ

وَطَنٌ – صَحْراءُ.

كُنْـتُ أَنْحَـذِرُ في دائِـرَةِ الغُـروبِ
يَـدايَ عَوْسَـجٌ يَـدورُ عَلـى آبـارِ الرَّمْـلِ/
كُنْـتُ أَفْتَقِـدُ دَمـارًا دائِرِيًّـا يُدَمْـدِمُ حَـوْلي/
كُنْـتُ أَكْتُـبُ لُغَـةَ الرَّمْـلِ بَـيْنَ الغَيْمَـةِ
وَالغَيْمَةِ/

أَسْأَلُ
ٱلفَراغَ
عَنْ
مَنْزِلٍ
في
ٱلفَراغِ

وَطَنٌ – صَحْراءُ.

نَشيدٌ/ نَشيدٌ صامِتٌ
نَشيدٌ يَنْشُجُ فارِغًا كَالصَّمْتِ/
نَشـــيدٌ سَـــرابِيٌّ يَنْتَشِـــرُ عَلـــى الرَّايَـــةِ
المطَأْطَأَةِ فَوْقَ عَيْنَيِ الوَطَنِ الشَّريدِ/ نَشيدٌ

مِـنْ صَـمْتٍ فَـوْقَ عَيْـنَيِ الـوَطَنِ الشَّـريدِ/
نَشـيدٌ مِـنْ صَـمْتٍ وَبَـرْدٍ عَلـى الكَـفِّ
الشِّـمالِيَّةِ (أَوِ الجَنوبِيَّـةِ) شـامِخٌ شُمـوخَ
السَّـرابِ/ نَشـيدٌ لَـهُ رائِحَـةُ الرَّمْـلِ أَمْلَـسُ
كَالشَّـفْرَةِ/ قـاطِعٌ كَالشَّـفْرَةِ/ نَشيدٌ يُسـائِلُ
وَيُجيـبُ لا يَشْـمَتُ وَلا يَزْهـو/ نَشـيدٌ
كَنَشيجِ المَوْتِ يُؤَذِّنُ بِالفَجْرِ شَريكًا لَهُ/
نَشيدٌ غَريبٌ كَالصَّمْتِ (وَيَتَكَرَّرُ كُلَّ يَوْمٍ
مُنْذُ فَجْرِ الخَليقَةِ) نَشيدٌ شارِدٌ كَشَآبيبِ
السَّـرابِ/ نَشـيدٌ شـامِتٌ نَسْتَشـيرُهُ في
صِـراعاتِنا المَهْزومَـةِ (حَـتّى في اَنْتِصـاراتِنا)
نُشْـرِكُهُ عَجَبَنـا/ نُشـارِكُهُ/ نَشـيدٌ كَـالمِلْحِ
يَصْـفُقُ عَلـى عُيونِنـا/ نَشـيدٌ كَالرَّمْـلِ في
صَحْراءِ الشُّرودِ/

وَطَنٌ – صَحْراءُ.

وَطَني صَدى الحَطَبِ في طَقْطَقَةِ الطُّرُقِ/
وَطَني طُرُقُ الغَرابَةِ في طَرَفِ الأَوْطانِ/
وَطَني وَجْهٌ بِلا مَلامِحَ
(عَيْنانِ مِنْ ضَبابٍ
أَنْفٌ طَرِيٌّ مِنْ دُخانٍ
وَالفَمُ صَوْتٌ سَرابِيٌّ
يَطيرُ في فَضاءٍ طاعِنٍ في الفَراغِ)

وَطَني فِرْدَوْسُ الكَلامِ
نِثارٌ مِنَ القَبائِلِ عَلى خارِطَةِ الرَّمْلِ

حَيْثُ الأُفُقُ ٱنْتِهاءٌ
وَفَرَحُ الرَّمْلِ حُزْنُ اليَنابيعِ
وَالشَّجَرُ لُغَةُ الصَّدى عَلى حُدودِ اليَباسِ/

وَطَني فِرْدَوْسُ الكَلامِ
حَيْثُ اللُغَةُ لَيْسَتْ لُغَةً
بَلْ هَباءٌ طَويلٌ
عَلى تاريخٍ يَنْفَجِرُ شَظايا وَأَشْلاءً/

وَطَنٌ – قَبيلَةٌ.

وَجْهي شَظايا مِنْ خِيَام القَبائِلِ
تَحْمِلُ الرِّيحَ إِلى أَتّونِ المفازَةِ –
تيهٌ وَتَكونُ الأَبْجَدِيَّةُ

بِلا حُروفٍ وَلا كَلِماتٍ/
تيهٌ وَيَكونُ الَوطَنُ
سَرابًا لِأَبْجَدِيَّةٍ مِنْ سَرابٍ/

تيهٌ وَالنَّشيدُ حُروفٌ صَمّاءُ
مِنْ سَرابٍ بِلا حُدودٍ
مِنْ ذاكِرَةٍ ثَقَبَها الصَّدى
عَلى عُمْرٍ خارِجَ الزَّمانِ/

– ٢ –

العَيْنانِ شاهِدَتانِ فَوْقَ قُبورِ الصَّحْراءِ –
بابُ الدُّخولِ إلى الموْتِ
عَيْنانِ شاهِدَتانِ/ وَجْهي
وَطَنٌ شَظايا

وَجْهي تاريخٌ مِنْ نَزيفٍ هادِئٍ يَنْسَرِبُ عَبْرَ الذّاكِرَةِ في هَواءٍ صَلْدٍ/ يَضْرِبُ الصَّدى بَيْنَ الآنِ وَالآنِ/ بَيْنَ القَوْلِ وَالقَوْلِ/ بَيْنَ
الصَّرْخَةِ
وَالصَّرْخَةِ
وَعَوي... يـ... لِ الصَّمْتِ/

وَجْهي قافِلَةُ التّاريخِ تَحْمِلُ القُطْنَ المحْروقَ إلى ذاتِها دَؤوبًا/ لا شَيْءَ سِواها/ لا زَمانَ سِواها/ لا عَويلَ سِواها/ وَهِيَ السَّرابُ السِّرِّيُّ في أَزْمِنَةِ العَطَشِ راحِلًا

بَيْنَ

الحَبَّةِ

وَالحَبَّةِ

عَلى مَلاءاتِ الرِّمالِ/ وَجْهي

وَطَنٌ لَمّا يَصِرْ وَطَنًا – صارَ شَيْئًا كَالأَشْياءِ أَوْ مُصادَفَةً عَميقَةً كَالآلِ/

(كانَ بَيْني وَبَيْنَ المدى المشْرَئِبِّ إِلَيَّ

رَحيلٌ طويلٌ إلى التّيهِ أَوْ

زَمَنٌ فارِغٌ مِنْ فَضاءاتِهِ/

وَيَمْشي إِلَيَّ الصَّدى المسْتَفيقُ

عَلى ثَلْجِ آهاتِهِ/

أَتُرى يوقِظُ اللَيْلُ فَجْرًا
رَطيبًا
يُخَبِّئُ صَوْتَ الطُّفولَةِ مِلْءَ عَباءاتِهِ/)

وَطَنٌ
ثُمَّ لا شَيْءَ سِوى طَبْعِ الرَّمادِ/

وَطَنٌ
ثُمَّ حُلْمٌ يَموتُ
عَلى رِمالِ الصَّحْراءِ/

(كانَ بَيْني وَبَيْنَ الطُّفولَةِ
عَيْنٌ وَشَلاّلُ ماءْ
وَمَدًى يَسْحَبُ الأُفْقَ نَحْوَ ٱمْتِداداتِهِ
لِيَصيرَ صَبايا
تَرَجَّحْنَ عِنْدَ حُدودِ السَّماءْ
وَطِفْلًا تَحَصَّنَ في ذاتِهِ
وَعُمْرًا يُنادي المدى المسْتَحيلَ
وَنَجْمًا يُزَخْرِفُ هَذا النِّداءْ/)

وَطَنٌ
ثُمَّ لا شَيْءَ سِوى القَهْرِ الطَّويلِ ؟

- ٣ -

يَسْتَفيقُ الظِّلُّ في وَجْهي وَيَبْقى
خارِجَ الوَقْتِ/ كَأَنَّ الوَقْتَ غاباتٌ
مِنَ الرَّمْلِ الَّذي يَصْدَأُ فيهِ العابِرونْ/
وَالفَضاءُ الصَّلْدُ مَفْتوحٌ
عَلى تيهٍ بِحَجْمِ القَلْبِ/
صَبْرٌ/ وَالشُّجونْ
وَطَنٌ كَالآلِ يَجْتَرُّ الظُّنونْ ؟

وَحْدَهُ الرَّمْلُ
بَقايا زَمَنٍ طارَتْ عَلى آفاقِهِ الدُّنْيا
وَأَغْوَتْهُ المنونْ ؟

قصيدة الصّحراء

سُــدّي مَنافِــذَنا إِلَيْــكِ أَوِ ٱفْتَحيهــا، لا فَــرْقَ، فَالعَياءُ البَطَلُ يَقْرَعُ طُبولَهُ، وَالوَطَنُ الذّائِبُ بَيْنَ شَفَتَيِ النُّعاسِ شَطَّطَ الغِيابُ فيهِ وَاسْتَكانَ.

سُــدّي مَنافِــذَنا إِلَيْــكِ، أَوِ ٱفْتَحيهــا، أَيَّتُهــا الصَّحْراءُ —

لا الوَقْتُ وَقْتٌ

وَلا الغِيابُ غِيابٌ/

لا اللَّيْلُ لَيْلٌ

وَلا النَّهارُ نَهارٌ

وَالبَشَرُ يَرْحَلون في الوَطَنِ الزِّئْبَقِيِّ خُطًى ثَقيلَةً في التّيهِ البارِدِ كَالحَجَرِ...

ما رَمْلُكِ المزَغْرِدُ تَحْتَ تَوَهُّجِ الشَّمْسِ المحْرِقَةِ؟
ما الزَّمَنُ المبَعْثَرُ فيكِ كَالصَّدى؟

مِنَ الهجيرِ المشْرَئِبِّ كَالصّارِيَةِ يَتَدَلّى وَجْهُ الوَطَنِ،
مَهْجورًا، يَتَهادى مِنْ مَهامِهِ التيهِ: مُبْهَمٌ، مُنْهَمِرٌ
كَاللَيْلِ
البَهيمِ...

وجهُكِ
باردٌ
كَهَشاشَةِ الحُضورِ
أَوْ كَالرَّمْلِ الهاوي فَوْقَ الآلِ.

وَجْهُـكِ صَـدانا حـينَ نَغْـتَرِبُ في
الـوَطَنِ/ وَالـوَطَنُ طَيْـفٌ عَبْـرَ المسـافَةِ
الفارِغَـةِ/ وَجْهُـكِ أَلْـفُ مَوْكِـبٍ يَفْـتَحُ
أَعْراسَهُ في الصَّمْتِ/ يَنْفَتِحُ فيهِ/ وَجْهُكِ
الـرَّدى المفْتَـرُّ في أَلَـقِ النَّفْـيِ وَافْـتِراءِ
الحُضورِ/

أَوّاهْ!

سُـدّي مَنافِـذَنا إِلَيْـكِ، أَوِ افْتَحيهـا، أَيَّتُهـا الصَّحْراءُ الجاثِمَـةُ عَلى بَلاهَـةِ الـزَّمَنِ، أَيَّتُهـا الرّاحِلَـةُ في حُضورِ الوَطَنِ الأَخْرَسِ، وَانْهَمِري عَلى إيقاعِ الرُّتوبِ: لا شَيْءَ يَقْرَأُ الأُفُقَ المقْفَلَ. لا شَيْءَ يَطْرُقُ بابَ المسافَةِ إِلاّكِ.

سُدّي مَنافِذَنا إِلَيْكِ أَوِ ٱفْتَحيها،
أَقْفِلي المشْهَدَ. لا شَيْءَ سِوى غَمْغَمَةِ الغِيابِ.
لا وَقْتَ. لا حُضورَ.
لا ٱتِّصالَ. لا رُؤًى.
كُلُّ شَيْءٍ سَرابٌ.

(في السَّرابِ حِسٌّ غَريبٌ لِسَيْرِ
القَبائِلِ في الوَطَنِ/ في السَّرابِ شَعْبٌ
سَرابٌ/ سَفَرٌ إِلى سَنَواتِ السُّكونِ أَوْ أَبَدِ
الصَّدى / رَحيلٌ في الحِسِّ الغائِبِ
← وَفيهِ يُسْفَكُ
المشْهَدُ لِيَكونَ السَّأَمُ/ فيهِ يَتَسَلْسَلُ
المُبْهَمُ وَيَنْسَدِلُ الصَّمْتُ عَلى عَراقَةِ
السَّرابِ المقيمِ كَالوَطَنِ/)

(وَطَنٌ – سَرابٌ
شَعْبٌ – سَرابٌ

أَرْضٌ مائِعَةٌ تَسْتَنْفِدُ المشْهَدَ
وَالرَّمْلُ بُروجٌ مِنَ الأَحْلامِ في الهواءِ/)

سُـدّي مَنافِـذَنا إِلَيْـكِ، أَوِ ٱفْتَحيهـا، لا فَـرْقَ، فَالرَّحيلُ الصَّلْدُ إِلَيْكِ يَنْهَمِرُ كَالأَبَدِ، وَالرّاحِلونَ قُطْعانٌ مِنَ الحَطَبِ المهْتَرِئِ (أَوْ شَعْبٌ صامِتٌ كَالسَّرابِ).

سُدّي مَنافذَنا إِلَيْكِ، أَوِ ٱفْتَحيها:
كُلُّ دَرْبٍ تَنْتَهي إِلَيْكِ

كُلُّ وَجْهٍ يَتَقَمَّصُكِ في هَذا المدى المفْتوحِ عَلى
بَلاهَةِ الرِّمالِ...

(امتِـــدادٌ غَريـــبٌ مِـــنَ السَّـــرابِ
وَالصَّمْتِ/
أُفُقٌ بِلا لَوْنٍ/
ظُهورٌ مُبْهَمٌ وَيُخْفيهِ حُضورُ وُجوهٍ
بِلا مَلامِحَ تَسُودُ وَتَحْكُمُ/ ظُهورٌ مُبْهَمٌ
وَالمدى قَصيدَةٌ خَرْساءُ بِلا رَنينٍ)

لَعَلَّها الإِقامَةُ في النَزْعِ/
لَعَلَّهُ الرِّياءُ لابِسٌ سَماءً مِنْ أَسًى يَنْسابُ عَلى الرَّمْلِ/

(السَّماءُ حِسٌّ هامِدٌ كَالفَحْمِ
يَنْسَحِبُ عَلى صَدى الاسْتِحالَةِ/ أَمامٌ
كَالوَراءِ/ سَمْتٌ حَمْضِيٌّ يُحْرِقُ الآتِيَ
وَيُكرِّسُ السّائِدَ/ يَنْسابُ عَلى العُيونِ
آنْسِيابَ الرَّمْلِ/
سَماءٌ بِلا لَوْنٍ وَلا سَحابٍ/

سَماءٌ سامَّةٌ كَالصِّلِّ تَنْسَرِبُ فَوْقَ
الصَّحْراءِ/ تَعْتاشُ بِها/
سَماءٌ نُحاسِيَّةٌ تُظَلِّلُ شَعْبًا هامِدًا
مِنْ حَطَبٍ/)

(نشيد)

نَحْنُ الَّذينَ ماتوا في الحَياةِ
نَحْنُ الَّذينَ رَقَدوا وَماتوا
لا وُجوهُنا وُجوهٌ
وَلا صَوْتُنا صَوْتٌ
– أَشْكالٌ حَطَبِيَّةٌ تَتَحَرَّكُ عَلى المدى الممْتَدِّ
بِلا غَدٍ
وَبِلا آفاقٍ/

نَحْنُ الَّذينَ ماتوا في الحَياةِ.
نَحْنُ الصَّدى الهامِدُ
في الوَطَنِ الهامِدِ/

شَعْبٌ سَرابِيٌّ تَصْدَعُهُ الشَّمْسُ وَيُخْفيهِ اللَيْلُ
يَرْعى ظِلَّهُ في فَراغِ الصَّبيرِ/

(نشيد)

رَحَلَ الضَّجَرُ السّاجي في حَبّاتِ الرَّمْلِ سَفينَتُهُ وَجَعٌ وَضَجيجُ البَحّارةِ صَمْتٌ غَطّى الزَّمَنَ المكْسورَ/ فَراغٌ يَبْرُقُ في الأُفْقِ/ يُنازِعُ أَحْلامَ النّاسِ المهْدورَةَ أَوْ يَجْري كَالطَوَفانِ عَلى اللَيْلِ:

رَحيلٌ كَمَجيءِ الموْتْ
وَظِلالُ النّاسِ تَناثَرُ تَحْتَ جَليدِ الصَّوْتْ.

رحَلَ الضَّجَرُ البارِدُ في عَيْنِ النّاسِ ومَرَّتْ أَنفاسُ الصَّدَإِ العارِمِ فَوْقَ قُيودِ الخَطَواتِ —

هُنا

تَتَقَطَّرُ

أَحْلامُ

ٱلقَهْرِ

وَيَسْتَوفي اللَيْلُ جَنازاتِ

الصَّمْتْ

قَدَمُ الصَّبْرِ تَغورُ عَميقًا في طَبَقاتِ الرَّمْلِ.

يَغورُ السَّمْتْ

وَتَغورُ الدُّنيا وَالوَطَنُ البائِرُ وَالأَشْياءْ/

عَدَمٌ يَتَرامى حَوْلَ الخَلْقِ المتَفَحِّمِ أَوْ يَنْمو

كَاللَبْلابِ عَلى الأَشْياءِ وَيَمْتَدُّ إِلى العَيْنَيْنِ وَأَعْماقِ

الظَّلْماءْ

عَدَمٌ يَتَكَوَّمُ فَوْقَ مَدى الصَّحْراءْ

عَدَمٌ يَتَراخى عَبْرَ التَّكْوينِ
وَيَبْتَلِعُ الوَطَنَ المسْتَغْرِقَ في طَبَقاتِ الرَّمْلِ البَلْهاءْ.

عَدَمٌ عَدَمٌ
عَدَمٌ يَصْهَلُ في رُؤْيا الشَّعْبِ العَمياءْ.

سُدّي مَنافِذَنا إِلَيْكِ أَوِ ٱفْتَحيها، لا فَرْقَ،
بَيْنَ العَيْنِ وَالعَيْنِ رَمْلٌ
بَيْنَ الشَّعْبِ وَالشَّعْبِ سورٌ صَفيقٌ مِنَ العُروقِ اليابِسَةِ وَالعِظامِ،

سُــدّي مَنافِــذَنا إِلَيْــكِ أَوِ ٱفْتَحيهــا، أَيَّتُهــا الصَّحْراءُ، فَالشَّعْبُ قَبائِلُ حَطَبٍ وَرَمادٍ، وَالوَطَنُ النّائِمُ بَرْدٌ في قَرارَةِ الرّدى.

مِـنْ أَيْـنَ تُشْـرِقُ الشَّـمْسُ عَلى نَبْـتٍ أَوْ يَهْطُـلُ المطَرُ؟

مِنْ أَيْنَ تَنْبَلِجُ الإِلْفَةُ بَيْنَ العَقْلِ وَالحَضارَةِ؟

مِنْ أَيْنَ تَنْفَتِحُ البَصيرَةُ عَلى نَوافِذِ الآتي؟

مِـنْ أَيْـنَ نَـدْخُلُ إِلى سُـهولِ الحَيـاةِ وَالعَـدَمُ البـارِدُ رَمْلٌ مُتَحَرِّكٌ يَبْتَلِعُ الأَقْدامَ في صُراخِ السَّأَمِ؟

سُــدّي مَنافِــذَنا إِلَيْــكِ أَوِ ٱفْتَحيهــا، أَيَّتُهــا الصَّحْراءُ،

العَرْشُ الصّامِدُ يَعْدو فَوْقَ جَماجِمِ البائِسينِ

وَالملـوكُ تَسـيلُ كَاليَنـابيعِ الذَّليلَـةِ تَحْـتَ أَقْـدامِ الطُّغاةِ.

وَطَنٌ يَقومُ بِلا مَدى.

وَطَنٌ يَصيرُ إِلى صَدى.

وَطَنٌ كَطَعْنَةِ صارِمٍ في القَلْبِ/ لا حِسٌّ وَلا ريحٌ يُحَرِّكُها هُبوبٌ: كُلُّ زَنْدٍ هادِئٌ كَاللَيْلِ، كُلُّ البائِسينَ تَمُرُّ أَعْيُنُهُمْ بِقَلْبي

وَيَمُرُّ طَبْعُ الذُّلِّ فَوْقَ صَفاقَةِ الصَّحْراءِ/ هَلْ ريحٌ؟/ يَمُرُّ الشَّعْبُ مِثْلَ طَريدَةٍ عَبْرَ الرِّمالِ وَيَخْتَمي بِالمَوْتِ/ هَلْ ريحٌ؟/ مَرَرْتُ كَما يَمُرُّ العائِدونَ مِنَ الضَّياعِ

إِلى الضَّـياعِ وَكـانَ في وَجْهـي كَـوابيسُ العُـروشِ وَمَنْظَـرُ
الصَّحْراءِ – وَجْهي كُلُّ أَحْلامِ الجِياعِ وَكُلُّ دَمْعِ البائِسينْ

لا شَيْءَ...
لا أَمَلٌ يَهُبُّ عَلى الجَبينْ/
وَطَنٌ بِحَجْمِ قَرارِنا المَنْهوبِ
يَحْتَرِفُ الضَّياعَ، وَشَعْبُهُ
صُوَرٌ تَمُرُّ عَلى الرِّمالِ
فَلا تُدانُ وَلا تَدينْ...

شَعْبٌ كَأَحْذِيَةِ الطُّغاةِ عَلى المدى.
شَعْبٌ صَدى –

كَـمْ كـانَ يَفْجَـأُني الصَّـدى فَأُطـارِدُ
الأَشْباحَ بَـيْنَ قَبائِلِ الرَّمْـلِ الشَّريدِ وَأَفْتَحُ الماضي عَلى
الـزَّمَنِ الَّـذي يَمْتَـدُّ/ كَـمْ كانَـتْ عَلى عَيْـنَيَّ رُؤْيـا البَـرْقِ
تُحْتَضَرُ

وَتَسْـتَجْدي يَـدايَ رُؤًى تَـدارَكَها البَـوارُ
وَوَزَّعَتْها كَالكَفـافِ قَبائِـلُ الـوَطَنِ المسَـجّى/ لَـيْسَ بَيْـني
وَالمدى المزْروعِ فَحْمًا غَيْرُ آهاتٍ تُناجي الشَّعْبَ مَقْهورًا
بِصَمْتٍ موغِلٍ في البَـرْدِ/ لَـيْسَ الفَجْرُ إِلّا مُسْتَحيلاً في
مَدى الصَّحْراءِ يَنْتَظِرُ

وَسَـواعِدُ الفُقَـراءِ في الـوَطَنِ المغَيَّـبِ تَحْفُـرُ
الرَّمْـلَ الصَّـفيقَ لَعَـلَّ خِصْبًا مـا يُطِـلُّ مِـنَ الغِيـابِ، لَعَـلَّ
وابِلَ غَيْمَةٍ يَهْمي عَلى رَحِمٍ تَوَغَّلُ في اليَبابِ، لَعَلَّ بَرْقًا
عَبْرَ لَيْلِ الصَّمْتِ يَنْفَجِرُ

وَلَعَلَّنا يَوْمًا نَصيرُ تَفَتُّحًا في عُمْقِ أَطْباقِ الدُّجُنَّةِ يَسْتَفيقُ عَلى مَدًى مِنْ صَوْتِهِ الدّاوي، فَيَحْتَرِقُ الرَّدى —

شَعْبٌ كَأَحْذِيَةِ الطُّغاةِ عَلى المدى.

شَعْبٌ صَدى.

(لوحة)

بَيْنَ أَحْلامِ الجِياعْ

وَطَنٌ يَغْرَقُ في بَحْرِ الرِّمالِ

وسُكونٌ هامِدٌ يَمْتَدُّ

في بَرْدِ اللَيالي،

وَوُجوهٌ تَرْتَمي خَلْفَ قِناعْ...

(لوحة)

أُفُقٌ مِنْ حَجَرْ

وَمَدًى كالَمرارةِ

سَدَّ مَنافِذَهُ صَبرُهُ المُنْتَظَرْ...

(لوحة)

أُفُقٌ في الحَجَرْ

وَفَضاءٌ مِنَ الرَّمْلِ

فارَ عَلى غَمْغَماتِ البَشَرْ...

...ولماذا

حينَ تَسْتَيْقِظُ الأَرْضُ مِنْ نَوْمِها الحَجَرِيِّ

يُعاشِرُها العُقْمُ حَتّى غِيابِ الفُصولْ؟

لماذا يُعاني السُّؤالُ ٱنْتِكاساتِهِ
حينَ يَغْشاهُ رَيْبُ الفُضولْ؟
لِماذا تَمُرُّ عَلى العَيْنِ كُلُّ الجَنازاتِ حينَ تُحَدِّقُ بِالوَطَنِ المتَمَدِّدِ عَبْرَ المدى/ إِنَّهُ يَرْتَدي صَوْتَهُ الحَجَرِيَّ وَيَشْتَدُّ في طَلَبِ الأُفْقِ... لَكِنَّما الأُفْقُ لَيْسَ يَقومُ مِنَ البُعْدِ وَالصَّبْرُ يَعْرُجُ في عَتْمَةِ الذّاكِرَهْ/
أُفُقٌ حَجَّرَتْهُ نُفوسُ المدى الماكِرَهْ
وَشُعوبٌ تَفورُ عَلى الصَّبْرِ مِنْ حَطَبٍ

حينَ تَسْتَيْقِظُ الأَرْضُ في الصَّحْوَةِ الباكِرَهْ...
وَطَنٌ كَأَنينِ الجِياعِ يُناشِدُ أَبْناءَهُ الصَّمْتَ/ هَلْ
يوقِظُ الموْتَ صَولَةُ راءٍ
تَمَرَّدَ
أوْ

هَلْ يَصيرُ الصَّدى
عاصِفًا يَصدَعُ اللَيْلَ
وَالسَّغَبَ المتَرَبِّعَ في هَمْهَماتِ المدى؟

وَطَنٌ كَالدِّماءْ
غَيْرَ أَنَّ بَقاياهُ مِنْ حَطَبٍ وَمَساءْ...

وَطَنٌ مِنْ هَباءْ
غَيْرَ أَنَّ بِهِ غَضَبًا
يَتَمَلْمَلُ تَحْتَ الثَّرى كَالقَضاءْ.

وَطَنٌ غارَ فيهِ الوَباءْ

وَمَضى في مُيوعَتِهِ
شاهِرًا وَجْهَهُ كَالحِذاءْ!

(لوحة):
خارجٌ مِنْ قِمَّةِ الصَّمْتِ
إلى لَوْنٍ يَغيبُ:
كُلُّ وَجْهٍ في المدى وَجْهي
وَكُلُّ العُمْرِ أَشْباحٌ تَجوبُ...

خارجٌ مِنْ قِمَّةِ الصَّمْتِ
إلى صَمْتِ الهَباءْ:
أَيُّ أَرْضٍ تَرْتَدي شالَ اللَيالي؟
أَيُّ عُمْرٍ لَخَّصَ التّاريخَ في قُمْقُمِهِ

نَبْضَ مُحالِ؟
أَيُّها الخارجُ مِنْ جِلْدِ المساءْ
حَنَّطوا في وَهْجِكَ الضّائِعِ
جُرْحَ الأَرْضِ
وَٱغْتالوا الضِّياءْ
وَٱنْطَوَتْ في العُهْرِ صَحراءٌ
ورَملٌ زَوْبَعَ الدُّنْيا
بِصَحْراءِ الفَضاءْ...

سُــدّي مَنافــذَنا إِلَيْــكِ، أَوِ ٱفْتَحيهــا، أَيَّتُهــا الصَّحْراءُ،
سُدّي المدى المقْفولَ في أَبْجَدِيَّةِ الخَيْبةِ وَالقَهْرِ،
سُــدّي الفَضــاءَ بِضَوْضــاءِ الصَّــمْتِ وَضَــرْبِ التَّهاليلِ السَّوْداءِ،

سُـدّي وُجوهَنـا بِوُجوهِنـا وَاللَيْـلَ بِاللَيْـلِ، وَأَهيلـي العَتَمَةَ/ اشْرَئِبّي مِنَ العُيونِ مِنَ المسامِّ مِنَ القَلْبِ الغارقِ في الصَّدى/ لَيْسَتِ الدَّرْبُ إِلّا ضَبابُ السُّقوطِ لَيْستِ الوَحْدَةُ إِلّا فَسْخُ العَناصرِ في عُمْقِ السَّديمِ/

سُدّي وُجوهَنا بِوُجوهِنا: لا مَلامِحَ/ لا هَيْئَةَ/ لا هُوِيَّـةَ/ لا جِبـاهَ تَنْظُـرُ نَحْـوَ الشَّـمْسِ/ سُـدّي وُجوهَنـا بِوُجوهِنا: كُلُّ شَيْءٍ قَفْرٌ بارِدٌ/ كُلُّ شَيْءٍ رَمْلٌ في صَحْراءِ الفَضاءِ.

أَيُّها الوَطَنُ المنْفَلِتُ مِنْ حَبّاتِ الرَّمْلِ،
أَيُّها الوَطَنُ الغارِقُ في لَعْنَةِ القَهْرِ
كَيْفَ السَّبيلُ إِلَيْكَ؟
كَيْفَ نَسْتَعيدُ الذّاكِرَةَ

وَالذّاكِرَةُ هَباءٌ مَنْسِيٌّ؟

أَيُّها الوَطَنُ الخارِجُ مِنَ الزَّمَنِ
كَيْفَ يَعودُ الزَّمانُ
وَالزَّمانُ لُغْزٌ أَمامَنا؟

لَكِنْ
بَيْنَ أَعْمِدَةِ القَهْرِ وَصَحْراءِ الغِيابِ
وَجْـهٌ يُشْـبِهُ السَّـيْفَ بَـيْنَ الجُـرْحِ وَالجُـرْحِ بَـيْنَ الطَّعْنِ وَالطَّعْنَةِ/
وَجْهٌ يَصْهَلُ في وَعْرِ الحُضورِ
حينَ يَصيرُ الوَقْتُ نِهايَةَ المنعَطَفِ
حينَ يَصيرُ الموْتُ المزْمِنُ

أَبْجَدِيَّةً لِلْوِلادَةِ.

(نشيد):

مَشَتِ الدُّروبُ إِلَيْهِ
وَارْتَدَتِ المسافَةُ عُمْقَها
وَتَحَصَّنَتْ بِالصَّبْرِ أَحْلامُ المطَرْ...
مِنْ أَيِّ ثُقْبٍ في السَّديمِ يُطِلُّ
حينَ يَطيبُ لِلتّاريخِ تَغْييرُ البَشَرْ؟

(لوحة):

مَشَتِ الدُّروبُ إِلَيْهِ
وَاحْتَرَقَتْ عَلى خَطَواتِهِ
دُنْيا الحَجَرْ.

(لوحة):

مَشَتِ الدُّروبُ إِلَيْهِ
وَانْصَعَقَتْ تُراقِبُهُ البَرايا:
يَسْحَبُ التّاريخَ مِنْ حُكْمِ القَدَرْ.

(لوحة):

سَيَصيرُ في الآتي
بِلادًا
وَيَصيرُ في الآتي
قَضاءً وَقَدَرْ.

مِنْ صِراعاتِ اللَيالي
وَالْتِهابِ الصَّدَإِ المَرْكومِ في قَلْبِ الرِّجالْ
وَجَعٌ يَمْتَدُّ كَالأَفْعى
وَأَحْلامٌ طِوالْ
وَمَساءاتٌ... كَأَنَّ الأُفْقَ مِنْ فَحْمٍ،
وَأَشْباحَ التِّلالْ
جَثَمَتْ مِثْلَ مِدادٍ أَسْوَدٍ يُرْمى عَلى الصَّدْرِ/ تَرامى الوَجَعُ المَصْفوفُ كَالأَفْعى وَغارَتْ في فُؤادي جُزُرُ الحُلْمِ/ تَرَجَّحْنا عَلى غُصْنٍ/ تَناسَلْنا عَلى الرَّمْلِ/ وَلَكِنَّ السُّؤالْ
ظلَّ مِثْلَ الغَسَقِ النّاشِزِ يَعْلو:
"أَيُّهَذا الطِّفْلُ، قُمْ، بَيْتي هَواءْ
وَشَبابيكي يُغَطّيها سَرابْ
وَمَدى الآتي مَتاهاتٌ

وَحَوْلي لُغَةٌ تَطْفو
عَلى سِفْرِ الغِيابْ —
أَيُّها الطِّفْلُ الضَّبابْ."

وَكَيْفَ تَسْكُنُنا، أَيُّها الأَعْمى، في الصَّدَإِ المَرْكومِ داخِلَ القَلْبِ؟ كَيْفَ تَنْفَتِحُ العَيْنُ عَلى العَيْنِ وَالقَدَمَيْنِ وَالمدى وَيَنْفَجِرُ التّاريخُ بَيْنَ حَبّاتِ الرَّمْلِ، تَنْفَجِرُ الذّاكِرَةُ كَاللُّغْمِ حَوْلَ المتاهِ؟ كَيْفَ تَسْكُنُنا، أَيُّها المدى المَثْقوبُ بِالمَوْتِ، في الحُدودِ الضّائِعَةِ بَيْنَ العَصْرِ وَالعَصْرِ؟ كَيْفَ تَنْفَتِحُ عَلَيْنا، أَيُّها الماضي فَنَغْرَقَ، وَتُشْرِقَ عَلَيْنا كَما شَمْسُ الصَّحْراءِ في الهَجيرِ فَنَغْرَقَ، وَتَفْغُرُ فاكَ كَالقبرِ فَنَغْرَقَ — لَوَجْهُنا ٱنْعِكاسُ الصَّحْراءِ في عَواصِفِ القَرْنِ الجَديدِ، تَرَفُنا التيهُ في المدى المتَرَهِّلِ، خَطْوُنا المدى الفارِغُ في الأُفُقِ البرونْزِيِّ الَّذي لا يَنْتَهي/

تَرَنَّمِـي، أَيَّتُهـا الصَّـحْراءُ، عَلـى وَجْهِنـا
الملْتَمِعِ في الموْتِ، تَرَنَّمِي.
لِوَجهِنـا المصْـفَرِّ أَلْـفُ عَلامـةٍ وَلا قِيمـةَ،
وَأَلْفُ أَلْفُ شُحوبٍ.
لِصَداكِ صَئِيٌّ ثاقِبٌ،

وَلَنا
كُلُّ هَذا الموْتُ،
وَكُلُّ كُلُّ هَذا السَّرابِ!

أَلشاعرُ يَقْعُدُ في أَسْوارِ الحَلَكِ المنْسَلِّ إلى
أَعْيُنِنا لِيُفجِّرَها لُغَةً وَقَصائدَ شِعْرٍ/ لُغَةٌ تَتَوَجَّسُ
تَحْتَ الرَّمْلِ وَقَهْرٌ –
لُغَةٌ تَتَوَتَّرُ في وَلَهِ الأَقْصى
وَقَصائِدُ تَنْزِفُ حَتّى المَوْتِ عَلى أَشْباحِ
اللَيْلِ المقْهورْ
لُغَةٌ وَقَصائدُ شِعْرٍ
وَمَدًى رَمْلِيٌّ يَهْدَأُ في حَلْقي/
لُغَةٌ وَقَصائِدُ شِعْرٍ
وَطُيوفُ لُبانٍ وَبَخورْ
تَخْرُجُ مِنْ أَوْراقِ الشّاعِرِ في وَجْهِ
الصَّحْراءِ/ مَدًى يَكْبو وَيَنامُ عَلى الأَرْضِ الرَّمْلِيَّهْ
وَطُيوفٌ تَتَوَتَّرُ في حَبّاتِ الرَّمْلِ النّارِيَّهْ،
وَسَنًا يَتَحَفَّزُ تَحْتَ المَوْتِ
وَيَكْمُنُ في لُغَةٍ سِرِّيَّهْ.

أَلشّاعِرُ يَكْسِرُ سَيْفَ العَتْمةِ،
يَسْتَغرقُ في الرُّؤْيا
وَيُضيءُ الوَطَنَ الجاثِمَ تَحْتَ الرَّمْلِ/ يُشيرُ إِلَيْهِ/
يتَوَجَّهُ نَحْوَ مَرارتِهِ لِيَسيلَ عَلَيْهِ
فَجْرًا أَخْضَرَ
أَوْ لِيُهَشِّمَ طَبْعَ الصَّمْتِ وَيَفْتَحَ بِالغَضَبِ الطّافِرِ دَرْبًا خارِجَ هَوْلِ الصَّحْراءِ/
يَسيلُ الشّاعِرُ فَجْرًا بَيْنَ حُروفِ الوَطَنِ
وَيَرى المَوْتَ تَرَبَّعَ فَوْقَ عُروشٍ
زَحَفَتْ في الذُّلِّ وَغارَتْ
تَحْتَ بَلاهَةِ جاهٍ كَالكَفَنِ.
أَشْباحٌ وَهَياكِلُ عَظْمِيَّهْ
تَزْحَفُ كَاليَنبوعِ وَتَلْعَقُ أَحْذِيَةَ الطُّغْيانِ
وَتَضْرِبُ في الصَّحْراءِ بِلا وَجْهٍ

أَوْ تَترامى عَفَنًا في العَفَنِ
وَتَـرُدُّ الحاضِـرَ مَوْتًـا وَصَـدًى يَتَقـافَزُ فيـهِ
المـوْتُ عَلى حَبّاتِ الرَّمْـلِ – تُحيـلُ الخُضْـرَةَ بـورًا
وَالأَحْلامَ كَوابيسًا وَحشِيَّهْ...
أَلشّاعِرُ يَثْقُبُ عِرْقَ الأَرْضِ
وَيَرْحَـلُ في دَمِهـا كَالإِكْسـيرِ/ تُحَيّيـهِ/
وَيَخْبِزُ جُرْحَ الأَرْضِ رَغيفًا مِنْ جُثَثِ الأَرْبابِ
وَأَشْلاءِ العَرْشِ/ يَمُرُّ كَبَرْقٍ
وَيُحَيّـي بِالغَضَـبِ الطّـافِرِ جُـرْحَ الأَرْضِ
فَيَنْدَمِلُ
وَيَمُرُّ عَلَيْها كَعَشيقَتِهِ
يَحْمِلُها في لُغَةٍ كَالنّورِ
يُبَرْعِمُ فيها الأَمَلُ
يتَـوَتَّرُ كَـالنَّصِّ المَجْنـونِ عَلـى الأَحْـلامِ
الزَّهْرِيَّهْ:

أَلشّاعِرُ يَكْسِرُ سَيْفَ العَتْمَةِ
في فَجْرِ الأَرْضِ المطْوِيَّهْ...

(لوحة):
رَقَصَ الشِّعْرُ عَلى السَّيْفِ المسْلولْ،
نَهَضَ الزَّمَنُ المغْلولْ.

(لوحة):
الشِّعْرُ يُلَوِّنُ رَمْلَ الصَّحْراءْ،
يَتَناثرُ أَشْكالاً نورانِيَّهْ
وَيُخَضِّبُ وَجْهَ الصَّمْتِ بِضَوْضاءٍ زَهْرِيَّهْ
وَبِأَلْفِ بِأَلْفِ رِداءْ...

(لوحة):

أَلشِّعْرُ صَدى الأُفْقِ الخارِجِ
مِنْ قَبْرِ الآباءْ.

يَخْرُجُ الشِّعْرُ مِنْ أَبْجَدِيَّتِهِ البائِدَةِ إِلى الزَّمانِ المفْتوحِ عَلى الآتي بَيْنَ الوَلَهِ وَالوَلَه بَيْنَ التَّوَتُّرِ وَالتَّوَتِّر وَيَصْطادُ الوَعْرَ وَالسُّقوطَ الرّائِعَ/ يَخْرُجُ الشِّعْرُ وَالشّاعِرُ وَالنَّصُّ وَالكَلِماتُ إِلى ضاحي الأُفُقِ مِنْ نُحاسِ الصَّحْراءِ وَيَبْدَأُ الوَطَنُ بِالنَّشيدِ:

"خارِجٌ مِنْ حُقولِ النُّحاسْ
أَكْسِرُ الصَّبْرَ وَالصَّدى

وَأُشَرِّعُ بابَ المدى
نَحْوَ أَرْضِ التَّماسْ..."

يَخْرُجُ الشِّعْرُ مِنَ الوَطَنِ المكْسورِ وَيُخْرِجُنا/ المدى صَعْبٌ وَالطَّريقُ وَعْرٌ لَكِنَّ القَلْبَ مُنْفَتِحٌ عَلى لَوْنِ الضَّوْضاءِ/ يَخْرُجُ الشِّعْرُ مِنْ حِصارِ الصَّحْراءِ إِلى المدى المفْتوحِ/ يَحْمِلُ الشَّعْبُ أَشْجانَهُ وَيُفَجِّرُها في تَوازُنٍ عَجيبٍ بَيْنَ الفَوْضى وَالنِّظامِ، بَيْنَ الصَّمْتِ وَالضَّجيجِ، بَيْنَ الوَعْيِ وَالجَهْلِ/ مَدًى لاهِبٌ كَالتّاريخِ المنْفَجِرِ/ مَدًى لاهِب وَالذّاكِرَةُ لُغْمٌ يَنْسِفُ التّاريخَ فَوْقَ أَشْلاءِ الآباءِ/

وَمْضٌ وَمَدًى يَتَراقصُ حَوْلَ السَّيْلِ المتَدافِعِ في نَبَضاتِ الأَرْضِ النّارِيَّهْ —

وَمَضَ الشِّعْرُ عَلى الصَّحْراءِ وَأَشْعَلَها

وَمَضَ الشّاعِرُ وَافْتَضَّ الزَّمَنَ الممْنوعَ وَأَرَّخَ لِلآتي في وَقْعِ الرَّقْصِ الممْنوعِ/ تَماسٌ

وَالأَرْضُ شَراراتٌ مِنْ لَهَبٍ يَخْرُقُ أَحْشاءَ العُقْمِ وَيَبْذُرُ فيها دُنْيا مِنْ نورٍ وَصَباحاتٍ صاهِلَةٍ...

وَمَضَ الشّاعِرُ في الرَّقْصِ الممْنوعِ/ تَماسٌ

أَرْضُ تَماسٍ —

سَقَطَ الماضي في الحاضِرِ وَالآتي وَتَشَظّى الحَجَرُ المرْكومُ عَلى القَلْبِ/ تَشَظّى العَرْشُ المَرْقوعُ بِلَحْمِ البَشَرِ:

أَلنّاسُ حُروفٌ

تَكْتُبُ نَصَّ الشّاعِرِ
وَالشّاعِرُ لُغْمٌ يَتَفَجَّرُ في وَجْهِ القَدَرِ/
أَرْضُ تَماسٍ
حَيْثُ الرَّفْضُ الممْنوعُ بِداياتُ النَّصِّ
وَأَحْلامٌ أَبَدِيَّهْ
وَالشِّعْرُ تُراثٌ وَهُوِيَّهْ...

رقْصٌ رَقْصٌ مَمْنوعْ/
رَقْصٌ حَوْلَ العَرْشِ المخْلوعْ
وَتَسَلْسُلُ موسيقى جَسَدِيَّهْ.

رَقْصٌ رَقْصٌ ممْنوعْ
لَوْحاتٌ وَخُطوطٌ بَشَرِيَّهْ

وَمَدًى مُلْتَهِبٌ مِنْ كَلِماتٍ
تَتَلامَسُ أَوْ تَتَفَجَّرُ كالدُّنْيا
وَتُزَنِّرُ وَجْهَ الزَّمَنِ/
رَقْصٌ رَقْصٌ ممْنوعْ
وَتَماسٌ لِلزَّهْوِ وَلِلشَّجَنِ/
رَقْصٌ رَقْصٌ مَمْنوعْ
رَقْصٌ وَفَضاءاتٌ زَهْرِيَّهْ
يا وَجْهَ الشّاعِرِ حينَ يَصيرُ حَضاراتٍ
وَدُروبًا تَخْلُصُ مِنْ أَهْوالِ الماضي
لِتُعَبِّدَ آفاقَ الحُرِّيَّهْ —
يا وَجْهَ الأَقْواسِ القُزَحِيَّهْ
يا إيقاعَ قَصائِدِنا النّارِيَّهْ

يا زَهْوَ النّاسِ وَقَدْ خَلُصوا:

رَقَصوا... رَقَصوا... رَقَصوا... رَقَصوا/

رَقْصٌ رَقْصٌ ممْنوعْ
رَقْصُ قَصائِدِنا الغَجَرِيَّهْ/
أَلشّاعِرُ يَقْرَعُ بابَ الأَرْضْ/
الشّاعِرُ يَفْتَحُ بابَ الرَّفْضْ
وَالواقِعُ نارٌ شِعْرِيَّهْ/

رَقْصٌ رَقْصٌ ممْنوعْ/
رَقْصٌ حَوْلَ العَرْشِ المخْلوعْ
وَتَسَلْسُلُ موسيقى جَسَدِيَّهْ.

ديزيره سقال

القصائد الضائعة

٢٠١٨

مطر ١

الغَيْمُ يَرْسُمُني عَبَاءاتٍ
وَيَسْأَلُنِي المطَرْ:
"هَلْ يَستَفِيقُ الدَمْعُ في قَطَراتِيَ الأولَى
وَيَحْمِلُنِي السَفَرْ؟"
لكِنّنِي،
وَأَنَا أَرُدُّ عَلَى تَساؤُلِهِ
يُذَوِّبُنِي كَسُكَّرَةٍ
وَيَشْرَبُنِي الشَجَرْ..

القصيدة

حينَ رَسَمْتُ وَرْدَةً
عَلَى الوَرَقْ
لَوّنْتُهَا بأَحْمَرٍ مُحِبٍّ
رَوّيْتُهَا بتَعَبٍ يَحْضنُهُ العَرَقْ،
حَضَنْتُهَا بنَبْضِ قَلْبي،
وعِنْدَمَا أرَدْتُ أَنْ أَقْطُفَهَا
ضَيَّعْتُهَا عَلَى مَفارِقِ الطُرُقْ...

أبي

كانَ أبي
أُغْنِيَةً عَلَى مَعَابرِ الغُيُومِ
تُسْمِعُ السَمَاءَ صَوْتَهَا.
وَعِنْدَمَأ وَلَدَنِي
غَنّى لأَفْرَاحِي
وَغابْ...

وَصِرْتُ
كُلَّمَا
كَتَبْتُ
حَرْفًا
رَدَّدَ الغِيَابُ صَوْتَهُ

وَأَرْقَصَ التُرابْ
وَكُلَّمَا تَكَوَّنَتْ

فِي قَلَمِي قَصيدَةٌ
وَلَدْتُهُ
مِنْ رَحِمِ الغِيَابْ...

الوحي

يَنْقُرُ بابَ رُوحِي،
يَحْضُرُ غامِضًا
كَأَنَّهُ أَثِيرْ...

وَعِنْدَمَا أَفْتَحُ كَيْ أَرَاهُ
يَترُكُ قُبْلَةً
عَلَى سُطُوري،
يَعِدُ رُوحِي بالنُشُورِ،
ثُمَّ يَطِيرْ...

فِراق

أَحْبَبْتُهَا
وَتَرَكْتُ قَلْبِي
عِنْدَ هَمْسِ حَنَانِهَا...

ثُمَّ افتَرَقْنَا
وَاخْتَفَتْ نَظَرَاتُها...
لَكِنَّنِي،
بَعْدَ الفِراقِ،
مَتَى نَظَرْتُ إِلَيَّ
أَلْفَيْتُ عَينَيْهَا
عَلَى عَيْنَيَّ

وَرَأَيْتُ وِجْدَانِي
يُقَبِّلُ نَظرةَ العَيْنَينِ
فِي شَغَفٍ
وَيَحْمِلُهَا...
إِلَيَّ...

غيم

وَجْهٌ وَعَاشِقَةٌ وَاللوْنُ كالأَرَجِ
ورِحْلَةٌ فِي المدَى بُثَّتْ مِنَ المُهَجِ...
كَوْنٌ تُحَاصِرُهُ غَرَابَةٌ مِنْ شَذًى
أَوْ رَفُّ مُخْتَلِجِ،
لَكِنَّهُ فَجْأَةً يَزُولُ كَاللُجَجِ...

المعاتِبَة

جَاءَتْ مَعَ الشَفَق في ثَوبِها النَزِقِ،
جاءَتْ تُعاتِبُني سَمرَاءَ كالأَلَقِ،
تَشِفُّ مِنْ حُزُنٍ كالنَجْمِ مُؤْتَلِقِ
وَدَمْعَةٌ هَمَلَتْ تَنْسابُ كالعَبَقِ.
سَمراءُ رِقَّتُها وَردٌ بلا وَرَقِ
وَحينَما نَظَرَتْ في العَيْنِ لَمْ تَطِقِ
وَلَوَّنَتْ شَفَتي بِحُزْنِها اللَبِق،
حتّى إذا نَظَرَتْ قَلْبي وَلَمْ يَرُقِ
وَجَدْتُني غَرِقًا أَلْتَذُّ في غَرَقي!

صديق

يَنزِلُ مثْلَ الماءِ
في رَفيفِ خاطِرِهْ،
يمُدُّ لي يدًا
عامرةً بالصِدْقِ،
عامِرَهْ...

وَحينَما أُصَلّي
وأُطْبِقُ العينَينِ
كي
أَراهُ

يَختَفي

بَينَ سُطورِ قلَمي،

يصيرُ...

بيْتَ شِعرٍ

في زَوايا الذاكِرَهْ...

أنا

أَجمَلُ ما في السُّكَّرِ
طَعْمُ السُّكَّرْ.

أَجمَلُ ما في القلْبِ
مُعاناةٌ تَنْبضُ.

أَجمَلُ ما في النَشْوَةِ
سِحْرُ النَشوَهْ.

أَجْمَلُ ما في السِرِّ

غِيابُ الوَعْيِ الأسْنى...

لكنْ
أَجْمَلُ ما فِيَّ
غِيابُكِ
في لَوْنِ العَيْنِ،
وَأَجْمَلُ ما فيكِ...
أنا!

الكتابة

أَلحُروفُ
عُقودٌ منَ الزَهْرِ
حَيْثُ المعانِي أريجْ
والقَصيدَةُ بَيتٌ
يُقيمُ بِه الشِعْرُ
صَمْتَ الضَجيجْ.

عصافير

اَلكَلامُ عَصافيرُ...

يُلقي

بِها

ٱلوَحْيُ

فَوْقَ

ٱلغُصونِ

مُضَمَّخَةً بالعَبيرْ،

تَفْتَحُ الحُلْمَ في قَلْبِنا...

وتَطيرْ...

عيون

لِلسَماءِ عُيونٌ
ولكِنّنا لا نَراها،
تُسافِرُ فيها النُجومُ...
فَتَسْهَرُ نابِضَةً
في عُلاها.

صفحة بيضاء

أَكْتُبُ كلَّ يومٍ
ما يَفيضُ مِنْ مَشاعِري
قَصيدةً عَصْماءْ،
وكُلَّما قَرَأْتُها
رَأَيْتُني
أَمامَ صَفْحَةٍ بَيضاءْ.

ليل

أَلليلُ حِبْرٌ أَسْوَدٌ
وَالأَنْجُمُ الكَلِماتْ...
واللّهُ شَعِرٌ
يَكْتُبُ في أوراقِهِ
قَصيدَةَ الحياةْ.

طفل أبيض

أَلشاعِرُ
طِفْلٌ أَبْيَضُ
يُبْرِئُ جُرحَ الدُنْيا
إنْ جَرَحَتْهُ،
والدُنْيا
يَجْرَحُها الإِثْمُ
فَإِنْ آلَمَها الجُرْحُ كَثيراً
وَلَدَتْهُ...

انتحار

قَرَّرْتُ أَنْ أَنْتَحِرا:
أَقْفَلْتُ عَيْنَيَّ
ولمْ
أَعُدْ
أَرى...
غَرِقْتُ وَحْدي
فِي الظَلامْ،
حَجَبْتُ عَنِّيَ
ٱلكلامْ،
وَصِرْتُ هَهُنا
أَظُنُّنِي مَيْتًا...
وَلَكِنْ

حِينَما نَظَرْتُ
أَبْصَرْتُ الوَرى
موتى جَمِيعُهُمْ...
إلاّ...
أنا!

فانتازيا

أَلغَيمَةُ حُلْمٌ
يَعبُرُ...
مثْلَ
بِساطِ الريحْ،
والغابَةُ
بَحْرٌ
رَنَّحَهُ التَبْريحْ...
وسَماءُ الأَرْضِ...
عَلامَهْ
وَسَمَتْها الشَمْسُ بِشامَهْ،

تَتَعَرّى في الصبْحِ
لِتَسْكُبَ فيهِ الشِعْرْ
فَتُعَرّي
أَحلامَ الدَهْرْ
ليَصيرَ غَمامَهْ...

حرب

بَيْنَ الموتِ وبَيني
حَرْبٌ...
تَأْرٌ مِنْ أَجْيالٍ...
وَتَحَدٍّ في صَبْرٍ وَسُكوتْ...
لكِنّي،
في هَذي الحَرْبِ،
أُقَبِّلُ وَجْهَ الموتِ،
أُعانِقُهُ...
فَيَموتْ...

مال

تَأَخَّرْتُ حَتّى عَرَفْتُ
حُضُورَكِ فِيّا،
وَأَنَّكِ
وَحْدَكِ
في مُقْلَتَيّا...
وَأَنْبَأَني القلْبُ
أَنَّ
كِيَانَكِ
نورٌ لَدَيّا...
وَحينَ نَظَرْتُ إِلَيْكِ

بِعَقْلي

تَلاشى كِيانُكِ مِنّي...

وَلَمْ

أُلْفِ

شَيّا!

كلام

...وَيَزورُ أَحْلامِي الكلامْ:
يَأْتِي كَرِيحٍ
تَحْمِلُ الأَرَجَ البَعيدَ،
تَذوبُ شِعْرًا
أَحْرَقَتْ أَلْفاظُهُ
غَلَسَ
ٱلظَلامْ.

قَلْبي وَرَقْ
ويَدَايَ

مِحْبَرَةٌ

يُضَمِّخُهَا العَبَقْ

لِتُعيدَ رَسْمَ الكَوْنِ

بالكَلِماتِ

بابًا

للسلامْ...

زيارة

زَارَنِي اللهُ يَوْمًا
لِيَسْأَلَ عَنِّي،
فَقَدَّمْتُ قَلْبِي لَهُ
قَهْوَةً،
وَأَوْقَدْتُ عَيْنَيَّ زَيْتْ،
وَأَطْعَمْتُهُ مِنْ صَلاتِيَ
زادًا،
وَعَمَّرْتُ قَلبي
سَماءً وَبَيْتْ...
وَلَكِنَّنِي
بَعْدَ حِينٍ

نَظَرْتُ...

فَأَلْفَيْتُني

كُنْتُ في بَيْتِهِ قاعِدًا...

وَانتَشَيْتْ...

خَلق من عدم

حِينَ
يَدُقُّ
بَابَ
قَلْبِيَ
الأَلَمْ
أَجْعَلُهُ بِالشِعْرِ أَفْرَاحًا
تُزَيِّنُ الدُنْيَا
وَخَلْقًا مِنْ عَدَمْ.

القصيدة الأولى

فِي البَدْءِ كَانَ الحُبُّ...
وَعِنْدَما لامَسَ قَلْبَ الربُّ
تَحَسَّدَ الفردَوْسُ
فِي العَرَاءْ،
وَكَتَبَ القصيدَةَ الأُولى
فَانْبَثَقَتْ حَوّاءْ.

كَون

تَشْرَبُ الرِّيشةُ
فِي الحِبْرِ
رَذَاذَ الوَحْيِ،
تَغْفُو
فِي أَحَاسِيسِ الفُؤَادِ
ٱلعَطِرَهْ،
ثُمَّ تَسْتَلُّ رُؤَاها
مِنْ
زَوايَا
الخاطِرَهْ
وَتُعيدُ الخِصْبَ واللَوْنَ

لِأَمْدَاءِ الأَرَاضِي البَائِرَهْ
لِتَصِيرَ الأَرْضُ
كَوْنًا
خَارِجًا مِنْ مِحْبَرَهْ!

رحيل

يَرْحَلُ الموتى
إلى دُنيا الغيابْ...
يَتْرُكُونَ الأَرْضَ أَفْوَاجًا...
وَلَكِنْ
حِينَ نَسْتَذْكِرُهُمْ
نُبْصِرُهُمْ
فِي هَذِهِ الدُنْيا
وَفِينا حَاضِرِينْ
يَفْتَحُونَ الحُلْمَ
مِنْ غَيْرِ حِسَابْ
وَنَرَانَا نَحْنُ عَنْهُمْ...
غَائِبِينْ...

مطر ٢

يَذُوبُ
الغَيْمُ
مِنْ
تَعَبٍ،
فَيَهْمي علَى صَبْرِ المدَى
مَطَرًا تَجَلّى،

فَتَنْتَفِضُ الطَبيعَةُ مِنْ سُبَاتٍ
وَتَغْسِلُ ثَوْبَهَا...
لِتَصِيرَ أَحْلَى!

هَمْس

هَمَسَ اللهُ بِأُذْنِ الشُّعَرَاءْ:
صَوْتُكُمْ
فِي الأَرْضِ صَوْتِي
وَحُروفُ الوَحْيِ
مِعْرَاجُ السَّماءْ...

راحة

كُلَّمَا أَرْهَقَنِي الوَاقِعُ
وَاشْتَاقَتْ
إِلى الرَاحَةِ رُوحِي
أَفْتَحُ
الحُلْمَ
كِتَابًا

مِنْ سَلِيمٍ
وَدَوَاءً لِجُروحي.

صَيْد

تَطْفُو الغيُومُ
زَوَارِقًا بَيْضَاءَ
فِي بَحْرِ السَمَاءْ...
وَالشَّمْسُ
صَيّادٌ
يَصِيدُ
الذَهَبَ
السَائِلَ
فِي
أَحْلامِ
ماءْ...

خلود

أَلنَاسُ،
حِينَ تَموتُ،
تَغرَقُ فِي التُرابْ،

لَكِنّما الشُعَرَاءُ
تَجْعَلُ
مِنْ
تُرَابِ
ٱلأَرْضِ
كَوْنًا خَالِدًا لِكِيَانِها
يَأْبَى الغِيَابْ...

بيت الله

قَالُوا
بِأَنَّ اللهَ
يَسْكُنُ خَارِجَ الدُنْيا،
تُكَلِّلُ رُوحُهُ غَمْرَ السَمَاءْ...
فَبَحَثْتُ عَنْهُ
فِي البِحارِ،
بَحَثْتُ
فِي لَوْنِ المسَاءْ...

وَبَحَثْتُ
فِي الأَشْيَاءِ،
فِي الغَابَاتِ،

بَيْنَ الناسِ والكَلِمَاتِ
لَكِنْ
لَمْ اَجِدْهُ...

بَحَثْتُ
فِي الطُرُقَاتِ،
بَيْنَ الأَرْصِفَهْ...
وَبَحَثْتُ عَنْهُ
فِي الكَنَائِسِ
وَالجَوَامِعِ
وَالمبَانِي المتْرَفَهْ...

وَبَحَثْتُ

فِي نُورِ النُجومِ
فلَمْ اَجِدْ أَثَرًا لَهُ...

وَتَلَفَّتَتْ عَيْنِي إِلَى قَلْبي الصَغِيرْ
فَوَجَدْتُ فِيهِ اللهَ مُرْتَاحًا
يُساكِنُني
وَيَغْرَقُ فِي العَبيرْ...

حضور

وَكُنْتُ أَظُنُّ
حُضُورِيَ فِي الكَوْنِ
شَيْئًا بَسِيطًا
وَأَنَّ المدَى...
كُلَّ هَذا المدَى
مُسْتَقِيمًا بِدُونِي...

وَلَكِنَّنِي
حِينَ حَاوَلْتُ
أَنْ أَقْرَأَ الكَوْنَ
حَرْفًا فَحَرْفًا
وَأَفْهَمَهُ دُونَ ذَاتِي

وَخَارِجَ مَا فِي حُبُورِي
وَمَا فِي شُجُونِي
عَجِزْتُ...

وَأَيْقَنْتُ
أَنَّ حُضُورَ الوجُودِ
وَما فِي الوُجُودِ
يَغِيبُ...
يَغِيبُ تَمامًا
إذَا لَمْ يَكُنْ
خارِجًا
مِنْ فُتُونِي...!

أمي

وَلَدَتْنِيَ أُمّي...
وَكَانَ حُضُورِي
حُبُورَ الوُجُودِ لَهَا،
وَجَمِيعَ مَسَاءَاتِها
وَصَبَاحَاتِها،
وَغِنَاءَ الفَرَحْ...

وَعَرَفْتُ مَعَ الوَقْتِ
أَنَّ
حُدُودَ
المَرَحْ

قَلْبُ أُمّي،
وَأَنِّيَ
فِي كُلِّ فِعْلٍ فَعَلْتُ
أُعِيدُ وِلادَتَها
فَوْقَ
قَوْسِ
قُزَحْ...

كُوّة

حِينَ يُوَارَى
دَونَ عَيْنَيَّ الأَمَلْ،
أَفْتَحُ فِي الكِيَانِ
كُوَّةً
لِيُدْخِلَ الشِعْرُ إِلَيْهَا ضَوْءَهُ،
وَأُبْصِرُ الجِرَاحَ
كُلَّ جُرْحٍ انْدَمَلْ...

مَنْظَر

الشَّمْسُ بَصّارَهْ
تَقْرَأُ فِنْجَانَ السَّماءْ،
وَالرّيحُ قِيثارَهْ
أَوْتارُها الغُيُومُ وَالبَهاءْ...

وَالبَحْرُ صَفْحَةٌ
أَغْرَقَهَا الحِبْرُ
بِمَدٍّ
أَزْرَقٍ
مِنْ
كِبْرِيَاءْ...

أغنية

الرِيحُ أُغْنِيَّهْ
تُنْشِدُها السَّماءْ،

وَالأَرْضُ حُورِيَّهْ
يَسْحَرُها البَهَاءْ،

وَالشَّجَرُ الوَاجِمُ
فِي العرَاءْ
رَاقِصَةٌ
خَضْرَاءُ
جِنِّيَّهْ...

كنيسة

الشِّعْرُ كَنِيسَهْ
وَقَصِيدَتُهُ ثَالوثٌ:
أُقْنومُ الوَحْيِ،
وَأُقْنُومُ الكَلِماتِ،
وَأُقْنُومُ الإحساسِ الفائِرْ...

والشاعرُ
قِدّيسٌ ثائرْ...

معركة

بَيتي حُصْنٌ
وَصَنَوْبَرَةُ الدارِ عَلَمْ،
وَأَنا قائِدُ مَعْرَكَةٍ
أَدْحَرُ فِيهَا
بِالفَرَحِ الصاهِلِ
جَيْشًا
مِنْ حُزْنٍ وَأَلَمْ...

ضِدّ المألوف

أَلشّاعِرُ إِرْهابِيٌّ
يَتَحَرَّكُ
ضِدَّ المأْلُوفْ...

وَقَصِيدَتُهُ
لُغْمٌ
أَبْيَضُ
مِنْ نَبْضٍ وَحُرُوفْ.

ثَمَر

تَقَطَّرْتُ
بَيْنَ
حُرُوف
القَصِيدَةِ
مِثْلَ رَذَاذِ المطَرْ،
وَفَاحَ بِروحِي
أَرِيجُ المعَانِي
وَأَيْنَعَ
بَينَ السُّطُورِ ثَمَرْ.

وَحينَ هَمَمْتُ بِقَطْفِ الغُصُونِ

لِكَيْ يَتَذَوَّقَها العَقْلُ

ضَاعَتْ...

وَلَمْ

يَبْقَ

مِنْها

أَثَرْ...

شَوْق

كُلَّمَا ذَوَّبَني الشَّوْقُ
إِلَى الدُنْيَا
وَهَبَّتْ
في عُيُونِ السِّحْرِ
أَرْيَاحُ جُنُونِي،
ذَوَّبَ الوِجْدانُ
خَمْرَ
الشِّعْرِ
في قَلْبي وَروحِي
ورَسَمْتُ الكَوْنَ
مِنْ...
لَوْنِ عُيُوني...

سرقة

في عَيْنَيكِ
يُذِيبُ
ٱلشِعْرُ
جنونَ
ٱلخَلْقِ...
بِلَمْحَهْ،

وأَنا وَحْدي...
أَسْرِقُهُ
وَأُجَمِّعُهُ
فِي هَرْيِ القَلْبِ
لآكُلَ قَمْحَهْ...

خَلْق جديد

عِنْدَما
تولَدُ
في
قَلْبي
ٱلقَصيدَهْ
يَسْتَحيلُ الكَوْنُ
مِنْ حَولي
غُيومًا تَتَلاشَى
في خَيالاتْ مَدِيدَهْ...

وتمُرُّ الناسُ
كالأَحْلامِ...

في صَمْتِ الضَّبابْ...

كُلُّ ما حَوْلي
دُخانٌ
يَمَّحِي
مِثْلَ
ٱلسَرابْ...
تَنْبِضُ الأَشْياءُ
في قَلْبي
وتَنْحَلُّ حُروفًا
وبِداياتٍ جَديدَهْ...
***

عِنْدَما

تولَدُ

في

قَلْبي

ٱلقَصيدَهْ

يَسْتَحيلُ الصَّمْتُ

أَلْوانَ غِناءْ،

وَيُعيدُ اللهُ رَسْمَ الكَوْنِ

مِنْ خَلْفِ السَّماءْ...

الشُّهداء

يَرحَلُونْ...
وَدِماهُمْ
تَخُطُّ
حدودَ
السَماءِ،
وفي عَينِهِمْ عَلَمٌ
مَسَحَ اللّٰهُ أَلْوانَهُ
بِالبَهاءِ...
تولَدُ الشَّمْسُ مِنْ دَمِهِمْ،
ويَصيرُ البَنونْ
رايةً مِثْلَهُمْ لِلرَجاءِ
وَمِنْ دَمِهِمْ
يولَدونْ...

شَلاّل

تَبكي الأَرْضُ...
فَتَدْفُقُ
مِنْ
فوقِ
الصَّخْرِ
دُموعُ الأَشْياءْ...
تَتَجَمَّعُ في صَوْتٍ وَصَخَبْ...
وَتَصيرُ خطوطًا كَالضَوءِ
فتَرْسُمُ أَحْرُفُها البَيضاءْ
حَقْلَ غَضَبْ...

حديقة

عَيناكِ
حديقةُ صَمْتٍ
في
بَوْحِ
ٱلأَشْياءْ
يَتَجَمَّعُ كُلُّ كَلامٍ
في صَمْتِهِما
شَجَرًا
مِنْ ضَوْءٍ،
وبُحَيراتِ سَناءْ...

نجوم

كُلَّما دَمَعَتْ

مُقْلَةُ

ٱللهِ

للشَرِّ

بَينَ الخَليقَهْ

وُلِدَتْ نَجمةٌ

في السَّماءِ العَميقَهْ...

عَصَب

عَصَبٌ واحِدٌ
فِي
قَرارِي
يُغَنّي،
وقَلْبي يُرَجِّعُ
صَوْتَ العَصَبْ...

والحروفُ التي تَتَشابَكُ
فوقَ السُّطورِ
تُغَمِّسُ أَلْحانَها
بِغِناءِ القَصَبْ...

سَراب

يَتَراقَصُ هَذا الغامِضُ
في الشِّعْرِ
رَذَاذًا
بَيْنَ
ٱلأَحْرُفِ،
وَالصَمْتُ النائمُ
في صَفَحاتِ كِتابْ
يَتَراءَى
حُلُمًا لِلعَقْلِ
وَدَعْساتِ سَرابْ...

قراءة

قَرَاَ النَّجْمُ
أَلْحانَهُ
في الفَضاءْ،
فَهَمى الوَحْيُ
فَوْقَ
الوَرى
مِنْ
عُيونِ السَّماءْ...

مِرْآة

نَظَرْتُ فِي المِرْآةِ
حِينَ مَسَّني العُمْرُ
بِإِصْبَعِ
ٱلسِنينْ:

وَجَدْتُ مِرْآتي
عَجوزًا
شَيَّبَ الزَمَانُ
شَعْرَها،
تَغْرِفُ مِنْ قَلبيَ
بَعْضَ النَّبْضِ،
مِنْ عَيْنَيَّ ...

كُحْلَها

وَعِطْرَها،

وَمِنْ قِلاعِ كِبْرِيائي

أُغْنِياتِ الخالِدينْ...

أُسْرَة

الَأَشْجارُ صَبايا
تَتَراقَصُ في الرِيحِ
كَحُورِيّاتٍ أَرْضِيَّهْ،

وَالقَمَرُ العاشِقُ
فَوقَ جَدائِلِها
أُغْنِيَّهْ...

والنَهْرُ
وَعُشْبُ الضَّفَّةِ
جُمهورٌ

يَطْرَبُ لِلأَلْحانِ السِّحْرِيَّهْ...

وَالشَّمْسُ
تُطِلُّ
لِتَأْخُذَ عِبْرَهْ
مِنْ هَذي الأُسْرَهْ...

جسد

أَلغُيُومُ جَسَدْ،
وَبُيوتُ الأَرْضِ تُراقِبُهُ...
وَتَموتُ حَسَدْ:

تَتَمَنّى
لوْ خَفَّتْ...
لَوْ طارَتْ...
لَوْ كانَتْ... أَقْرَبَ لِلْمَلَكوتْ...
لَكِنَّ أَنِينَ صَداها
يَتَرَجَّعُ
في صَمْتٍ وَسُكوتْ...

لصّ

الشَّاعِرُ يَسْرِقُ
مِنْ أَسْتارِ الماضي
رُؤْيا الآتي،
وَيَصُبُّ نَقاوَتَها
فِي
نَبْضِ
ٱلكَلِماتِ...

قطار

العُمْرُ قِطارْ
يَمشي
في
صَمْتٍ
عَبْرَ مَمَرّاتِ الأَقْدارْ،
والناسُ
تُسافِرُ فيهِ،
ولكنْ
لا تُعرَف وُجْهَتُها
أَوْ تُعرَفُ أَينَ مَحَطَّتُها،
أوْ تَعْرِفُ
كيفَ
تُغادِرُ تلكَ الدارْ...

العالم

هَذي الخَليقَهْ
تَفورُ فِي المدى...
تَخالُهُ حَقيقَهْ!

لكِنَّنا...
نَنْظُرُ فِي أَعْماقِنا
ونَعْبُرُ الجِدارْ:

تَنْكَسِرُ الأَشْياءُ
كَالغُيومِ في المطَرْ،
تَذوبُ في عُيونِنا

كَأَنّها بُخارْ...

والكَونُ...

كلُّ الكَوْنِ

يستَمِدُّ مِنْ حُضورِنا

حُضورَهُ،

وحينَما نَغيبُ عنهُ...

يختفي

بِلا أَثَرْ...

الأفكار

أَلأَفْكارُ سَنابِلُ قَمْحٍ
تَتَفَتَّحُ
في حَقْلِ ضَمائِرِنا،
ويُخَبِّئُها غَمْرُ ٱلواقِعِ
تَحْتَ بَصائِرِنا
أَعْشابًا في السَّفْحْ،

لَكِنْ
تَتْرُكُ
في صَمْتِ مَحاجِرِنَا
أَثَرًا...
كالجُرْحْ...

صلاة

١ – رَجُلُ الدّين:

صَلُّوا، يُهَا العَبِيدْ،
كَيْ لا تَذُوقُوا النارَ
فِي جَهَنَّمٍ
وَغَضَبَ الإِلَهْ...
صَلُّوا
لِأَنَّ العُمْرَ
ظِلٌّ زَائِلٌ
تَمْتَصُّهُ مَرارَةُ الحَيَاهْ...
صَلُّوا، يُهَا العَبيدْ...

٢ – المسيح:

صَلُّوا إِذَا أَرَدْتُمُ
يَا إِخْوَتِي
أَنْ تَسْكُنَ السمَاءُ
فِي قُلوبِكُمْ،
وَأَنْ تَفِيضَ فِيكُمْ
نَعْمَةَ الإِلَهْ.
صَلُّوا إِذَا أَرَدْتُمُ
يا إِخْوَتِي
أَنْ يَمْلأَ الحُبُّ ضُلوعَكُمْ
وتَشعروا بِنِعْمَةِ الحيَاهْ...

قصيدتي

قَصيدَتِي نافِذَةٌ
نُطِلُّ مِنْ خِلالِها
عَلى
فَرادِيسِ
ٱلضِياءْ،
وَالحَرْفُ شَمْسٌ
نُورُها
يُمَزِّقُ المسْتُورَ
فِي قَرارَتِي
ويُعْلِنُ السُّقوطَ
فِي
خَطيئَةِ
ٱلسَّماءْ...

باب

لا أَفْتَحُ بابًا...
لا أُغْلِقُ بابًا...
لا أَمْلُكُ بابًا...
فَلِماذَا
تَنْقَفِلُ الأَشْيَاءُ
بِبَيْتِ الشِّعْرِ
عَلَيَّ؟

وَلِماذَا
كُلُّ الأَبْوابِ
تَقودُ إِلَيَّ؟

مِمْحاة

كُلَّمَا أَتْعَبَنِي الوَقْتُ
وَأَضْنَانِي الوُجودْ
أُخْرِجُ المِمْحاةَ،
أَمْحوهُ...
أَرُشُّ الشِعْرَ
مِنْ
حَوْلِيَ
إِكْسِيرًا وَحيدًا...
وَشُرودْ...
وَأَقُودُ الَكوْنَ
في الحَرْفِ
قَطِيعًا
نَحْوَ مِعْراجِ الخُلودْ...

قطرة ماء

تَتَجَمَّعُ أَحْلامِي
في رَأْسِي
جَبَلًا
مِنْ
صُوَرٍ
وَهَوَاءْ...

وَتَضِجُّ عَوَالِمُ
فِي صَمْتٍ،
ومَدًى مَشْحُونٍ
بِالفَرَحِ الصَّاهِلِ
أَوْ

بِالحُزْنِ الصَّاخِبِ،
أَوْ
بِهُدوءِ مَساءْ...
ويَفيضُ السِّحْرُ علَى الأَشْياءْ...

وَتَمُرُّ جَنَازَاتٌ...
وَوِلادَاتٌ...
وَبِحارٌ...
وَمَنائِرْ...
تَتَكَسَّرُ
فِي
ٱلصُّوَرِ
ٱلأَشْيَاءُ
وَتَتَّسِعُ الدُّنْيا...

وَتَضِيقُ مَعَابِرْ...

لَكِنّي
أَفْتَحُ عَيْنِي
فَتَذُوبُ
عَوَالِمُ
فِي
رَأْسِي
فِي قَطْرَةِ مَاءْ...

قِدّيس

الشَّمْعَةُ قِدّيسٌ
يَتَلَمَّسُ
دَرْبَ اللهِ
بِبَحْرِ ظَلامْ...
شُعْلَتُها قَبَسٌ
فَإِذَا ٱْطَفَأَتْ
تُنْهي صَلَواتِ الشُّكْرِ
بِسُبْحَتِها
وَتَنامْ...

نَوم

إِذَا رَقَدَ الحَرْفُ
بَيْنَ
جُفُونِ
الكَلامْ
فلا تَجْرَحوهُ...
ولا تُوقِظُوهُ...
لِأَنَّهُ
يَحْلُمُ بِالشِّعْرِ
كَيْ
يَسْتَسيغَ المنامْ...

ضوء أَخضر

عَيْناكِ ضَوْءٌ أَخْضَرٌ
تَتَقَطَّرُ
ٱلغَابَاتُ
فِيهِ
كَأَوَّلِ التَّكْوينْ...
فَإِذَا عَرَتْ إِغْماضَةٌ
عادَ الجَميعُ
إِلى السَديمِ
وذَابَ...
فِي أَغْوارِ طِينْ...

شِعْر

اَللَيْلُ
كِتابٌ أَسْوَدْ
وَنُجومُ اللَيْلِ
حُروفٌ
تَكْتُبُ
شِعْرَ اللهِ الأَوْحَدْ...

طفل طائش

مُنذُ زَمانٍ...
كُنْتُ أَرَاني
فِي المرْآةْ
طِفْلًا طَائشْ...

وَاليَومْ
صِرْتُ أَراني
فِي المرآةْ
طِفْلًا طائشْ...

أَوّاهْ!

كَيْفَ تَغَيَّرَتِ المرآةُ

وَظَلَّ

الطِفْلُ الطائِشُ

فِيها

طِفلاً طائشْ!

وطني

قَالُوا:
وَطَني أَرْزٌ
يَشْمَخُ
نَحْوَ
الأَعْلَى،
وَجِبالٌ
كَلَّلَها العِزُّ السَاطِعْ
وَشَواطِي مِنْ ذَهَبٍ...

لكِنْ
ما عَرَفُوا
أَنْ وَطَني

هذا الشِّعْرُ الرائِعْ...

ما عَرَفُوا
أَنْ وَطَني
يخرجُ...
عَبْرَ مُرورِ الزَّمَنِ المتَرَامي
مِنْ كَفِّ اللهِ الصّانِعْ...

تكوين

زَعَمُوا...
أَنَّ اللهَ
وقَدْ أَطْرَبَهُ نَغَمُ الفِرْدَوْسْ
خَلَقَ الشَّمْسْ...

ثُمَّ رَأَى
تَعَبَ الدَّوَرَانِ
بِوَهْجِ النّورِ
وَرَأى
أَنْ ترتاحَ الشَّمْسُ
بِصَمْتِ الليلِ المسْحورِ
فَتَولّى خَلْقَ القَمَرِ،

وَتَوَلّى خَلْقَ نُجُومِ اللَيْلِ
عَلى مَدِّ النَظَرِ...

وَرأَى الفِرْدَوْسَ
خَلاءً،
فَاسْتَجْمَعَ فِي كَفّيهِ طِينًا
نَفَخَ الرّوحَ بِهِ
لِيَكونَ الإنسانَ الأَوَّلْ.

مَلَّكَهُ الفِرْدَوْسَ
لِيَحْمُلَ لِلإنْسانِ الآتي المشْعَلْ...
لَكنْ
حِينَ رَأَى الدُّنْيا فارِغَةً

مِنْ هَمَساتِ السِّحْرِ
تَوَلّى نَظْمَ قَصيدَتِهِ الأُولى
وَاسْتَخْرَجَ
ضِلْعًا
مِنْ
آدَمِهِ
لِيُحَرِّكَ أَحْرُفَهُ
ويُغَنّيَ شِعْرَ أُلوهَتِهِ
فِي كُلِّ الأَنْحاءْ،
فَانبثَقَتْ حَوّاءْ...

تَكرار

أَلأَرْضُ كَوْكَبٌ
يَظَلُّ كُلَّ عامٍ
يَدورُ حَوْلَ نَفْسِهِ
في اللَيْلِ وَالنَّهارْ...

وبَعْدَ أَنْ يُدْرِكَهُ التَّعَبْ
وَتَسْتَفيقَ فيهِ
شُعْلَةُ الغَضَبْ
يُدْرِكُ أَنَّهُ
عَادَ
إِلى بِدايَةِ المشْوارْ
لِيَبْدَأَ التَّكرارْ...

كلامٌ زَائر

وَيَزُورُ أَحْلامي الكَلامُ...
تُهْديهِ
وَرْدًا أَحْمَرا،
تَسْقيهِ
وَحْيًا أَشْقَرا،
تَتَفَتَّحُ الباقَاتُ بَينَ حُروفِهِ —
وَحُروفُهُ
تَرْوي ثَناياها المدامُ...

وَمتى تَحَوَّلَ عَنْ زِيارَتِهِ إِلَيَّ
لِكَيْ
يُخَبِّرَني عَنِ الأَحْلامِ

أُدْرِكْ أَنَّهُ

فِي الشِّعْرِ

لَفْظَتُهُ تَذوبُ،

وَوَعْيُهُ فِيهِ...

خَيالٌ...

أَوْ

مَنامُ،

وكَأَنَّ أَحْرُفَهُ تَنامُ.

جِراح

الأَوْراقُ
جِراحٌ
بِيضٌ،
والأَقلامُ
إِبَرْ...
والأَحْرُفُ
خِيطانٌ
سَوْداءُ
تُخيطُ جِراحَ الأَحْلامِ
بصَمْتٍ وخَفَرْ...

قَمَر

حِينَ انْتَحَرَ القمَرُ
ٱحْتَضَنَتْهُ الشَّمْسْ
وَمَشى بجَنازَتِهِ
ٱلنَجْمُ وإِخْوَتَهُ...

ومَتى بَلَغوا الرَّمْسْ
لَمْ يجِدوا الجُثَّةَ...
أَلْفَوا
وَهْجًا فِضِّيًّا
وقَصيدَةَ نُورٍ
تُكْتَبُ كُلَّ مساءٍ...
تُلْقيها الدُنْيا فِي هَمْسْ...

ورقة

ورَقَةُ الخَريفْ
تَعْكُسُ
تَاريخَ الشَّجَرْ...
لَكِنَّها
فِي رِعْشَةِ الحَفِيفْ
تَحْلُمُ بالمطَرْ...

شَجَرُ

شَجَرُ الغابَةِ
يَرْفَعُ كَفَّيْهِ
مُبْتَهِلاً للهِ...
وَيُصلّي...
آنًا آياتٍ،
آنًا صَلَواتٍ...
لا يَفْصُلُ بينَ الأَدْيانْ...

لكِنَّ الإِنْسانْ
يَتَرامى بالشَّيْطانْ

وَبِأَلْفِ إِلَهٍ جَبّارِ...

ويظَلُّ يُصَلّي...
لَكِنْ
يَخْلُطُ
بَيْنَ الجنَّةِ والنارِ...

سراج

أَلليْلُ سِراجٌ أَسْوَدْ
والقمَرُ الفِضِّيُّ
ذُبالَتُهُ،
يَخْشَعُ
للهِ
ٱلأَوْحَدْ،
وتَعُمُّ الدُّنيا بَسْمَتُهُ...

غياب

غِيابُكِ أَجْنِحَةٌ
تَتَحَرَّكُ
نَحْوَ
عَميقِ
الفُؤادْ،

وقَلبِيَ دونَكِ
قَصْرٌ فَرَاغٌ
وَأُنْشودَةٌ
مِنْ رَمادْ...

ولَكِنَّ نَظْراتِكِ الرّاعِشَاتِ
مُعَلَّقَةٌ فَوْقَ جُدْرانِهِ
لِتَعودِ بها
مَطَرًا مُنْعِشًا كَالسَرابْ
هاطِلاً
فَوْقَ
أَرْضٍ
خَرَابْ...

إرهابيّون

(إلى داعش)

ماتُوا كالظِلِّ
لِأَنَّهُمُ
وعَدوهُمْ بالجَنّاتْ...
وَبِأَنْهارٍ مِنْ خَمْرٍ
وبِأَبْكارِ الحُورِيّاتْ...

ماتُوا حِقْدًا
ومَضَوا...
لا جَنّاتِ...

ولا آيَاتِ كِتابْ...

موتُهُمُ وحِياتُهُمُ

وَهْمٌ مَسعورٌ

وَرِياءٌ

وَسَرابْ...

فلّاح

يَحْرُثُ الشَّمْسَ الَّتي أَدْمَنَها
حَبُّ التُّرابْ...

كَفُّهُ
مِنْجَلُ خَيْرٍ،
صَوْتُهُ
نَايُ السَّرابْ،
ومَداهُ
غِنْوَةُ العُصْفورِ
تَذْروها يَداهُ
في حروفِ الزَّرْعِ،
في حِبْرِ السَّواقي

وَالسَّحابْ...

يَقْطُفُ الوَحْيَ
ثِمارًا أَيْنَعَتْ:
تِينًا
وَتُفّاحًا
وَأَعْنابًا مَديدَهْ...
شَدْوُهُ في الحَقْلِ
وَزْنٌ،
كَدْحُهُ
صَدْرٌ وَعِجْزٌ،
وكَفافُ الخُبْزِ في البيتِ القصيدَهْ...

عُمْر ٢

عُمْري رَقَّاصُ الساعَهْ
يَتَحَرَّكُ
بينَ الماضي والآتي
وثَوانِيهِ تَرجُفُ مُلْتاعَهْ...

لَكِنِّي أَمْشي...
أَرْمي خَلْفِي
هذا الوَقْتَ البائدَ،
أَحْفُرُ بِالوَحْيِ
جِدارَ الزَمنِ الصَلْبَ
وَأُورِقُ في الشِّعْرِ كَثيرًا
وأُكَسِّرُ نَعشي...

يسوع

كُلَّ مَسَاءٍ وَصَباحٍ
يُولَدُ طِفْلًا
في الصَلَواتْ...

كُلَّ صَباحٍ وَمَساءٍ
يَجْلُدُهُ الإِنْسانُ
بِطَيْشٍ
وَيُكَرِّرُ سِفْرَ الصَّلْبْ...

كُلَّ مَساءٍ وصَباحٍ
يُولَدُ

فِي فِرْدَوْسِ القَلْبْ،
في فَرَحِ الوَجَناتْ...

يَتَكَرَّرُ هذَا المشْهَدُ
كُلَّ صَباحٍ
ومَساءٍ،
يَحْنو الموْتُ عَلَيْنا...
يَتَكَسَّرُ هذا العالَمُ
في أَيْدِينا،
نَزْرَعُ فيهِ الحِقْدَ
وَنُحْرِقُ فيهِ الخِصْبْ!

لَكِنَّ الرَّبَّْ

يَنْزِلُ كُلَّ صَباحٍ وَمَساءٍ
مِنْ إِكْليلِ الشَّوْكِ
وَمِنْ
وَجَعِ
ٱلصَّلْبِ
إلَينا
لِيُطَهِّرَنا
في قُدّاسِ الحُبّْ...

دم

المطَرُ النّازِفُ

مِنْ

جُرْحِ

الغَيْمِ

دَمُ...

يَتَساقَطُ

فَوقَ

أَنينِ

ٱلأرضِ

فَتَبتَسِمُ:

يَخْضَرُّ

فَتولَدُ مِنْهُ الأعشابُ...

يَخُطُّ تُرابُ الأَرضِ قَصيدَتَهُ

مِنْ لونِ الزَّهْرِ

ومِنْ رائِحَةِ السِّحْرِ...

يصيرُ رَبيعُ الأرْضِ

حُروفَ الشِّعْرِ،

يصيرُ الماءْ

يَنبوعًا أبَدِيًّا

يَتَعَمَّدُ فيهِ الخَلْقُ

وتَسْكُنُهُ الأَضْواءْ...

أخضر

الأَخْضَرُ
يَخْرُجُ منْ عَينَيكِ
رِداءْ
لِتَصيرَ الدُنيا
فَرَحًا وربيعًا
يَسْكُنُ
في دُنيا خَضراءْ...

عُمْر ٢

يَتَسَلَّلُ عَبْرَ خَلاياىَ عُمْري
كَلِصٍّ
خَفيفٍ...
وَيَمْحو بِخِفَّتِهِ
صُوَرَ الذَّكِرَهْ...
هُوَ العُمْرُ
بَينَ ثَنايا الصَّدى
لَحْظَةٌ
عابِرَهْ...

جدّتي

جدَّتي
كانَ يَحْضُرُني وَجْهُها
مِثْلَ هَمْسٍ بَعيدٍ
يَجيءُ...
مِنَ
ٱلزَّمَنِ
ٱلمتَراخي
ومِنْ مُعْجزاتِ الحَكايا...

وحينَ كَبِرْتُ
وَضَيَّعْتُ وَجْهِيَ بَيْنَ المرايا
وَصِرْت أُلَمْلِمُ ضَوْءَ ٱلطُّفولَةِ

مِنْ كُلِّ زاوِيَةٍ في الزَّوايا
لِأَغْرقَ في غَمْغَماتِ العَبيرْ
كَانَ يُشْرِقُ مِنْ داخِلي
وَجْهُ جَدَّتِيَ المسْتَديرْ
يُعيدُ إِلَيَّ الحَكايا
وَأَنْسى حُضوري...
لِأَرْجِعَ في حِضْنِها
خاطِرًا هامِسًا...
يَتَخَطّى الرَّزايا،
وَطِفْلًا صَغيرْ...

طِفل

(إلى حفيدي ستيف – ديزيره)

جاءَ...
فَاخْضَرَّتِ الشَّمْسُ
وَالأَرْضُ
وَالمسْتَحيلْ...
وَغَدا القَلْبُ نَسْمَةَ خَلْقٍ جَديدٍ
وَقَوْسَ قُزَحْ
يَغْسِلُ الكَوْنَ حَوْلي
بِحَقْلِ الخُلودِ الظَّليلْ،
وَبِلَوْنِ الفَرَحْ...

جاءَ...

فَاخْضَرَّتِ الأُغْنِياتْ
وَتَلَوَّنَ بِالخَلْقِ
حَقْلُ الحَياةْ...

جاءَ...
فَاخْتَصَرَ العُمْرَ في نَظْرَةٍ...
تَتَسَلَّلُ
مِنْ
كُوَّةِ
البَسَماتْ...

لُغَتي

لُغَتي...
هَذا
ٱلنَّبْعُ
ٱلدَّافِقُ
مِنْ أَعماقِ القِمَمِ السَّكْرى...

لُغَتي...
وَرَقُ الشَّجَرِ الأَخْضَرُ
وَالزَّهْرُ المتَفَتِّحُ
بَعْدَ
كُمونٍ،
وَشُروقُ الشَّمْسْ...

لُغَتي
تَخْرُجُ
مِنْ
قَلْبِ الدُّنْيا
تَنْفُضُ عَنْ أَحْرُفِها
أَطْلالَ الماضي
وَغُبارَ الأَمْسْ...

قصيدة الغابة

أَلغابةُ تَكْتُبُ
عِنْدَ الفَجْرِ قَصيدَتَها
وَقَصيدَتُها أَلْوانٌ:
أَلأَشْجارُ سُطورٌ،
وَالتُّرْبَةُ أَوْراقٌ،
وَبَراعِمُها الكَلِماتْ،
وَالشَّمْسُ الوَحْيُ الساكِنُ،
وَالرّيحُ
تِلاواتُ الشِّعْرِ
وَرَقْصُ الفَرَحِ الصَّاهِلِ
مِنْ بَيْنِ البَسَماتْ...

قصيدة

قِطَعٌ
مِنْ رِئَةِ الحِبْرِ،
ودَمْعٌ
مِنْ عُيونِ الوَقْتْ
سَقَطَتْ
حَوْلَ
جُفونِ
السَّمْتْ،

وحروفٌ...
كَلِماتٌ...
وعُصورٌ عابِرَهْ،

وزَمانٌ
في رَذاذِ الذّاكِرَهْ
تَمسَحُ الوَقْتَ
وتَنْحَلُّ دُخانْ...

كُلَّما انسَلَّتْ مِنَ القَلْبِ
إلى صَدْرِ المكانْ
لَوَّنَتْها المحْبَرَهْ
بِذُهولِ الخَلْقِ في شاعِرِها
ورَمَتْ عَنْها...
قَوانينَ الزَّمانْ...

قِطْعَةٌ

مِنْ رِئَةِ الحِبْرِ،
ودَمْعٌ
مِنْ عُيونِ الوَقْتْ
تَرْسُمُ الكَوْنَ جَديدًا
في جُفونِ الصَّمْتْ...

وجه

ذابَتْ عُيونُ اللَيْلِ
في خَدَّيْكِ
فَاسْمَرَّتْ
حُروفُ الوَجْهِ
وَالْتَمَّتْ قَصيدَهْ:
عَيناكِ قافِيَةٌ مَديدَهْ
وَلآلِئُ الشَّعْرِ
آبْتِهالاتُ المحالْ،

وَالشِّعْرُ

سَهْلٌ مِنْ مَعانٍ
لَمْلَمَتْ أَلَقَ الخَيالْ،

وَالوَجْهُ
خارِطَةُ الجَمالِ
على
خَيالاتي الشَّريدَهْ...

ديزيره سقال

كتاب الأناشيد

٢٠١٨

السّندبادُ يعود إلى خرائب بيروت

"بيروت الرومانية. كانت فيها مدرسة الحقوق.
خربت وضاعت في البحر."

تَمَنَّيْتُ لَوْ يَصْدَأُ اللَيْلُ حَوْلي
وَيَسْقُطُ وَحْشُ المسافَةِ
بَيْني وَبَيْنَ الظّلامِ الَّذي لَفَّ قَلْبي...
تَمَنَّيْتُ لَوْ يَسْتَفيقُ المدى
في زَمانِ الوُضوءِ
ٱلَّذي يَسْبُقُ الذِّكْرَياتْ.
وَطَنٌ في شُقوقِ الزَّمانِ
يُفَجِّرُ زَهْوَ الحَياةْ...
وَطَنٌ يَتَفَجَّرُ كَالْمَحْوِ
تَحْتَ نِعالِ الطُّغاةْ.

***

تَمَنَّيْتُ حينَ نَظَرْتُ إلى الأُفْقِ
يَرْحَلُ مِلْءَ السَّفينْ
لوَ آنّي أُشَطِّطُ في زَهْوِ أَرْضي
وَتَمْتَدُّ أَرْضي
لِتُصْبِحَ راياتُها صَوْتَ رَفْضي
يُزَغْرِدُ فَوْقَ الجَبينْ...
تَمَنَّيْتُ آهِ! يُفَجِّرُني البَحْرُ
مُنْحَطِمًا في زَوايا الوُجودِ، وَأَرْضي
رُكامٌ يُلَمْلِمُهُ شَعْبُهُ
بارِدًا مِثْلَ وَجْهِ الرَّدى
وَانْفِجارِ الحَنينْ.

***

تَمَنَّيْتُ لَوْ طِرْتُ في الوَحْيِ
أَخْرُجُ مِنْ زَمَنٍ حاصَرَ الأَرْضَ كَالعَنْكَبوتْ

وَرَدَّ المروجَ خَرابًا،
وَصارَ فَضاءً لِشَعْبٍ يَموتْ...
تَمَسَّكْتُ بِالضَّوْءِ وَهْوَ سَرابٌ،
وَبِالشَّعْبِ وَهْوَ حُطامٌ
تَناثرَ كَالخِرَقِ البالِيَهْ
وَباتَتْ عُيوني
تُمزِّقُها الضِّحْكَةُ العالِيَهْ:
جِباهٌ تُكَوِّرُها صَرْخَةُ الجَبْرَؤوتْ
وَتَزْهو الطُّغاةُ عَلَيْها
كَفَنِّ القَصيدَةِ يَكْتُبُها الوَحْيُ.
آهٍ!
خَرَجْتُ إِلى مَوْطِني:
لَيْسَ في وَطَني
غَيْرُ صَوْتِ المسوخِ الَّتي زَعَموها
رِجالًا،

يَداها مَباخِرُ
وَالحَقُّ في صَوْتِها
مِثْلَها: حَطَبٌ غُيِّبَ الدَّمُ فيهِ،
يَموتْ...

(١٣/ ١٠/ ٢٠٠٠)

قصيدة خليل حاوي

(أو سمفونيّة الغضَب)

(خليل حاوي: شاعر من لبنان حمل همّ القضية العربية، وانتحر احتجاجًا على الصمت العربيّ والتّقاعس عندما اجتاحَت إسرائيل أوّل عاصمة عربية وسط صمت عربيٍّ رهيب...)

– ١ –

غَضَبٌ على الطَّرَفَيْنِ يَصْهَلُ
وَاحْتِضاراتُ اللَيالي في احْتِضاري.
مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ ذَلِكَ التّاريخُ وَالمَوْتى
لِتَذْوِيَ رايَةَ الدُّنْيا،
وَيَنْكَسِرَ انْتِظاري...؟

غَضَبٌ لِمَجْزَرَةِ الصَّدى...
غَضَبٌ لِأَحْلامٍ وُئِدْنَ عَلى مَرارَتِهِنَّ...
وَجْهُكَ سُنْبُلٌ

طَعَنَ الرِّماحَ بِقَمْحِهِ
لِيُبَرْعِمَ الخُبْزَ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ
عانَيْتُ أَمْواجَ انْكِساري:
خُبْزٌ لِأَحْلامٍ يُبَدِّدُها وَطَنْ.
خُبْزٌ لِدَيْجورِ الكَفَنْ.
خُبْزٌ لِجوعِ العَصْرِ يَهْوي خَلْفَهُ
بَرْقٌ تَكَسَّرَ في العَفَنْ...
وَيَظَلُّ وَجْهُكَ حاضِرًا حَتّى الجُنونِ
كَأَنَّ في عَيْنَيكَ نارًا فَوْقَ نارِ
وَكَأَنَّمَا الدُّنْيا هَباءٌ
أَوْ شِراعٌ نَظَّمَ التّاريخَ جُلْجُلةً رَذاذًا
في جُنونِ البُؤْسِ.
نارٌ فَوْقَ نارِ
وَاللَّيْلُ مُنْطَفِئٌ عَلى بَرْدِ الثُّلوجِ
يُقيمُ في كُلِّ القُلوبِ

مَناحَةً لِلْعائِدينَ إِلى الرَّدى.

صَدِئَ الرَّدى...

صَدِئَ الزَّمانُ عَلى المدى...

صَدِئَ الزَّمانُ عَلى انْكِساري...

- ٢ -

غَضَبٌ يُزَغْرِدُ صامِتًا

في ظِلِّ حَمْحَمَةِ الخُيولْ

وَمَلامِحِ السَّيْفِ الَّذي يَبْكي عَلى طَفَراتِهِ

تَحْتَ الجَليدِ

وَتَحْتَ أَحْذِيَةِ المغولْ...

ما زالَ طَعْمُ العارِ مِنْ أَلْفٍ

يُزَغْرِدُ، يا خَليلُ، عَلى الجِباهْ،

وَيَفورُ كَالتِّبْنِ المُدَوّي

عَبْرَ أَبْياتٍ مِنَ الزُّلْفى

تُرَجَّعُ في الشِّفاهْ.
ما زالتِ الرُّؤْيا رَمادًا بارِدًا
يَمْتَدُّ في أَرْضٍ بَوارِ
لَمْ تَغْتَسِلْ في الرَّعْدِ مِنْ أَلْفٍ
وَأَغْوَتْها دَياجيرُ المتاهْ:
أُمَمٌ يُزَوْبِعُها الدَّمارُ عَلى الدَّمارِ،
أُمَمٌ تُفَرِّقُها العُروشُ عَلى ثَنايا بابِلٍ
وَكَأَنَّها لَمْ تَعْرِفِ الرَّعْدَ المزَغْرِدَ
في سُيوفِ "الفَتْحِ"
يَرْفُلُ فَوْقَ رَقْصاتِ الشِّفارِ...
أُمَمٌ تَفورُ عَلى تُرابِ الأَرْضِ كَسْلى،
لا تُنَجّيها الرُّؤى/ أَوّاهُ!
كَمْ ذَرَفَتْ دُموعُكَ في دِماها، يا خَليلُ،
وَعانَقَتْ رُؤْياكَ ضَوْعَ الفَجْرِ
في عُمْقِ الأَصالَةِ،

كَمْ تَفَجَّرَ حَرْفُكَ المشْحونُ بِالغَضَبِ
لِيُهيلَ مِنْ رُؤْياهُ فَوْقَ جُسومِنا
بَعْضَ الكَرامَةِ، أَوْ
لِيَصْرُخَ فَوْقَ جُثَّتِنا
وَيَرْشُقُها بِنَبْضٍ مِنْ حَياةٍ،
غَيْرَ أَنَّ اللَيْلَ رَدَّ مَلامِحَ العَرَبِ
فَحْمًا بِلا شَكْلٍ وَلا عَصَبِ
وَيَدَينِ مِبْخَرَتَينِ لِلزُّلْفى،
وَأَقْنِعةً بِلا وَجْهٍ
تُهَوِّمُ في ٱنْكِسارٍ...
في ٱنْكِسارِ...

جُثَثٌ... وَأَحْلامٌ يُفَتِّتُها
صَهيلُ المَوْتِ في رُعْبِ الجُثَثْ.
كَمْ لَخَّصَتْ في دَمْعِها المكْسورِ

تاريخَ العَبَثْ!

– ٣ –

غَضَبٌ لِأَحْلامِ الفُتوحِ،
يَمُرُّ في وَجْهي زَمانٌ باردٌ حَتّى الصَّقيعِ...
وَتَنْحَني فَوْقي:
أَنْكِسارُكَ موجِعٌ
لَكِنَّ وَجْهَكَ يَفْتَحُ التّاريخَ لِلآتي
وَيَخْتَرِعُ البُروقَ مِنَ المحيطِ إِلى الخَليجِ،
مِنَ الخَليجِ إِلى البِحارِ...
وَيَمُرُّ مُنْتَزِعًا جُذورَ الذُّلِّ
في تاريخِنا المقْهورِ:
"كُنْ فَيَكونَ"...
وَجْهُكَ وَجْهُنا
لَكِنَّ في بَرْدِ المرارَةِ غَيْهَبًا

مَطَّ الثَّوانِيَ فَاسْتَحالَتْ أَعْصُرًا
وَعَدا عَلى الزَّمَنِ العَقيمِ فَصارَ تاريخًا،
وَأَرَّخَ لِلْعُروشِ عَلى ٱنْكِساراتِ النَّهارِ:
في كُلِّ عَرْشٍ مَجْزَرَهْ...
في كُلِّ عَرْشٍ مِقْبَرَهْ...
هَوَتِ الرِّجالُ
وَظَلَّتِ الأَنْصابُ قائِمَةً
عَلى لَيْلٍ فَقيرٍ
يَرْتَعي في روحِنا،
وَيُعَبِّئُ الأَجْيالَ بِالقَشِّ البَوارِ
أَلَلَيْلُ يَكْسِرُ ما تَعالى
مِنْ سُيوفِ "الفَتْحِ"
في غَضَبِ المروءَةِ وَالشِّفارِ،
أَلَلَيْلُ فَوْقَ اللَيْلِ يَبْتَلعُ المكانَ
وَيَحْتَمي بِالعَرْشِ مَزْهُوًّا

عَلى دُنْيا نِثارِ...

- ٤ -

غَضَبٌ مِنَ القَهْرِ المؤَصَّلِ عَبْرَ آصالِ الهَزائِمِ.
لَمْ يَعُدْ في مُهْجَتي غَيْرُ الدُّخانِ
وَغَيْرُ آفاقٍ
مِنَ الحُلُمِ المصَفَّحِ وَالهَباءْ.
وَطَنٌ يُزَلْزِلُهُ الرِّياءْ.
وَطَنٌ يَجوعُ إِلى صَفاءِ النّورِ
تُلْهِبُهُ جِراحُ الرَّعْدِ في شَبَقِ المدارِ.
وَطَنٌ تُمَزِّقُهُ العُروشُ
وَأَلْفُ مَسْخٍ مِنْ مُسوخِ الذُّلِّ
يَجْلِدُها الدُّوارُ عَلى الدُّوارِ.
وَطَنٌ يُخَلِّفُ في المدى
أَشْتاتَ تاريخِ

هَوى مُتَفَسِّخًا عَبْرَ الدُّروبِ.
كَأَنَّما جُنَّ الزَّمانُ
فَفَجَّرَتْهُ صَوْلَةُ العارِ الَّتي انْحَذَرَتْ
عَميقًا في القَرارِ.
عارٌ يُطَأْطِئُ جَبْهَةً
قَطَفَتْ عَناقيدَ الضِّياءِ مِنَ الغُيوبِ...
عارٌ يُكَسِّرُ قامَةً
شَمَخَتْ عَلى الفُرْسانِ
في غَضَبٍ طَروبِ...
أَوّاهُ! كَمْ عَصَفَتْ رِياحُ الجَرْدِ في وَجْهي
وَزَلْزَلَتِ البُروقُ مَلامِحَ العُشّاقِ،
كَمْ هَصَرَتْ مَلامِحُكَ الخَبيئَةُ
ما تَجَلّى في غُصونِ الرَّعْدِ،
أَوْ سَرَّبْتَ عِشْقَكَ في فُؤادي
فَاعْتَصَمْتُ بِقَلْبِكَ الصِّدّيقِ!

كَمْ هاجَرْتُ في "صَنّينَ" أَبْحَثُ عَنْ شَرارِ...
وَيَمُرُّ وَجْهُكَ فَوْقَ ضَوْعِ الصَّعْتَرِ البَرِّيِّ:
"كُنْ فَيَكونَ"...
هَذا اللَيْلُ يَفْتَحُ قَلْبَهُ لِلمُسْتَحيلِ
وَيَحْضِنُ النَّعْناعَ في عُمْقِ الوُعورِ/
هُناكَ صورَتُنا
وَلَكِنَّ البَقايا زَلْزَلَتْ طَبْعَ السَّديمِ
فَقامَ لَيْلٌ قاحِلٌ
يَجْتاحُ أَرْحامَ المدى...
هَلْ كُنْتَ غَيْرَ الرّيحِ تَعْصِفُ في وُعورِ الجَرْدِ
يَقْضِمُها الصَّدى؟
هَلْ كُنْتَ غَيْرَ "الجِسْرِ"
نَعْبُرُ فَوْقَ أَضْلُعِهِ
إِلى "الشَّرْقِ الجَديدِ"؟
يُها الَّذي نَفَضَ الظَّلامَ عَنِ ٱنْتِظاري

ما زالَ صَوْتُكَ في ضَميرِ الشَّرْقِ زَوْبَعةً
تُقَوِّضُ ما تَرامى مِنْ بُروجِ العارِ
وَاللَيْلِ المَقيتْ.
ما زالَ صَوْتُكَ في قَراري
سورًا بِوَجْهِ الصَّمْتِ وَالزَّمَنِ المميتْ:
صَدِئَ الرَّدى...
صَدِئَ الزَّمانُ عَلى المدى...
صَدِئَ النِّضالُ عَلى ٱنْكِساري...

يا صَبْرُ، مُدَّ إِلَيَّ وَجْهَكَ:
لَيْسَ في "صَنّينَ" ما يُؤْوي الرِّياحَ،
وَلَيْسَ في قَلْبي سِوى غَضَبٍ حَرامْ:
الأَرْضُ سَوَّرَها الظَّلامْ
وَالفَجْرُ يَخْفُقُ
في انْتِظارٍ... في انْتِظارِ...

عَرَبٌ... عَرَبْ...

عَرَبٌ تُزَنِّرُها العُروشُ

وَيَشْتَريها الغَرْبُ مِنْ جيلٍ إِلى جيلٍ

وَيَمْلَأُها الصَّخَبْ.

عَرَبٌ تَناسَتْ صَوْلَةَ الطَّوَفانِ

وَالسَّيْفَ المزَغْرِدَ في فُتوحِ اللهِ،

وَالقاماتِ يَحْمِلُها إِلى الدُّنْيا اللَهَبْ...

عَرَبٌ... عَرَبْ...

ما زالَ في وَحْشِ الضَّميرِ يَمُرُّ مَأْتَمُكَ المهيبُ.

أَمُتَّ؟ لَكِنَّ البَراري

أَيْقَظْنَ وَجْهَكَ في جُذورِ السِّنْدِيانِ،

وَهَبَّ في أَلَقِ الجَنوبِ

سَواعِدًا تَنْمو لِتَحْتَضِنَ الثَّرى

وَتُعيدُ لِلتّاريخِ جَبْهَتَهُ،

وتَبْرُقُ كَالشِّرارِ

في شَمْخَةِ الأَرْضِ الَّتي ارْتَفَعَتْ
وَكَلَّلَها اللَهَبْ،
تَنْداحُ مِن قانا إِلى قانا،
وَيَحْمِلُها الغَضَبْ...

– ٥ –

لُبْنانُ قَلْبُكَ، يا خَليلُ،
وَصَوْتُكَ الدُّنْيا،
وَعَيْناكَ العَرَبْ،
وَيَداكَ تَنْغَرِسانِ في عُمْقِ الثَّرى
أُنْشودَةَ القَمْحِ الَّذي غَمَرَ المنازِلَ وَالحُقولَ،
وَذَهَّبَ الفَجْرَ المصَفّى فَوْقَ "صَنّينَ".
أُلْتِهابًا كُنْتَ
يَبْزُغُ مِنْ دَياجيرِ الدَّمارِ
لِيُكَلِّلَ الأَجْيالَ بِالرَّفْضِ الهَتونِ.

يُها المصَفِّقُ مِنْ عُلاكَ لِثَلْجِ "صَنّينٍ"
وَريحِ الجَرْدِ في لَهَبِ المدارِ
لُبْنانُ وَجْهُكَ في نَشيدِ البَرْقِ
يَفْتَحُ لِلْعُروبَةِ صَفْحَةً مَنْسِيَّةً
وَيَلُمُّ ما انْسَحَقَتْ بَقِيَّتُهُ مِنَ الإِعْصارِ،
يَزْرَعُهُ انْفِجارًا في القَرارِ...
لُبْنانُ قَلْبُكَ، يا خَليلُ،
وَصَوْتُكَ الدُّنْيا،
يُزَلْزِلُ لَعْنَةَ التَّلْمودِ،
يَفْتَحُ لِلْعُروبَةِ دَرْبَها.
لُبْنانُ قَلْبُكَ.
مِنْ هُنا تَتَوالَدُ الحِقَبُ.
يَلْتَمُّ طَعْمُ ضَميرِنا النّامي عَلى سَيْفٍ
تَناسى شَكْلَهُ العَرَبُ...
عَرَبٌ... وَتاهوا في تَوازُنِهِمْ

كَأَنّا وَحْدَنا مَنْ يَحْمِلُ العارَ الَّذي وَهَبوا،
وَكَأَنَّما الرَّحْمَنُ لَمْ يَدْعُ النُّفوسَ إلى جِنانٍ
عَبْرَ أَشْفارِ السُّيوفِ
يَحُرُّها الغَضَبُ!
عَرَبٌ يُفَتِّتُهُمْ عَويلُ الصَّمْتِ
مِنْ جيلٍ إلى جيلٍ،
وَيُطْرِبُهُم صَدى التَّرْدادِ... حَتّى النَّوْمِ...
ناموا في دُجى الدُّنْيا،
فَلا حِسٌّ... وَلا عَصَبُ...
عَرَبٌ تَرامَوا سَيْفُهُم خَشَبُ.
عَرَبٌ يُحاصِرُ تيهَهمْ عَرَبُ...
هَلْ مُتَّ؟ لا... ما زالَ صَوْتُكَ
عَبْرَ لَيْلِ الصَّمْتِ زَوْبَعَةً تُشيرُ بِكَفِّها:
"أَنا مِنْ هُناكَ"...
يُها المصَفِّقُ مِنْ عُلاكَ لِريحِ "صَنّينٍ"

وَصَخْرِ "شُوَيرِها"،
هَلْ مُتَّ؟ لَكِنَّ البَراري
أَيْقَظْنَ وَجْهَكَ في صُخورِ السِّنْدِيانِ
وفي عُروقِ الأَرْزِ
جَمْرًا لاهِبًا بَيْنَ الجِمارِ.
مِنْ أَجْلِ غُرْبَتِنا ٱنْتَشِرْ.
مِنْ أَجْلِ غُرْبَتِنا ٱنْتَصِرْ...
هَلْ مُتَّ؟ لا... ما زالَ عَصْفُكَ
يَفْتَحُ الدُّنْيا على الدُّنْيا
وَيَحْتَرِفُ الصَّخَبْ
ما زِلْتَ في عَرَقِ السَّواعِدِ طَفْرَةً
تَنْمو لِتَحْتَضِنَ الثَّرى
وَتُعيدَ لِلتّاريخِ جَبْهَتَهُ،
وَتَبْرُقُ كالشرارِ
في شَمْخَةِ الأَرْضِ الَّتي ٱرْتَفَعَتْ

وَكَلَّلَها اللَهَبْ،
تَنْداحُ مِنْ قانا إِلى لُبْنانَ
زَوْبَعةً عَلى عُرْسِ الغَضَبْ...

برج العار

(أو قصيدة إسرائيل)

"ما لِثِقْلِ العارِ؟
هَلْ حُمِّلْتُهُ وَحْدي
وَهَلْ وَحْدي، تُرى، كَفَّنْتُ وَجْهي بِالرّماذْ؟"
(خليل حاوي – الرعد الجريح)

– ١ –

أَلَلَيْلُ يَرْكُمُ في عُيونِ العَصْرِ
أَسْوارَ الدُّجُنَّةِ وَالضَّحايا،
وَالصَّمْتُ يَبْرُكَ في المدى
صَلِفًا عَلى وَقْعِ المنايا –

وَجَعٌ تَمُرُّ رِياحُهُ هَدّارَةً هَوْجاءَ فَوْقَ الأَرْضِ،
وَالرُّعْبُ المدَوّي يَصْدَعُ الطُّرُقاتِ في "قُدْسِ" الدِّماءِ/

دَمٌ، وَوَجْهُ الأَرْضِ تَمْسَحُهُ طَواغيتٌ تُوَقِّعُ مِشْيَةَ
المَوْتى إِلى المَوْتى وَقُبْلَتُها انْفِجارُ العُنْفِ/
ما صَبْرٌ يُطيلُ العارَ في عَيْنِ الضَّحايا؟
وَيُحوِّلُ التّاريخَ مِمْسَحَةً
عَلى أَرْضٍ تُدَنِّسُها البَغايا،
وَتَظَلُّ تَجْلُدُها مَغولٌ مِنْ شَتاتِ الأَرْضِ/
بُرْجٌ قامَ فَوْقَ المَوْتِ
وَالذُّلِّ المَزَوْبِعِ في الدُّروبْ
وَمَضى إِلى الدُّنْيا
يَشُجُّ جَبينَ خالِقِهِ وَيُنْكِرُهُ،
وَيَرْفَعُهُ افْتِراءً فَوْقَ صَفْحاتٍ تَذوبْ
بُرْجٌ تَسامى مِنْ عِظامِ النّاسِ
تَرْقَعُهُ الجَماجِمُ وَالخُطوبْ
لِيَرُدَّ أَشْلاءَ الضَّحايا مُحْرَقاتٍ
دَنَّسَتْ في هَوْلِها أَلَقَ النُّبُوَّةِ

وَٱسْمَ خالِقِها،
وَرَدَّتْ صَحْوَةَ التَّلْمودِ مِزْبَلَةً
وَغيلانًا تَحوبْ...
بُرْجٌ تَسامى كَيْ يَشُجَّ اللهَ
بِٱسْمِ عَراقَةِ "الميثاقِ"
في أَرْضِ النُّبُوَّةِ وَالطُّيوبْ.
بُرْجٌ مِنَ الموْتِ الدَّؤوبْ
مَدّوا بِقَرْنَيْهِ إِلى صَدْرِ السَّماءِ تَحَدِّيًا
وَتَذَلَّلوا فيهِ لِبَعْلٍ بِاسْمِ تَلْمودٍ تُرَقِّعُهُ الضَّحايا
سَمَّوْهُ "إِسْرائيلَ"
في خُبْثِ الطَّوِيَّةِ وَالحَكايا،
وَكَأَنَّما موسى وعيسى وَالرَّسولُ
صُلِبوا عَلى مَوْتٍ يَطولُ،
وَكَأَنَّما الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا
نِثارٌ بائِدٌ،

وَكَأَنَّ وَجْهَ اللهِ صَحْراءٌ
وَصَمْتٌ،
وَأُفولُ...

- ٢ -

وَجَعٌ يَعَضُّ الأَرْضَ
وَالتّاريخُ أَوْراقٌ يُبَعْثِرُها الهَواءُ عَلى الكَفَنْ،
وَاللَيْلُ يَسْحَبُهُ عَلى الدُّنْيا رَمادُ البَرْدِ
وَالصَّبْرُ المكَدَّسُ فَوْقَ أَطْباقِ العَفَنْ...
ما لِلسُّيوفِ تَكَسَّرَتْ
في فَوْرَةِ العارِ المقيمْ؟
وَتَراجَعَ الفُرْسانُ في اللَيْلِ البَهيمْ؟
وَجْهٌ يُطِلُّ عَلى جِراحِ "القُدْسِ"
وَالصَّمْتِ المزَوْبعِ فَوْقَ أَشْلاءِ الضَّحايا.
ما لِلسُّيوفِ تَكَسَّرَتْ

في حَمْأَةِ البُرْجِ المَشِيدِ؟
وَعَويلُ أَفْواجِ السَّبايا
في كُلِّ دَرْبٍ مِنْ دُروبِ اللَيْلِ،
في أَلَقِ المنايا
يُهْوي عَلى البُرْجِ المصَفَّحِ
بِالرَّصاصِ وَبِالحديدِ...؟

وَجَعٌ يُحاصِرُنا. وَبَيْنَ مَرارةِ الزَّفَراتِ وَالموْتى رَذاذٌ مِنْ مُراءاةِ الشُّعوبِ وَبَعْضُ آهاتٍ بَخيلاتٍ تَمُنُّ بِها ظِلالُ الغَرْبِ، لَكِنَّ الصَّدى يَبْقى خَجولًا بَيْنَ عَصْرٍ زَلْزَلَتْهُ صَفاقَةُ الظُّلْمِ السَّميكِ وَلَعْنَةُ التَّلْمودِ/
رُعْبٌ، ثُمَّ أَشْباحٌ تَمُرُّ هَزيلَةً فَوْقَ الدَّمارِ،
وَدَمٌ يُطارِدُنا كَأَنَّ الأَرْضَ صارَتْ مِنْ دَمٍ،
وَالسَّيْفَ جَلَّلَهُ رَمادُ الصَّمْتِ
في صَمْتِ ٱنْكِسارِ...

رُعْبٌ... وَخَيْلُ "الفَتْحِ"
حَمْحَمَ دونَها طَبْعُ البَوارِ
لا أُفْقَ حَوْلَ البُرْجِ،
لا نَصْلٌ تُسَلُّ
ولا جِنانَ يَقودُ نَحْوَ نُهورِها
أَلَقُ الشِّفارِ:
دُنْيا مِنَ العَرَبِ النِّيامِ
يَسوقُهُمْ عارٌ إِلى أَفْياءِ عارِ...!

- ٣ -

وَجْهي رَمادٌ
يَرْتَمي فَوْقَ الرَّمادْ.
وَجْهي مَدًى
فُرْسانُهُ رَضَخَتْ لِعارِ قُعودِها،
أَشْفارُها ظِلٌّ

يَموتُ عَلى المدادْ...

وَجْهي سَديمٌ مِنْ فَراغِ العَصْرِ

حاصَرَ يَأْسُهُ مَوْتَ الجِهادْ —

يَتَمَلَّقُ الدُّنْيا مُلوكٌ

فَوْقَ أَعْراشٍ هَباءٍ.

كُلُّ هَذا الكَوْنِ يَغْرَقُ في أَثيرٍ

مِنْ رِياحِ الرُّعْبِ،

لَكِنَّ السَّغَبْ

يَنْشَقُّ عَنْ شَلّالِ فُرْسانٍ

يُكَلِّلُها الغَضَبْ

وَجِباهُها تَزْهو بِتاريخٍ عَريقٍ

رَدَّ أَرْصِفَةَ الدَّمارِ حَدائقًا

وَمَدًى تَطاوَلَ فَوْقَ جَبْهَتِهِ اللَهَبْ...

سَغَبٌ سَغَبْ...

فُرْسانُهُ جَمَعَتْ ضَحايا القَهْرِ

في تاريخِنا المصْدوعِ
وَانْفَجَرَتْ،
وَكَلَّلَ لَحْمُها المزْروعَ في الطُّرُقاتِ
مَلْحَمَةَ الكَرامَةِ وَالغَضَبْ،
فُرْسانُهُ بِدِمائِها
مَحَتِ المَذَلَّةَ عَنْ عُروشِ العارِ
وَانْبَلَجَتْ تُعيدَ إِلى الجِباهِ شُموخَها،
وَتُعيدُ بِالدَّمِ وَالشَّهادَةِ
صَوْغَ تاريخِ العرَبْ...

– ٤ –

أَلْبُرجُ يَنمو،
وَالَمرارةُ حَوْلَهُ
أُفُقٌ يُصَفِّحُهُ الصَّدى،
يَمْتَدُّ نَحْوَ الأَرْضِ قاطِبَةً،

وَيَحْتَرِفُ الرِّياءَ عَلى المدى
وَالكُفْرَ وَالحِقْدَ المدَوِّيَ أَبْجَدِيَّهْ...
وَطَنٌ مِنَ الطُّغْيانِ
حَصَّنَهُ الرَّدى
وَتَقَنَّعَتْ كُهّانُهُ بِأَسى الشُّعوبِ،
وَصَيَّرَتْ جَبَروتَها فيهِمْ قَضِيَّهْ.
بُرْجٌ مِنَ العارِ المُزَوبِعِ
صاغَ مِنْ تَلْمودِهِ وَجَعًا
وَمِن وَجَعِ الشُّعوبِ كِتابَهُ المُخْزي،
وَمَطَّ يَدَيهِ نَحْوَ الرَّبِّ
يَجْعَلُ مِنْ سَبايا الأَرْضِ أَرْبابًا،
وَمِنْ بَدْوِ الشَّتاتْ
نُصُبًا تُعَلِّيهِ الطُّغاةُ عَلى طُغاةْ...
بُرْجٌ يَمُدُّ عُروقَهُ عَبْرَ المدى
سَجَدَتْ لَهُ دُنْيا مِنَ القَوْمِ السَّبايا،

وَتَدَافَعَتْ عَرَبٌ
لِتَسْجُدَ في المسايا –
عَرَبٌ خَصاها العارُ مِنْ أَلْفٍ،
وَأَنْسَتْها العُروشُ تَفَجُّرَ البُرْكانِ،
وَالرَّعْدَ المدَوّيَ، وَالمنايا.
عَرَبٌ تَمُرُّ بِلا جِباهْ،
لا الموْتُ يَنْفَعُها،
ولا ذُلُّ الرُّكوعِ،
ولا الصَّلاهْ...!

– ٥ –

أَمْشي إِلى الدُّنْيا
وَفي عَيْنَيَّ أَضْرِحَةُ الَّذينَ تَقاسَموا أَجْسادَهُمْ
لِيُضيءَ تاريخُ العَرَبْ.
أَمْشي إِلى الدُّنْيا

وَفي قَلْبي حُقولٌ مِنْ غَضَبْ.

أَمْشي...

خُطايَ عَلامةُ الآتي وَأَجْنِحَةُ الَّذي سَيَكونُ حَتّى لَوْ تَرامى البُرْجُ في كُلِّ الجِهاتِ أَوِ ٱحْتَمى بِقِناعِهِ/

أَمْشي...

خُطايَ أَريكَةٌ

لِمَنِ ٱسْتَفاقَتْ في دِمائِهِمْ

غَياهِبُ أَرْضِنا الصَّمّاءِ

أَوْ رَدَّتْ ضَميرَ اللهِ

مِفْتاحَ الثُّرَيّا/

أَحْتَمي بِخُطايَ

مِنْ عارِ القُعودِ

وَمِنْ غَياهِبِ بُرْجِهِ الملْعونِ/

كُلُّ عُروبَةٍ تَزْهو وَتُزْهِرُ في قَراري،

وَأَنا الخُطى...

فَتَّشْتُ عَنْ دَرْبٍ أَعودُ بِها لِقَوْمي
عَبْرَ صَحْراءِ الدَّمارِ.
فَتَّشْتُ عَنْ غَضَبٍ
أُمَحّي فيهِ عاري،
لَكِنَّما عَضَّتْ عُيوني بومَةُ اليَأْسِ المُجَلْجِلِ/
لا طَريقَ
وَلا عَرَبْ...
لا سَيْفَ يَعْجُنُهُ اللَهيبُ،
وَلا عَصَبْ.
لا شَيْءَ إِلّا أُمَّةٌ
نَسِيَتْ وَقارَ الخُلْدِ في تاريخِها
وَتَجَمَّعَتْ خِرَبًا
تَرامَتْ في خِرَبْ،
وَكَأَنَّما الدُّنْيا وَما عَرَفَتْهُ يَوْمًا مِنْ سَنًا
ما كانَ مِنْ صُنْعِ العَرَبْ...!

أَمْشي إِلى الدُّنْيا
وَبَيْنَ يَديَّ مِفْتاحُ الغَضَبْ
وَأَذوبُ في خَطَواتِ فُرْسانٍ
تَخُطُّ بِلَحْمِها وَدِمائِها التّاريخَ
مَلْحَمَةً،
حُروفًا مِنْ لهَبْ،
وَتَشُجُّ وَجْهَ البُرْجِ،
تَكْسِرُ زَهْوَهُ،
وَتَخُطُّ ما عَلّاهُ مِنْ صَلَفٍ
وَما أَرْساهُ في كُلِّ الجِهاتْ
لِيَشُدَّ نَحْوَ ضِباعِهِ
أُمَمَ الشَّتاتْ...
أَمْشي إِلى الدُّنْيا
عَلى خَطَواتِ فُرْسانِ الغَضَبْ
وَنَرُدُّ لِلتّاريخِ جَبْهَتَهُ،

وَنَبْقى قَبْضَةً مَشْدودَةً
عَبْرَ الحِقَبْ.
نَمْشي إِلى التّاريخِ في زَهْوٍ
وَنَكْتُبُ سِفْرَنا بِدَمِ الشَّهادَةِ
فَوْقَ أَجْنِحَةِ اللَهَبْ...!

(نيسان – ٢٠٠٢)

الكهف

(أو نشيد الظّلام)

– ١ –

صَبْرٌ تَقَدَّدَ في المدى،
وَالسَّقْفُ وَالجُدْرانُ آهاتٌ
يُحَجِّرُها الظَّلامُ –
رَسَمَ العَويلُ عَلى الصَّدى
دَمَعاتِهِ،
وَتَشَظَّتِ الدُّنْيا الحُطامُ...

مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ وَجْهُنا نَحْوَ الأُفُقْ؟/
سَقَطَتْ مَلامِحُنا عَلى لَيْلٍ طَويلٍ – كُلُّ وَجْهٍ
غائبِ القَسَماتِ وَجْهي – كُلُّ ثَغْرٍ تاهَ في بحْرِ السُّكونِ
فَمي/ وَلَكِنْ

غارَتِ القَدَمانِ في رَمْلِ الطُّرُقْ
وَتعثَّرَ الوَجْهُ المضَعْضَعُ
في أَضاليلِ النُّطُقْ...
سَقَطَ الصَّدى فَوْقَ الصَّدى
وَتَكَدَّسَ الزَّمَنُ المحَجَّرُ
في حَنايا القَلْبِ/
لَيْلٌ مِنْ رَمادٍ بارِدٍ
وَمَدًى مِنَ الدَّيْجورِ
يَصْدَعُهُ رُكامُ —
ما قِمَّةُ البَرْدِ الَّتي دَكَّتْ
صُروحَ الشَّمْسِ
وَالْتَهَبَتْ لِسانًا بارِدًا
رَقَصَتْ حَوالَيْهِ الطَّغامُ؟
كُوَمٌ عَلى كُوَمٍ مِنَ الحَسَراتِ
وَالدُّنْيا نَشيدٌ مُظْلِمٌ

عَلّى صَداهُ في المدى كَهْفٌ
وَأَرْدَتْها سِهامُ...

- ٢ -

قَهْرٌ عَلى قَهْرٍ
وَأَحْلامٌ يُضَيِّعُها الظَّلامُ...
قَهْرٌ عَلى قَهْرٍ
وَعَرْشٌ مِنْ دُموعِ النّاسِ
تَرْفَعُهُ عِظامُ!
أَلْكَهْفُ يَفْغُرُ فاهُ في الآفاقِ
وَالدَّيْجورُ يَجْلُدُ ما تَأَجَّجَ
في جُلودِ النّاسِ
مِنْ جوعٍ وَجوعْ...
كَهْفٌ يَمُدُّ صَفاقَةَ الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا
وَيُغْرِقُها عَلى لُجَجِ الدُّموعْ...

وَتُجَنُّ أَحْصِنَةُ الطُّغاةِ
عَلى مَدًى مَسْقوفَةٍ أَحْلامُهُ بِالقَهْرِ
وَالهَلَعِ الطَّويلْ
حَتّى تَقَوَّضَ ما تَلَأْلَأَ مِنْ بَصيصِ النّورِ
في اللَيْلِ الثَّقيلْ...
وَكَأَنَّ عَرْبدَةَ الدُّجى
قَدَرٌ يَمُدُّ لِسانَهُ مَسْخًا
وَيَرْفَعُهُ قَتامُ؛
وَكَأَنَّما وَجْهُ المدى
رُعُبٌ
وَأَضْرِحَةٌ حُطامُ...

- ٣ -

كُلَّما أَوْغَلَ اللَيْلُ في ظُلْمَةِ القَلْبِ
عادَ النَّشيدُ يُضَمِّخُهُ الهَوْلُ/ عُدْتُ

إِلى حَيْثُ أَرْخى المدى حَسْرةً كَنِثارِ الدَّمِ المتَخَثِّرِ بَيْنَ بُيوتِ المَتاهَةِ (وَاللَيْلُ أَعْيُنُهُ شاخِصاتٌ، وَقَلْبي حَطَبْ.)

عُدْتُ مِنْ شاهِقِ الموْتِ جيلًا تَهاوى وَجَمَّعَ أَشْلاءَهُ خِرْقَةً في المدارِ الَّذي امْتَصَّهُ الكَهْفُ، أَسْتَنْزِفُ الصَّمْتَ قَطْرَةَ ماءٍ – دَمًا لَمْ يُخَثِّرْهُ رُعْبُ المدى/

عُدْتُ في القَلْبِ أَلْفٌ مِنَ المِطرَقاتِ

وَصَبْرٌ قَديدٌ تَحَجَّرَ فيهِ اللَهَبْ...

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَ الَّذينَ اسْتَفاقوا عَلى مَوْتِهِمْ لَحْظةً لَحْظَةً غَيْرُ هَسْهَسَةٍ وَعَجَبْ.

لَيْسَ بَيْني وَبَيْني سِوى زُمَرٍ تَسْلُخُ الجِلْدَ عَنْ لَحْمِهِ وَتُحيعُ الَّذينَ نَمَتْهُم مَراراتُهُمْ عِنْدَما رفَعوا بِدِماهُمْ عُروشًا تَسامَتْ عَلى لُجَجِ الكَهْفِ وَاسْتَنزَفوا جوعَهُمْ:

وَجْهُهُمْ

شاحِبٌ

مِثْلُ

هَسْهَسَةِ

ٱلجوعِ

لَكِنَّ أَعْمِدَةَ العَرْشِ تَرْمي لَهُمْ نُتَفَ القُوتِ كَيْ لا يَموتوا، فَتَلْعَقُ أَلْسِنَةُ الجائِعينَ حِذاءَ الطُّغاةِ، وَيَنْسَوْنَ لَوْنَ البَساتينِ خارِجَ كَهْفِ السَّغَبْ/

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَ الطُّغاةِ

سِوى الصَّمْتِ

وَالوَجَعِ المتَرامي كَحَقْلِ قَصَبْ.

لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَ الطُّغاةِ

سِوى غَضَبٍ عَضَّهُ الشَّعْبُ قُوتًا،

وَشَعْبٍ

سَيَسْلُكُ يَوْمًا طَريقَ الغَضَبْ.

كُلَّما أَوْغَلَ اللَيْلُ في ظُلْمَةِ القَلْبِ ساءَلَني القَلْبُ
عَنْ عَرَقٍ يَتَنَزَّهُ فَوْقَ الجِباهِ وَيَحْصُدُ لُقْمَتَهُ مِنْ حُقولِ
الكَرامَةِ/ لَيْسَ هُنا في حُطامِ النَّزاهَةِ وَالعَبَثِ المسْتَمِرِّ
سِوى سَغَبٍ يُحْرِقُ الأَرْضَ بِالبَرْدِ/ لَيْسَ الصَّدى

غَيْرُ رَجْعِ الَّذينَ إِذا سُئِلوا نَشَروا صَمْتَهُمْ
وَاسْتَراحوا إِلى المَوْتِ/ وَجْهي
عَبيرُ التُّرابِ وَحُلْمُ المدى...
مُتْعَبٌ... مُتْعَبٌ...
لَيْسَ خَلْفي سِوى الظِّلِّ مُسْتَلْقِيًا
في هُبوبِ الهَباءْ/
كَيْفَ تَنْطَرِحُ الأَرْضُ مَكْدودَةً
وَالسَّواقي تَجِفُّ
وَيَنْتَحِرُ الضَّوْءُ في مُسْتَجارِ النِّداءْ!
كَيْفَ يَمْتَدُّ في الأَلَقِ الكَهْفُ
رُغْمَ بُكاءِ الجِياعِ وَجَوْرِ التَّعَبْ! —

وَوَجْهي تَوَهُّجُ رَفْضِ الجِياعِ
وَجَلْجَلَةُ الرَّفْضِ تَصْدَعُ عُمْقَ الفَضاءْ...
وَوَجْهي هَديرٌ
وَنارٌ تَأَجَّجُ
إِنْ سَلَكَ الشَّعْبُ يَوْمًا طَريقَ الغَضَبْ...

- ٤ -

أَلصَّبرُ ذِئْبٌ
يَعْلُكُ اللَحْمَ المقَدَّدَ
فَوْقَ عَظْمِ الجائِعينْ/
هَذا هُوَ الزَّمَنُ المرائي
وَاللَيْلُ حينَ يَصيرُ سِجْنًا أَوْ كَمينْ.
هَذا نَشيدي في دِمائي:
غَضَبٌ
وَأَحْلامٌ يُفَجِّرُ لَوْنَها عَزْمُ الغَضَبْ...

بَيْني وَبَيْنَ النّاسِ كَهْفٌ
وَاحْتِراقاتُ الحَقيقَةِ في الصَّباحِ وَفي المساءِ،
وَأَشِعَّةٌ مَكْسورَةٌ مِنْ حِكْمَةِ الأَشْواقِ
مَزَّقَها التَّعَبْ.
غَضَبٌ تَجَمَّعَ في حِجارِ الأَرْضِ/
هَلْ صَوْتٌ تُفَجِّرُهُ الضَّراوَةُ أَوْ لَهَبْ؟
هَلْ أُمَّةٌ تَشْتَدُّ في دَحْرِ المعابدِ وَالتَّكايا؟
صَبْرٌ وَأَحْلامٌ سَبايا.
صَبْرٌ وَمِطْرَقَةٌ يُرَصِّعُ طَرْقَها وَجْهِي
وَوَجْهُ الخارِجينَ مِنَ الدِّماءِ.
جَسَدي قَرابينُ العُبورِ مِنَ الظَّلامِ إِلى الضِّياءِ
وَدَمي المراقُ ذَبيحَةُ الأَجْيالِ لِلأَجْيالِ
تَخْرُجُ مِنْ دُجُنَّتِها
وَتَحْتَلُّ المدى وَحُقولُها لَهَبُ —
وَدَمي نَشيدُ الجائِعينَ،

دَمي رِياحُ الأَرْضِ، وَالأَشْواقُ،
وَالوَجَعُ المفَدّى،
وَاحْتِراقاتُ المَواتِ عَلى زَمانٍ باتَ يَلْتَهِبُ،
وَدَمي انْبِلاجُ الموْجِ في صَخَبِ القَضاءِ
يَمْتاحُ أَحْلامَ الَّذينَ تَفَتَّتوا في القَهْرِ
تَحْتَ نِعالِ مَنْ سَكنوا العُروشَ
وَرَقّعوا بِجُلودِنا أَيّامَهُمْ وَعُروشَهُمْ
وَتنَسَّكوا في العُهْرِ حينَ اشْتَدَّ كاهِلُهُمْ/
يُها الزَّمَنُ الَّذي كَسَروهُ، قُمْ
وَاخْرُجْ إِلى التّاريخِ مِطْرَقةً
وَهاكَ نَشيدَنا/ دَمُنا النَّشيدُ
في كُلِّ فَجْرٍ بَعْدُ، في الأَسْحارِ
حينَ يُظِلُّنا فَجْرٌ جَديدُ.
عُرْسي دَمي،
وَدَمي النَّشيدُ يُطِلُّ في الآياتِ وَالأَجْراسِ

مُرْتَفِعًا

لِيُشْرِقَ في السَّماءْ:

حَقْلٌ مِنَ الغَضَبِ الوَليدِ

وَأُمَّةٌ خَرَجَتْ مِنَ الكَهْفِ المديدِ/

دَمي الحُروفُ اللاهِباتُ،

دَمي القَصائِدُ وَالزُّهورُ

وَبَسْمَةُ التّاريخِ لِلتّاريخِ

في جَرْدٍ يُكَلِّلُه الضِّياءْ

وَدَمي القَضاءُ

دَمي القَضاءُ

دَمي القَضاءْ...!

جسر النار

(أو: قصيدةُ رفيق الحريري)

– ١ –

يَنْزِلُ اللَيْلُ مِنْ وَجَعِ الصَّمْتِ
نَحْوَ المدى
وَيُحَصِّنُ أَبْراجَهُ في أَسى القَلْبِ.
ثَمَّ سُكونٌ
وَإِعْصارُ صَمْتٍ يَلُفُّ الرَّدى/
كانَ وَجْهي
يَجِفُّ عَلى الصَّبْرِ.
كُنْتُ الصَّدى
في دَهاليزِ ما كَدَّسَتْه المرارَةُ عَبْرَ السِّنينَ/
يَدايَ تَمُرَّانِ فَوْقَ الجِراحِ
وَلِكِنَّ بَرْدَ الدِّماءِ يُضَرِّجُ وَجْهَ الزَّمانِ

وَلا نارَ،
لا دِفْءَ فَوْقَ المسافاتِ
لا شَيْءَ غَيْرَ شَظايا النُّجومِ
يُفَكِّكُها المَحْلُ –
لا شَيْءَ إِلّا الصَّدى
وَسُكونًا تَحَجَّرَ فَوْقَ يَباسِ انْتِظاراتِنا
مُوغِلًا في حُطامِ السِّنينْ/
وَجَعٌ يَتَناسَلُ في المَحْلِ،
وَالشَّعْبُ يَعْلُكُ صَمْتًا بَدا
وارِفًا
تَحْتَ مِطْحَنَةٍ لِلْأَنينْ.

***

يَنْزِلُ اللَيْلُ مِنْ وَجَعِ الصَّمْتِ
نَحْوَ المدى –

أَلنُّجومُ عُيونٌ تَبُصُّ
مِنَ الجَلَدِ المتَفَسِّخِ كَالجِلْدِ
أَوْ
مِنْ أَنينِ التَّعَبْ،
وَالضَّبابُ الَّذي لَفَّ أَوْرِدَةَ الزَّمَنِ المتَقَوِّسِ أَرْضٌ
تُبَرْعِمُ فيها المراراتُ
مِثْلَ النُّجومِ الَّتي فَقَدَتْ لَوْنَها
وَاسْتَفاقَتْ عَلى غَسَقٍ مِنْ حَطَبْ —
لِلَّذينَ تُشَرَّدُ أَصْواتُهم حَيْثُ لا شِعْرَ
أَوْ
لا ضَمائِرَ تُقْلِتُ مِنْ هَبَّةِ الحُلْمِ/
وَالحُلْمُ يَحْمِلُ غاباتِ أَعْيُنِهِمْ في الهَواءْ
وَيَجرُّ إِلَيْها اخْضِراراتِهِمْ
ثُمَّ يَمْسَحُها بِرَمادِ الهَباءْ/
أَيُّها الخَوْفُ

لا تَتَظَلَّلُ أَجْسادُنا زَمَنًا فاسِدًا
أَوْ دَمًا فاسِدًا
أَوْ خِواءً يُخاطِبُ شَعْبَ الخِواءْ
أَيُّها الخَوْفُ
كَمْ خِطْتَ أَفْواهَنا بِالصَّدى
وَانْكَسَرْنا عَلَيْكَ،
كَسَرْنا لَكَ العُمْرَ
في جَبَروتِ الرِّياءْ!

أَيُّها الخَوْفُ
كَمْ هَذَتِ الرّيحُ في ثَوْبِكَ المَتاوِلِ
حَتّى حُدودِ الفَناءْ...!

***

يَسْكُنُ اللَيْلُ

بَيْنَ حَنايا الَّذينَ يُريدونَ أَنْ يَصْنَعوا الأَرْضَ
مِنْ لَهَبٍ
وَيَمُدُّ سُرادِقَهُ في ظَلامِ الأَبَدْ:
خِنجَرًا في الجَسَدْ.

يَسْكُنُ اللَيْلُ في كُلِّ صَوْبٍ
وَيَنْظِمُ أَشْباحَهُ لِلسَّرابْ/
لا أَحَدْ.
لا رِجالَ سِوى جُثَثٍ
مُدِّدَتْ في العُروشِ
لِيَبْقى الخَرابُ لَنا رايَةً
وَنَصْدَأَ في مَلَكوتِ الخَرابْ.

هَلْ أَقولُ لِأَطْفالِنا
إِنَّ عُرْيَ الحَياةْ

دَنَّسَتْهُ مَرارَةُ عارٍ
وَأَنَّ الطَّواغيتَ تَسْتَعْمِرُ الشِّعْرَ،
تَأْسُرُ في سِجْنِها الكَلِماتْ؟

هَلْ أَقولُ لِأَطْفالِنا
إِنَّ أَحْلامَنا
حَطَبٌ وَرُفاتْ؟

هَلْ أَقولُ لِأَطْفالِنا
إِنَّنا
لا نُريدُ الحَياةْ؟

***

أَعْطِنا أَنْ نَرُدَّ الزَّمانَ
إِلى الفَلَكِ المسْتَحيلِ

وَأَنْ نَتَعَشَّقَ نَجْمَ الشُّروقْ
وَنَرْكُضَ في السِّحْرِ
أَوْ
نَتَسلَّحَ بِالشِّعْرِ وَالأُغْنِياتِ
لِنَمْسَحَ عَنّا الحُروقْ.
أَعْطِنا أَنْ نُحرِّرَ وَجْهَ الكَلامِ
وَنَرْحَلَ في مَلَكوتِ البُروقْ،
وَاكْسِرِ الخَوْفَ عَنْ طَفْرَةِ الكَلِماتِ/
يُها الموْتُ
كُنْ حُلُمًا في مَدى الكيمِياءْ
وَابْتَكِرْ لُغَةً تَمْسَحُ الموْتَ عَنّا
لِيَغْدُوَ صَوْتي طَريقًا،
وَيَغْدوَ عَزْمي حُروفَ هِجاءْ.

أَيُّها الموْتُ

كُنْ لِي صَديقًا
لِنَرْسُمَ بِالحُبِّ وَجْهَ السَّماءْ.

أَنامُ عَلى الحُلْمِ،
أَحْضُنُهُ،
وَأُقبِّلُ وَجْهَ الهَواءْ،
وَأَخْرُجُ مِنْ جُثَّتي واحِدًا
أَقولُ لِأَطْفالِنا
ما أَشاءْ...

– ٢ –

خارِجٌ مِنْ قَميصِ الدُّجى
مِثْلَما يَخْرُجُ الصَّبْرُ مِنْ جِلْدِهِ
أَرْتَدي أُقْحُوانَ الحُقولِ
وَضَوْءَ شَوارِعِ بَيْروتَ،

أَوْ أَرْتَدي
صَبْرَ مَنْ لَفَّتِ الأَرْضُ أَعْيُنَهمْ
بِالضَّبابِ الطَّويلْ...
خارِجٌ مِنْ حُقولِ العَويلْ،
مِنْ مَغاوِرَ تَحْبُلُ بِالعارِ وَالصَّمْتِ وَالمسْتَحيلْ
زَرعوا العَرْشَ فيها
لِيَسْتَنقِعَ اللَّيْلُ
فَوْقَ حُطامِ الصَّباحِ/
لِتَأسِرَ فينا الحَياةَ مُسوخٌ
يُفَكِّكُها العَرْشُ
ثُمَّ يُعيدُ تَكاوينَها
ضَحْلَةً، رَطْبَةً،
جُمِعَتْ فَوْقَ جُثَّتِها خَطَأً
لِتُلَمَّ عَلى عَرْشِها كَالرُّكامِ
وَتَزْحَفَ نَحْوَ الطَّواغيتِ تَسْنُدُها/

خارجٌ مِنْ قَميصِ الدُّجى
لِدُروبٍ تَلاعَبُ وَجْهَ الصَّباحِ...
لِبَيْروتَ تُقْفِلُ بَوّابةَ الكَهْفِ،
تَرْكَبُ غَيْمَ الرَّحيلِ
عَلى مَنْكَبِ الرّيحِ،
تَسْتَأْصِلُ الموْتَ مِنْ مَوْتِهِ
وَتَزيحُ عُروشَ الدَّمارْ.
لِسَماءٍ تُوَشِّحُ وَجْهَ النَّهارْ
تُوَشْوِشُني وَتُوَسِّدُني صُبْحَها المتَغَلغِلَ
في عُمْقِ جِلدي.
لِشَعْبٍ يُحاوِرُ أَحْلامَهُ
وَتُحاوِرُهُ/
وَدَمي يَغْسِلُ الشِّعرَ وَالأَرْضَ وَالكَلِماتِ،
يُغَنّي
لِآتٍ يَنامُ عَلى ساعِدَيْنا/ يَطيرُ بِنا

عالِيًا عالِيًا
نَرْأبُ الزَّمنَ المتَكَسِّرَ
في أَنَّةِ الفُقَراءِ/
دَمي
يَغْسِلُ الشِّعْرَ
حَتّى يَرُشَّ عَلى الضَّوْءِ أَلْحانَهُ
وَيَقودَ الخُطى نَحْوَ جِسْرِ العُبورِ/
دَمي
زَعْزَعٌ يَقْلَعُ العَرْشَ في غَضَبِ النّارِ
وَالنّارُ آتِيَةٌ مِنْ سَديمِ المرارةِ...

نَخْرُجُ نَحْوَ الضَّوْءِ الآتي مِنْ شَبَقِ التَّغْييرِ/
تَكَلَّمْتُ/ تَكَسَّرْتُ كَما تَتَكسَّرُ ريحُ الدِّفْلى
وَقَرَأْتُ قَصيدةَ عُمْري وَدَمي
وَكَتَبْتُ كَلامي بِدِمائي/

لَمْ أَتَكَلَّمْ
وَتَكَلَّمْتُ كَريحٍ يَتناسَلُ فيها الغَضَبُ:
غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبُ...
غَضَبٌ يَتَقَدَّمُ في الطُّرُقاتِ
وَنارٌ
تَرْسُمُ وَجْهَ الكَوْنِ
وَتَكْتُبُ تاريخَ التَّغْييرِ
وَتَقْتَرِبُ/
غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبُ...
زَمَنُ الطُّغْيانِ تَكَسَّرَ
في هَرْجٍ يَرْفَعُهُ الطَّرَبُ/
غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبُ...
وَدَمي يَتَكَوَّمُ نارًا
جِسْرًا لِلتّاريخِ وَلِلشَّعْبِ المَقْهورِ
دَمي جِسْرُ عُبورٍ

يُشْعلُ في حَطَبِ التّاريخِ طَهارَتَهُ
وَيُطَهِّرُهُ مِنْ عارِ مُسوخٍ
أَقْعَدَها المَوْتُ
وَأَغْواها عَرْشٌ يَنْخُرُهُ العَطَبُ/
غَضَبٌ... غَضَبُ/
لَمْ أَتَكَلَّمْ
وَتَكَلَّمْتُ كَصاعِقَةٍ
تَفْتَتِحُ الفَجْرَ بِزَعْقَتِها البِكْرِ:
أَنا الخارِجُ مِنْ ظُلُماتِ الصَّمْتِ
أَنا لُغَةُ التَّغْييرِ
أَنا الحاضِرُ وَالآتي
وَالقَدَرُ المُنْكَتِبُ،
وَأَنا التّاريخُ يُحَرِّرُهُ
مِنْ عارِ العَرْشِ الغَضَبُ —
غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبٌ... غَضَبُ...

أَلشَّعْبُ النّاهِضُ يَخْرُجُ مِنْ قَطَراتِ دَمي –
يَمْسَحُ بِالأَحْمَرِ تاريخَ العارْ
أَلشَّعْبُ النّاهِضُ
يَعْبُرُ جِسْرَ النّارْ...

قصيدة جبران التويني
(أو سَمفونيّة الشهادة)

هَوَتِ الشَّهادةُ في حُروفٍ مِنْ دَمٍ
وَتَضَرَّجَتْ بِالنّارِ صارِيَةُ الصَّباحِ.
مِنْ أَيْنَ أَبْتَدِئُ الطَّريقَ
وَكُلُّ صَوْتِ الشَّعْبِ
يَنْبِضُ في جِراحي؟

***

كَانَتْ قَصيدَةُ رِحْلَتي في العُمْرِ
عاصِفَةً
يَلُفُّ هُبُوبُها وَطَني
وَيَحْمِلُهُ إِلى عَتَباتِ حُلْمي
مِثْلَ أَوْراقٍ رَقيقاتٍ

مَسَحْتُ بها حَنانَ الجُرْحِ –
كُلُّ قَصيدَةٍ وَجْهي،
وَكُلُّ مَرارةٍ في شَعْبِيَ المقْهورِ صارِيَتي،
وَكُلُّ دَمٍ يُراقُ عَلى دِمايَ/
أَنا الصَّباحُ
أَنا الصَّباحُ!

***

ماذا إِذا انْقَضَتِ السُّنونَ
وَأَدْمَنَ الجسَدُ الفِداءَ،
وَلَمْ يَكُنْ
إِلّا الشَّهادَةُ وَحْدَها
تَرْوي عُروقَ الخِصْبِ في الأَرْضِ البَوارِ
وَتَكْسِرُ القَهْرَ المزَغْرِدَ
في دُجُنّاتِ المغولِ؟ –

أَنا الصَّباحُ
أَنا الصَّباحُ،
وَأَنا الطَّريقُ إِلى رَبيعَ الحُلْمِ
تَرْسُمُها الجِراحُ.

***

ماذا أقولُ إذا سَكَنْتُ مَرارتي
وَإِذا ارْتَمى في الجُرْحِ مِلْحٌ؟/
ما تُرى وَجَعي يَقولُ؟
لا أَمْسَ أَوْ غَدَ.
لا زَمانَ وَلا مَكانَ
سِوى هَديرِ الخَوْفِ
تَزْرَعُهُ عَلى الدَّرْبِ المغولُ.
مِنْ أَيِّ زَوْبَعةٍ أَعودُ
وَما تُرى وَجَعي يَقولُ؟

مِنْ أَيِّ جُرْحٍ أَبْدَأُ الحُلُمَ الطَّويلَ؟ –
أَنا الجِراحُ
أَنا الجِراحُ!
وَأَنا الهَديرُ أَنا الرِّياحُ...
أَلصَّمْتُ يَذْبَحُني وَيوجِعُني دَمي،
وَرَسائِلُ الضُّعَفاءِ تَصْلُبُني عَلى حُلُمي
فَأَرْحَلُ في القَصيدةِ عارِيًا
لِأَصيرَ صَوْتَ مَشيئَةِ الغُفْرانِ
أَوْ
لِأَصيرَ هاويتي
وَلِلْكَلِماتِ طَعْمُ الجُرْحِ
لِلْأَشْياءِ طَعْمُ مَرارةِ الوَطَنِ الطَّويلَةِ –
كُلَّما فَتَّشْتُ عَنْ جُرْحي
تَضَوَّعَتِ الطُّيوبُ
وَغَنَّتِ الدُّنْيا عَلى جُرْحي

كَأَنِّي لَسْتُ وَحْدي/
لَسْتُ وَحْدي!
كُلَّما عَلّى الصَّدى وَجَعي
وَأَطْرَبَني الهُبُوبُ
سَكَنْتُ هاويَتي
وَهاوِيَتي صُعودٌ أَوْ كِفاحُ،
وَأَنا الجِراحُ
أَنا الجِراحُ!

***

ماذا أَقولُ إِذا سَكَنْتُ قَصيدَتي
وَرَسَمْتُ بِالدَّمِ صورَةَ الأَشْياءِ؟
أَعْلَنْتُ الفِداءَ
وَقُلْتُ: تِلْكَ قَصيدَتي.
أَنا لَسْتُ مِنْ جِلْدي إِذا سَقَطَتْ يَدي.

أَنا لَسْتُ مِنْ جِلْدي إِذا عَجِزَتْ خُطايَ
عَنِ الدُّخولِ إِلى مَدارِ الحُلْمِ،
لَسْتُ أَنا إِذا سَقَطَتْ حُروفي.
سَتَفيضُ في جُرْحي الوُرودُ
وَتَسْقُطُ العَتَماتُ مِنْ حَوْلي
وَتَرْفَعُني حُتوفي —
أَنا لَسْتُ مِنْ جِلْدي إِذا سَقَطَتْ حُروفي!

***

سَأَكونُ حُلْمي:
لَوْنُهُ تَوْقُ الضِّياءِ إِلى الصَّباحِ.
سَأَكونُ حُلْمي:
وَجْهُهُ ضَوْعُ الشَّهادةِ في الكِفاحِ.
سَأَكونُ حُلْمي/
أَحْمِلُ الأَشْياءَ فَوْقَ غَمامَةٍ

وَأَطيرُ في الدُّنْيا كَرائِحَةِ الأَقاحي...
سَأَكونُ حَرْفَ الخارِجينَ إِلى الضَّياعِ
يَخُطُّ بِالَّدمِ شِعْرَهُ
وَيَطيرُ في أُفُقِ الخَواطِرِ ساحِرًا،
وَأَكونُ مَنْفايَ الَّذي مِنْهُ
أَعودُ إِلَيْكُمُ
وَيَعودُ في خَطَواتِيَ الشُّهَداءُ
وَالدَّمُ وَالشَّهادَةُ وَالحُشودُ.
إِشْهَدْ:
سَيَنْبِضُ كُلُّ شِلْوٍ بِالحَياةِ
وَيَفْتَحُ الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا الشُّهودُ.
إِشْهَدْ:
سَتُسْحَقُ قَبْضَةُ الطُّغْيانِ في إِيمانِنا،
وَيُطِلُّ مِنْ دَمِنا الخُلودُ.

***

ما زِلْتُ أَحْلُمُ...
غَيْرَ أَنِّي صامِتٌ،
أَسْقي العَناوينَ القَتيلَةَ بِالضِّياءِ،
أَمُرُّ في شَهَقاتِكمْ
وَأُكَفكِفُ الدَّمْعَ الَّذي ذَرَفَتْهُ
آهاتُ القَصيدَةِ/
لَسْتُ مَحْوًا:
كُلُّ حَرْفٍ يَصْدَعُ الطُّغْيانَ صَوْتي.
كُلُّ سَيْفٍ قَدَّ وَجْهَ الموْتِ صَوْتي.
لَسْتُ مَحْوًا:
لا أَزالُ مُحَلِّقًا بِعُيونِكُمْ وَحُروفِكمْ
وَأَسيرُ في خَطَواتِكمْ قَمْحًا –
أَنا الحُلُمُ الَّذي فَتَحَ الضِّياءَ عَلى الضِّياءِ،
أَنا الشَّهادَةُ وَالشَّهيدُ،
وَأَنا عَناوينُ الغَدِ المفْتوحِ لِلدُّنْيا،

أَنا وَجَعُ المخاضِ،
أَنا الوَليدُ،
وَأَنا الَّذي هَزَمَ المنِيَّةَ بِالحَياةِ:
أَنا الخُلودُ،
أَنا الخُلودُ!

***

مِنْ أيِّ زوبعةٍ وُلِدْتَ
وَكَيْفَ فاحَ أَريجُكَ الضَّوْئِيُّ
في كُلِّ الحُروفِ؟
وَكَيْفَ جِئْتَ؟/
دِماؤُكَ النّورُ الَّذي غَسَلَ العُيُونَ مِنَ الظَّلامِ،
وَحُلْمُكَ المفْتوحُ في دَمِنا قَصيدَتُنا،
وَبابُ الدّاخِلينَ إِلى الضِّياءِ.
مِنْ أَيِّ زَوْبَعَةٍ وُلِدْتَ

وَفي يَدَيْكَ هَديرُ كُلِّ زَوابِعِ الدُّنْيا
وَمِطْرَقَةُ القَضاءِ؟
يا أَيُّها الصَّوْتُ الَّذي كَسَرَ الظَّلامَ
وَزَلْزَلَ الطُّغْيانَ فَوْقَ مَغولِهِ،
قَسَمٌ:
سَنُسْرِجُ حُلْمَكَ الوَرْدِيَّ في آفاقِنا
وَنَظَلُّ نَكْتُبُ نورَهُ وَدِماءَهُ بِضُلوعِنا.
قَسَمٌ:
سَنَفْتَحُ صَوْتَكَ العالي عَلى الدُّنْيا
لِيَنْكَسِرَ الظَّلامُ،
وَنَعْتَلي في حُلْمِكَ المَفْتوحِ أَحْصِنَةَ القَضاءِ
نُطارِدُ التَّتَرَ الَّذينَ يُدَنِّسونَ الأَرْضَ
حَتّى في قُبورِهِمِ،
نُطَهِّرُ ما تَدَنَّسَ مِنْ خُطاهُمْ بِالدِّماءِ.
قَسَمٌ:

سَنُسْرِجُ حُلْمَكَ الوَرْدِيَّ في آفاقِنا
وَتَظَلُّ في دَمِنا نَشيدَ العابِرينَ إِلى الضِّياءِ.
يا أَيُّها الآتي إلى مَلَكوتِهِ،
أَنْتَ العَناوينُ الكَبيرةُ وَالنَّشيدُ.
قَسَمٌ:
سَيَكتبُ حُلْمُكَ التّاريخَ في دّمِنا
وَيَصْنَعُ أُمَّةً مِنْ صَوْتِهِ،
أَنْتَ الشَّهادةُ وَالشَّهيدُ!

١٦ – ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٥

النّشيد البرتقاليّ

(أو: قصيدة العماد عون)

– ١ –

لِلْقَلْبِ مِحْبَرَةٌ
وَلِلصَّوْتِ الذَّبيحِ مَجَرَّتانِ
لا الصَّمْتُ يُخْرِسُ ما تُطَهِّرُهُ الدِّماءُ
وَلا طَواغيتُ الزَّمانِ.

صَوْتي سِياجُ الأَرْضِ
وَالأُفُقُ الَّذي آخى السَّماءَ/
يَمُرُّ في وَجَعي الخُروجُ
كَأَنَّ غَزْوَ القادِمينَ مِنَ الخَرابِ
إِلى الخَرابِ
يُطارِدُ الفَجْرَ المصَفّى

في عُيونِ الشَّعْبِ/
وَجْهُ الرّيحِ يَحْمِلُني
وَصَوْتُ الرِّيحِ يَعْصِفُ في كِياني،
وَتَضِجُّ مِنْ حَوْلي بِلادٌ
كُلَّما أَحْبَبْتُها نَفَرَتْ وَماعَتْ في المكانِ...
وَإذا أَحَبَّتْني تَضاريسُ المدى
وَتَدافعَتْ في قَلْبِيَ النّارِيِّ
أَصْواتُ الأُباةِ
يَرُدُّ بومٌ مِنْ قِفارِ الأَرْضِ
بِاسْمِ الأَرْضِ زُلْفى
يَسْتَكينُ عَلى الدَّمارِ
وَيُقَنِّعُ الصَّدَأَ المزَمْجِرَ في الرَّدى
بِقِناعِهِ المَمْزوجِ مِنْ إِفْكٍ وَعارِ،
وَيَقولُ: تِلْكَ قَضِيَّتي...!
وَيَظَلُّ قَلْبُ الشَّعْبِ – قَلْبي

غارِقًا في حَمْأةِ الكَذِبِ المطَرَّزِ بِالشِّعارِ.
لَنْ يَسْتَكينَ خُروجُنا —
هِيَ لَحْظَةٌ لِوُضوحِ هَذا القَلْبِ
أَوْ لِتَكونَ ذِكْرى الفَجْرِ
شاهِدَةً عَلى قُبُلاتِنا.
هِيَ لَحْظَةٌ لِبِدايَةِ التَّغْييرِ
في وَطَنٍ تُصَدِّعُهُ مَتاهاتُ الرِّهانِ —
لا الصَّمْتُ يُخْرِسُ ما تُطَهِّرُهُ الدِّماءُ
وَلا طَواغيتُ الزَّمانِ...

– ٢ –

يا أَيُّها الزَّمَنُ البَليدُ عَلى مَرارَةِ أَرْضِنا،
سَجِّلْ:
سَتَنْكَسِرُ المنافي عِنْدَ ريحِ حُدودِنا،
وَسَيَخْشَعُ البَحْرُ المديدُ.

سَجِّلْ:
سَتَخْطِفُنا الحَياةُ إِلى قَرارَتِها
وَيَسْقُطُ دونَها الموْتُ العَنيدُ.
سَجِّلْ:
سَأُحَمِّلُ الفَجْرَ المسَلَّطَ فَوْقَ أَعْيُنِهِمْ
بُذورَ الشِّعْرِ وَالغَضَبَ المصَفّى
أَوْ سَأَسْكُنُ في حَناجرِ شَعْبِنا المقْهورِ،
سَجِّلْ:
سَأَبْقى في ضَميرِ النّارِ زَوْبَعَةً
تُحَرِّكُها الحُشودُ،
وَسَأَتْرُكُ الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا
صُراخًا بُرْتُقالِيًّا
يَلُفُّ بِعَصْفِهِ جُرْحَ الكَرامَةِ وَالغَضَبْ،
وَسَأُعلِنُ التَّغْييرَ شِعْرَ العَصْرِ،
أَبْتَكِرُ الحَياةَ بِما الْتَهَبْ.

وَأَظَلُّ في بَيروتَ رايَتَها
وَأُعْلِنُ لِلْمَدى: إِنّي أَعودُ —
سَأَعودُ في عَصَبِ الصَّنَوْبَرِ وَالزُّهورِ
وَفي القَصائدِ وَهْيَ تَبْتَكِرُ الزَّمانَ،
دَمي الرَّسائِلُ وَالبَريدُ،
وَأَنا الزَّوابِعُ تَغْسِلُ النَتْنَ المكَدَّسَ في العُروقِ،
أَنا الغِناءُ، أَنا النَّشيدُ...

وَجَعي عَلى وَطَنٍ يُسَمِّرُهُ الوَجَعْ.
وَجَعي سَيَمْسَحُ ما يُكدِّسُهُ الطَّمَعْ.
وَجَعي يَفورُ عَلى ضَميرِ النّاسِ
في تِشْرينَ، في أَيّارَ،
في كُلِّ امْتِداداتِ الزَّمانِ.
وَجَعي حَنينُ النّاسِ
حينَ يَحُرُّها قَمْعُ الهَوانِ.

لا شَيْءَ في هَذا المدى الممْتَدِّ
عَبْرَ صَفاقَةِ الدُّنْيا
سِوى أَلَقِ اللَهَبْ.
لا شَيْءَ في أَحْلامِنا إِلّا الغَضَبْ.
غَضَبٌ... غَضَبْ...
وَشِفاهُنا أُنْشودَةُ التَّغْييرِ
في رَجْعِ الأَماني.
لا الصَّمْتُ يُخْرِسُ ما تُطَهِّرُهُ الدِّماءُ
وَلا طَواغيتُ الزَّمانِ...

- ٣ -

وَحْدي، يُحاصِرُني الرِّياءْ.
وَحْدي، يُحاصِرُني الَّذينَ تَقَنَّعوا بِشِعارِهِمْ
وَتَغَلْغَلوا فينا
وَخَبَّأَ زِيفُهُمْ صَمْتٌ هَباءُ.

وَحْدي أَنامُ عَلى يَقيني.
ما زِلْتُ أُولَدُ كُلَّ يَوْمٍ في الضَّمائِرِ
مِثْلَ صاعِقَةٍ
يُعَلّيها طُموحُ الشَّعْبِ في أَقْصى حَنيني.
ما زالَ يَمْخُرُني الصَّفاءُ
فَأَشُدُّ في كَفَّيَّ كَفَّ النّاسِ
أَكْتُبُ مِنْ ضَميرِهِمِ القَصيدَةَ/ لَسْتُ وَحْدي.
كُلُّ صَوْتٍ أَنَّ مِنْ ذُلِّ التَّزَلُّفِ كانَ حَوْلي.
كُلُّ ثَغْرٍ قالَ: لا لِلَّيْلِ حَوْلي.
كُلُّ وَجْهٍ ثارَ في جُرْحِ الكَرامةِ كانَ حَوْلي.
وَأَنا هَديرُ النّاسِ
حينَ يَصيرُ صَوْتُهُمُ قَصائِدَ،
أَوْ بِدايَةَ شُرْعةِ التَّغْييرِ،
حينَ تَصيرُ وَحْدَتُنا نَشيدًا بُرْتُقالِيًّا
يَقُضُّ مَضاجِعَ الطُّغْيانِ

حَتّى العَظْمِ
أَوْ نارًا تَخُطُّ بِحَرْفِها المشْبوبِ جَنّاتِ المكانِ.
وَأَنا القَصيدَةُ حينَ تَلْتَهِبُ الشِّفاهُ
وَيَمْسَحُ الدَّمُ ما تَدَنَّسَ في الجِنانِ —
لا الصَّمْتُ يُخْرِسُ ما تُطَهِّرُهُ الدِّماءُ
وَلا طَواغيتُ الزَّمانِ.

— ٤ —

طالَ الصَّدى،
وَالبَحْرُ رَدَّ رِداءَهُ الفَضْفاضَ مِنْ حَوْلي
لِيَفْتَحَ حُزْنَهُ وَطَنًا تَسَمَّرَ
في عَناقيدِ الرِّياءِ بِلا ظِلالْ —
طالَ الصَّدى.
وَحْدي القَصيدةُ وَهْيَ تَرْحَلُ في المحالْ.
وَحْدي نَشيدُ البُرْتُقالْ.

لَكِنَّني شَعْبٌ يَلُمُّ ضَميرَهُ في قِمَّةِ الدُّنْيا
كَأَنَّ هَديرَهُ كَسرَ المنافيَ وَالسُّجونَ
وَقَلَّصَ الدُّنْيا عَلى الدُّنْيا
وَأَوْغَلَ في حُروفِ الأَبْجَدِيَّهْ —
وَحْدي أَنا صَوْتُ القَضِيَّهْ.
أَلْأَرْضُ تَسْكُنُني
وَيَرْحَلُ في عُروقي السِّنْدِيانُ وَضَوْعُهُ النّارِيُّ،
يَرْحَلُ فِيَّ صَوْتُ مَشيئَةِ التَّكْوينِ:
كُنْ فَيَكونَ...
أَنْتِ حَقيقَتي، يا نارُ،
فَاْكْتُبْ، أَيُّها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:
أَنا نَشيدُ البُرْتُقالْ
وَأَنا المسافِرُ في أَنينِ الشَّعْبِ
أَحْمِلُ جُرْحَهُ في القَلْبِ
أُعْلِنُهُ قَضِيَّهْ —

وَأَنا المسافِرُ في المراراتِ القَصِيَّهْ،
وَأَنا الجَوابُ... أَنا السُّؤالْ.
أُكْتُبْ يُها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:
سَيُفْتَحُ التَّغْييرُ في آفاقِنا
حَتّى القَرارِ،
وَسَيَمْسَحُ الغَدُ ما تَكَدَّسَ في العُروقِ
مِنَ المهازِلِ وَالبَوارِ.
لَنْ تَسْتَحيلَ الأَرْضُ مَنْفًى لِلْبِلادِ:
سَتَكْسِرُ القاماتُ مَنْفاها
وَتَفتحُ بابَها لِلضَّوْءِ يَدْفُقُ في النَّهارِ.
أُكْتُبْ يُها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:
أَنا الَّذي آخى مَنافي حُلْمِنا وَشَبابِنا
وَتَسَمَّرَتْ في كَفَّتَيْهِ أَمانَةُ التَّغْييرِ
فَانْصَهَرَتْ لَدَيْهِ أَبْجَدِيَّهْ،
وَأَنا المسافِرُ في أَنينِ الشَّعْبِ

أَحْمِلُ جُرْحَهُ في القَلْبِ،
أُعْلِنُهُ القَضِيَّهْ.
أُكْتُبْ يُها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:
أَنا المهاجِرُ في عُروقِ الأَرْضِ
أَحْضُنُ قَلْبَها
وَأَكونُ شُعْلَتَهُ إِذا القَلْبُ ٱلتَهَبْ.
وَأَنا ضَميرُ الوَقْتِ
أَكْتُبُ في قَصيدَتِهِ عُروقي
أَوْ أُشَرِّعُ في قَصيدَتِهِ اللَهَبْ،
وَأُزَنِّرُ الدُّنْيا بِرَفْضِ الشَّعْبِ
أَخْلُقُ في قَرارتِها عَصَبْ.
أُكْتُبْ يُها الزَّمَنُ الصَّغيرُ:
أَنا المسافِرُ في عَبيرِ شَبابِنا،
وَحْدي أَنا جُرْحُ الكَرامَةِ وَالغَضَبْ...

باب جَهَنَّم

(إلى شهداء ٢٠٠٦)

- ١ -

فُتِحَ البابْ:
ماذا يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيَّ إلى الأَرْضِ المحروقَهْ؟
مَنْ يَسْقُطُ مِنْ قَلْبي مَذْبوحًا
وَيُراقبُ عَبْرَ دِماهُ المسْفوكَةِ
طارِقَةَ اللَيْلِ الزّاني وَبُروقَهْ؟
مَنْ يَهْزَجُ فَوْقَ الموْتى
مُشْتَهِيًا جِيَفَ الحُزْنِ الملْقاةِ عَلى الدُّنْيا؟
فُتِحَ البابْ:
لَفَحَتْ نارُ الموْتِ سُهولَ الأَرْضِ
وَأَرَّخَ رَعْدُ الكابوسِ زَمانًا
يَتَكَسَّرُ كَالرُّعْبِ المُنْتابْ.

وَتَمَطَّتْ ضَعْضَعَةُ البابِ المتَشائِبِ
في قَلْبي
وَأَنا وَجَعُ الأَرْضِ المنْكوبَةِ بِالزُّلْفى
وَبِأَحْلامِ مُلوكِ طَوائِفَ
صَدَّعَها التّاريخُ طَويلًا
وَانْزَرَعَتْ كَالفَحْمِ الأَخْرَسِ في أَعْيُنِنا،
وَأَنا
أَتَشَظّى في كُلِّ مَكانْ
وَيُهالُ عَلى على عَيْنيَّ تُرابْ.
فُتِحَ البابْ:
خَرَجَتْ مِنْهُ وُحوشٌ جائِعَةٌ في هَرْجِ النّارِ
وَحِقْدٌ يُغْمَدُ في وَجَعِ الأَرْضِ،
يُحاصِرُ هَذا الزَّمَنَ المخْلوعَ وَيَكْسِرُهُ،
وَالزَّمَنُ المكْسورُ عَلى أَعْيُنِنا
يَتَطايَرُ مِثْلَ لُحومِ الأَمْواتِ

وتَقضمُهُ أنيابْ.

فُتِحَ البابْ:

خَرَجَتْ أَطْيافُ ضِباعٍ وَسَرابْ...

خَرَجَ اللَيْلُ إِلى الدُّنْيا

يَتَخَفّى بِالحَقِّ الكَذّابْ.

أَتَراجَعُ نَحْوَ قَرارةِ قَلْبي

كَيْ أَقْطِفَ مِنْهُ زُهورَ اللَوْنِ

وَلَكِنّي أَتَهاوَى نَحْوَ بَريقٍ يَخْدَعُني/

أَيُّ الأَلْوانِ سِوى لَوْنِ القَهْرِ النّابِتِ بَيْنَ الشَّوْكِ؟

أُحاوِلُ أَنْ أُغْلِقَ نافِذَةَ الرُّعْبِ

وَلَكِنَّ رِياحَ الحَرْبِ تُخَلِّعُها

وَتُكَسِّرُ في قَلْبي الرّاياتِ البَيْضاءَ/ تَطيرُ

عَلى أَرْضي أَسْرابٌ مِنْ بومٍ وَغُرابْ.

فُتِحَ البابْ:

تَتَقَدَّمُ نَحْوَ الأَرْضِ ضِباعٌ.

تَتَحَصَّنُ بِالحَقِّ المَلْغومِ ضِباعٌ.
زُرِعَ الموْتُ عَلى الطُّرُقاتِ
وَهَبَّتْ عاصِفَةٌ مِنْ لَيْلٍ كَالفَحْمِ/
تَصَدَّعَ قَلْبي (وَأَنا كُلُّ تُرابِ الوَطَنِ المحْروقِ)،
تَصَدَّعَتِ الأَرْضُ كَكِسْرَةِ خُبْزٍ جَفَّتْ،
وَتَصَدَّعَتِ الأَجْسادُ،
ٱنْغَرَسَتْ تَحْتَ الرَّدْمِ/
ضِباعٌ تَتَقَنَّعُ بِالحَقِّ
وَتَجْمَعُ مِنْ كُلِّ شَتاتِ الأَرْضِ
حُشودًا وَوُحوشًا،
وَتُراوِغُ حَتّى اللّيْلِ،
وَتَرفَعُ مِنْ تَشْويهِ كَلامِ اللهِ
وَمِنْ جِلْدِ المسْحوقينَ وَعَظْمِ القَتْلى
بُرْجًا لِلْمَوْتِ
وَبَيْتًا لِضِباعِ الأَرْضِ

تُسَمّيهِ "إِسْرائيلَ"
تُرَصِّعُهُ بجَمَاجمِ قَتْلانا،
وَتُعَمِّرُ حَوْلَ ثَناياهُ
بِعِظامِ الأَطْفالِ المغْدورينَ
جِدارًا مِنْ لَحْمِ المَوْتى
يَتَحَرَّكُ فيهِ أَلَمٌ وَعَذابْ.
لَيْلٌ مَرْكومٌ في وَجْهِ الدُّنْيا،
وَخَرابْ.
لَيْلٌ يَطْفَحُ مِنْ أَرْضِ جَهَنّمَ
مَعْجونًا بِوُجوهِ القَتْلى
وَبِأَطْباقِ الزَّمَنِ المكْسورِ عَلى عارِ الدُّنْيا.
فُتِحَ البابْ...

- ٢ -

أُمَمٌ تَتَلَوَّنُ بِالصَّمْتِ

وَتَزعَمُ أَنَّ الحَقَّ بِأَيْديها يَتَنَفّسُ/
لَكِنَّ الصَّمْتَ يُطارِدُها
وَنُجومَ اللَيْلِ تُذَرِّفُ دَمْعًا فَوْقَ مَقابِرِها،
وَتُخومَ الوَطَنِ المتَشَظّي
تَشْهَدُ لِلعارِ السّاري:
ضَبُعٌ تَأْكُلُ وَجْهَ الزَّمَنِ.
أُمَمٌ مِنْ قِطَطٍ وَضِباعٍ تَتَمَرَّغُ في العَفَنِ.
أُمَمٌ تَتَناسَلُ كَالجَرَبِ المُمْتَدِّ
وَتَزْعَمُ أَنَّ الحَقَّ يُضيءُ زَواياها
وَالحَقَّ يُبَرْعِمُ عَبْرَ قَضاياها،
وَالحَقُّ ذَبيحٌ في عارِ التّاريخِ
يُقَنِّعُهُ بِالزّيفِ وُحوشٌ
تَخْرُجُ مِنْ بابِ جَهَنَّمَ
نَحْوَ جَنوبِ الأَرْضِ،
وَتَحْمِلُ أَقْنِعَةً لِلْبُهْتانِ وَلِلزُّلْفى،

أَوْ تُخْرِجُ مِنْ قاعِ بِشارَتِها المَزْعومَةِ
وَجْهَ الكَفَنِ.
أُمَمٌ تَتَناسَلُ كَالقِطَطِ الجَرْباءِ
لِتَمْشِيَ خَلْفَ الوَحْشِ الضّاري.
عَرَبٌ تَشْهَدُ لِلْعارِ
وَتَبيعُ قَضاياها لِزَبانِيَةٍ مِنْ أَرْضِ جَهَنَّمَ
أَوْ تَتَباكى لِلْحَقِّ المَذْبوحِ
عَلى وَجَعِ الوَطَنِ المَنْهارِ.
أُمَمٌ كَسَرَتْ وَجْهَ النورِ
وَعَلَّتْ رُعْبَ اللَيْلَ بِميثاقٍ يَتَهاوى
كَالوَرَقِ الذّابِلِ فَوْقَ لُحومِ الأَطْفالِ/
يَصيرُ الصَّمْتُ زُهورًا بَيْضاءَ
تُسَوِّرُ هَذا الوَطَنَ الدّامِيَ،
تَحْميهِ مِنْ طَلْعِ جَهَنَّمَ،
تَخْرُجُ مِنْ كُلِّ شُقوقِ الأَرْضِ،

وَتَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ رُكامِ المقْهورينَ
وَمِنْ أَحْلامِ المقْهورينَ
وَمِنْ وَجَعِ النّاسِ النّامي
في كُلِّ زَوايا الوَطَنِ،
وَتُعَلّي سورًا مِنْ رائِحَةِ الإيمانِ
بِوَجْهِ ضِباعِ الأَرْضِ،
وَتَزْرَعُ أَكْوامَ الأَمَلِ الصّاهِلِ
حَوْلَ الدِّمَنِ:
دِمَنٍ مُلْقاةٍ في كُلِّ مَكانٍ
تَرْسُمُ لافِتَةَ الحِقْدِ المتَفَجِّرِ
مِنْ بابِ جَهَنَّمَ،
تَزْرَعُها بِلُحومِ الأَطْفالِ
وَآلامِ الشَّعْبِ المقْهورِ
وَعَرْشِ الشَّرِّ الرّافِعِ لافِتَةَ الكَفَنِ —
أَلْكَونُ تَضاحَكَ حَوْلَ الكَفَنِ،

وَالرُّعْبُ تَضاحَكَ حَوْلَ الكَفَنِ،
وَالحِقْدُ تَضاحَكَ حَوْلَ الكَفَنِ...
وَضِباعُ الزَّحْفِ تَفيضُ
وَتَغْرِسُ راياتِ جَهَنَّمَ في كُلِّ مَكانٍ،
لَكِنَّ الزَّهْرَ النّامِيَ في وَجْهِ طَوابيرِ جَهَنَّمَ
يَضْرِبُ وَجْهَ الحِقْدِ الجَوّابْ —
مَنْ يُقفِلُ هَذا البابْ؟

– ٣ –

خَرَجَ العَزْمُ إِلى الطُّرُقاتْ:
قَدَمٌ تَصْهَلُ في الطَّعَناتْ.
قَدَمٌ تَضْرِبُ وَجْهَ الأَرْضْ.
قَدَمٌ تُعْلِنُ عيدَ الرَّفْضْ.
كَثُرَتْ في المرْجِ الزَهَراتْ.
أَلصُّبْحُ الزّاحِفُ نَحْوَ اللَيْلِ

يَصُدُّ وُحوشَ الزَّحْفِ،
يُقيمُ سِتارًا مِنْ عَزْمٍ حَوْلَ الأَرْضِ
وَيَرْوي بِالدَّمِ طَلْعَ الوَطَنِ.
أَلصُّبْحُ الزّاحِفُ يَضْرِبُ وَجْهَ الكَفَنِ،
وَالصُّبْحُ مَرايانا وَهَديرُ الزَّمَنِ النّاهِضِ
مِنْ تَحْتِ الأَنْقاضِ/ قُرانا
تَلْتَفُّ بِقَلْبي
وَتُزَنِّرُها أَذْرِعَةُ الشِّعْرِ المتَدَفِّقِ
مِنْ أَزْهارِ التَّحْريرِ.
قُرانا تَقْرَأُ "سورَةَ قانا"
أَوْ "سورَةَ عَيْتا الشَّعْبِ وَمَرْواحينَ"
وَكُلَّ السُّوَرِ المَتْلُوّةِ تَحْتَ الموْتِ
لِتَكْسِرَ وَجْهَ الموْتِ
وَتَرْفَعَ عارَ الصَّمْتِ عَنِ الدُّنْيا.
أَلْحِقدُ تَهَشَّمَ تَحْتَ نِعالِ الحُبِّ الدَّافِقِ

مِنْ أَزْهارِ جَنوبِ الأَرْضِ:
كِتابٌ
يُطْلِقُ سُورَتَهُ
وَيَصُدُّ صُراخَ الوَحْشِ.
كِتابٌ
يَضْرِبُ بِالآياتِ ضِباعَ اللَيْلِ
وَيَتْرُكُها جُثَثًا يَقْضِمُها الرُّعْبُ.
كِتابٌ
يَتْلو قِصَصَ المَجْدِ عَلى الدُّنْيا
وَهَديرَ الحَقِّ.
كِتابٌ
يَرْشُقُ بِالحُبِّ طَوابيرَ جَهَنَّمَ
كَيْ يَتَهَشَّمَ جِسْمُ اللَيْلِ
وَيُصْبَغَ بِالحَقِّ العَتْمُ المَتَرَبِّصُ/
سُدَّ البابُ بِوَجْهِ زَبانِيَةِ اللَيْلِ

وَأَفْراسِ جَهَنَّمَ
وَالعارِ اللابِسِ ثَوْبَ المَجْدِ
وَكُلِّ ضِباعِ الحَقِّ الكَذّابْ.
سُدَّ البابْ.
سُدَّ البابْ...

أَلْفَجْرُ النّاهِضُ يُعْلِنُ تاريخَ الرَّفْضْ.
أَلْفَجْرُ النّاهِضُ
يَلْثُمُ خَدَّ الأَرْضْ.

(آب – ٢٠٠٦)

زهرة الدم
(أو قصيدة بيار الجميّل)

- ١ -

سَقَطَتْ دِمايَ عَلى دِماكَ
تَشُدُّ أَرْصِفَةَ البَقاءِ عَلى البَقاءِ.
سَقَطَتْ عَلى الأَحْلامِ
قَطْراتُ الدِّماءِ
وَتَرَنَّحَ الفَجْرُ المضَرَّجُ بِالنَّشيجِ،
كَأَنَّ كُلَّ قَرَنْفَلٍ أَوْ زَنْبَقٍ
دَمَعَتْ لَهُ عَيْناكَ
إِذْ جَبَلوا بِنورِهِما
حُبورَ الحالِمينْ،
وَكَأَنَّ كُلَّ مجَرَّةٍ خَشَعَتْ
تَرُدُّ لِوَجْهِكَ البَسّامِ نُضْرَتَهُ،

وَتَقْطِفُ مِنْهُ نورَ شُموخِها
وَصَدى اليَقينْ
وَكَأَنَّ أَعْمِدَةَ المساءِ
صُدِّعْنَ مِنْ هَوْلِ الذُّهولِ
إِذا ارْتَدى وَجَعُ الطَّريدةِ نَزْفَها،
وَتَكَسَّرَتْ
هاماتُ مَنْ لَمْ تَنْكَسِرْ هاماتُهُمْ
إِلّا لِأَحْكامِ الشَّهادةِ وَالقَضاءِ،
وَكَأَنَّ أَعْماقَ الفَضاءِ
خَشَعَتْ لِشَمْخَتِكَ الَّتي سَمَقَتْ،
وَقَصَّفَها الحَنينْ.
سَقَطَتْ دِمانا في دِماكَ
تَشُدُّ أَرْصِفَةَ البَقاءِ عَلى البَقاءِ،
سَقَطَتْ عَلى الأَحْلامِ
قَطْراتُ الدِّماءِ.

- ٢ -

لَيْلٌ بِحَجْمِ مَرارةِ الوَطَنِ المسَجّى
في القُلوبْ.
لَيْلٌ يُحاصِرُنا بِجِبْرٍ
يَغْزِلُ الموْتَ الدَّؤوبِ...
ما زالُ وَجْهُكَ، في جُنونِ الموْتِ،
يُشْرِقُ عاليًا
كَخُيوطِ شَمْسٍ كاشَفَتْنا نورَها
وَتَكشَّفَتْ عَنْ أَرْخَبيلِ الضَّوْءِ
حينَ تَجَمْهَرَتْ ظُلَمُ الطُّغاةِ،
وَتَوَقَّدَتْ،
حَتّى كَأَنَّ أَجيجَها العاري
يُسَوِّرُنا، وَيَخْشَعُ في زَغاريد الحَياةِ.
فَلْتَنْتَظِرْ!
رَحَلَتْ خُطاكَ إلى سَحابِ الفَجْرِ،

وَانْشَطَرَتْ دِمانا –
كَمْ كُنْتَ تَسْكُنُ في دِمانا!
جَرُّوكَ في السّاحاتِ – لَمْ تَسْقُطْ،
وَلَكنْ كَلَّلوكْ.
وَرَمَوْكَ في تيهِ البَراري – لَمْ تَتِهْ عَنّا
وَلَكِنْ أَبْعَدوكْ،
وَتَقاسَموكَ جَميعُهُمْ وَتَوَزَّعوكْ
وَظَلَلْتَ تُشْرقُ في مُنانا –
كَمْ كُنْتَ تَسْكُنُ في دِمانا!

– ٣ –

بِٱسْمي،
وَبِٱسْمِ الفَجْرِ
وَالجبَلِ المرَصَّعِ بالشَّهادَةِ وَالجِراحِ،
قُمْ

وَانْتَظِرْ ميلادَنا الثّاني
وَهُبَّ مَعَ الصّباحِ
وَتَوَسَّدِ الضَّوْءَ المُذَرْذِرَ مِنْ جِراحاتِ القُلوبِ،
يُها الَّذي جَمَعَ القُلوبَ
وَلَخَّصَ الزَّفَراتِ، قُمْ!
دَمُنا عَلى الطُّرُقاتِ يَلْهَثُ في دَمِكْ،
وَجِراحُنا الحَمْراءُ تَلْهَثُ في دَمِكْ،
وَضَميرُنا الحاني عَلى الزَّفَراتِ
يَلْهَثُ في دَمِكْ...
قُمْ، يا سَليلَ النّارِ في دَمَعاتِنا الحَرّى،
فَنَخْتَصِرَ الزَّمانَ
وَنُخْرِجَ الدُّنْيا إِلى الدُّنْيا
وَنَكتُبَ بِٱسْمِكَ الآتي
لِمَنْ خَطّوا عَلى أَلَقِ الفِداءِ
آياتِنا الحَرّى

وَإِنْجيلَ الشَّهادةِ وَالدِّماءِ.
دَمُنا عَلى الطُّرُقاتِ يَلْهَثُ في دَمِكْ.
قُمْ نَسْتردَّ مَعًا مَلامِحَنا
لِنَرْفَعَ كُلَّ حَرْفٍ مِنْ حُروفِ القَهْرِ
في وَجْهِ القَضاءِ —
حَتْمًا مَلامِحُنا سَتَغْدو في دَمِكْ،
وَنَصيرُ عاصِفَةً تُزَوْبِعُ
ما تَأَصَّلَ مِنْ ظَلامِ الكُفْرِ
في شَرْيانِ هَذي الأَرْضِ،
أَوْ
سَنَصيرُ صَوْتَكَ
يَصْدَعُ الصَّلَفَ الَّذي قَدَّ المدى،
يا زَهْرَةَ الدَّمِ
في جَميعَ العابِرينَ إِلى السَّناءِ،
يا صَوْتَنا الدّاوي عَلى آفاقِ صَحْوَتِنا

لِتَحْضِنَهُ سَمانا،
يا صَرْخَةَ القَدَرِ الَّتي ارْتَجَّتْ لَها
روحُ الفَضاءِ،
كَمْ كانَ صَوْتُكَ
يَصْدَعُ الصَّلَفَ الَّذي غَطّى ذُرانا –
كَمْ كُنْتَ تَسْكُنُ في دِمانا!

– ٤ –

أَلْفَجْرُ يُشْرِقُ مِنْ جِراحِكَ،
وَالتُّرابُ
يَذْرو بِهِ دَمُكَ السَّخِيُّ الزَّهْرَ أَحْمَرَ،
وَالعَذابُ
نارٌ تُصَفّي ما تَكَدَّسَ
في ظَلامِ النَّفْسِ مِنْ عَفَنِ الدُّهورْ.
أَلْفَجْرُ يُشْرِقُ مِنْ جِراحِكَ،

وَالبَخورْ
حَقْلٌ يُعَطِّرُهُ ضَميرُكَ
كُلَّما امْتَلَأَتْ بِسَوْسَنِكَ السَّماءُ.
تُراكَ أَنْتَ مَعَ الَّذينَ تَحَمْهَروا
في قِمَّةِ السَّمْتِ السَّحيقِ
لِيُبْصِرونا قابِعينَ شَراذِمًا
تَحْتَ الظِّلالِ؟
وَتُراكَ لَوَّنْتَ الشُّموسَ بِنورِها
لِتُطِلَّ مِنْ فَوْقٍ عَلَيْنا
حينَ نَقْزُمُ في جَليدِ العَرْشِ
أَوْ نَنْسَلُّ
كَاليَنْبوعِ ذُلًّا
تَحْتَ آثارِ النِّعالِ
لِنُرَقِّعَ العَرْشَ الذَّلولَ بِعارِنا
وَتَصيرَ حُكّامَ العَمالِقِ

كُلُّ أَشْباهِ الرِّجالِ!

***

سَيَظَلُّ صَوْتُكَ، يا سَليلَ النّورِ،
مِطْرَقَةً،
وَتَكْتُبُكَ الشَّهادَةُ أَبْجَدِيَّهْ،
سَتَظَلُّ في دَمِكَ القَضِيَّهْ،
وَيَظَلُّ قَلْبُكَ نابِضًا فينا،
عَريقًا كَالسَّماءِ
وَكَشَمْخَةِ الجَبَلِ الَّذي خَشَعَتْ لَهُ
هامُ العُصورِ
وَبارَكَتْهُ يَدُ القَضاءِ.
سَتَظَلُّ في دَمِكَ القَضِيَّهْ
وَنَظَلُّ نَحْمِلُها إِلى أَقْصى المدى
لِنُقَطِّعَ الأَيْدي الَّتي تَمْتَدُّ نَحْوَ قُلوبِنا،

وَلِنَمْسَحَ الصَّدَأَ المعَشِّشَ
فَوْقَ هَذا العَرْشِ،
يا صَوْتًا نَقِيًّا كَالدِماءِ –
سَتَظَلُّ في دَمِكَ القَضِيَّهْ،
سَتَظَلُّ في دمِكَ الشَّهادَةُ أَبْجَدِيَّهْ.

٢٥ – ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٦

نشيد النّضال

(أو قصيدة محمود درويش)

– ١ –

أَقْفَلْتَ عَيْنَكَ،
ثُمَّ نُمْتَ عَلى هُدوءِ الحُلْمِ
وَامْتَدَّ المَنامُ،
وَتَرَكْتَ صَوْتَكَ في المدى يَدْوي...
فَيَرْتَعِدُ الظَّلامُ!

كَيْفَ انْكَبَبْتَ عَلى الرَّحيلِ
فَعَزَّتِ الدُّنْيا عَلَيْكَ،
وَعَزَّ أَنْ تُقْعِي بِصَمْتٍ
حَيْثُ لا أَبْطالَ
إِلّا الرّاكِعونَ عَلى مَطاوي العارِ،

حَيْثُ الفاتِحونَ رَمَوا فُتوحَهُمُ وَنامُوا...
كَيْفَ ٱنْكَبَبْتَ عَلى الرَّحيلِ
وَلَمْ تَزَلْ في الأَرْضِ مُنْجَذِرًا
وَما زالَ التُّرابُ مُقَبِّلًا عَيْنَيْكَ
في وَهْجِ القَصيدَةِ...
كَيْفَ صارَ الحَرْفُ عِنْدَكَ
سَيْفَكَ المسْلولَ
مُنْسَلِطًا عَلى أَعْناقِ أَبْناءِ الأَفاعي،
كُلَّما جَرَّدْتَهُ ٱرْتَدّوا عَلَيْكَ
فَقَزَّمَتْهُمْ أَبْجَدِيَّهْ،
وَانْثَلَّ بُرْجُهُمُ المرَصَّعُ بِالعِظامِ وَبِالجَماجِمِ
تَحْتَ نيرانِ القَضِيَّهْ،
وَأَمَدَّهُمْ غَرْبٌ
يُقَدِّسُهُ الظَّلامُ بِلَعْنَةٍ جَرْباءَ
فَانْتَعَشوا وَقامُوا...!

ما هَمَّ؟
أَنْتَ يَفيضُ فيكَ ضَميرُكَ العاري
وَصَوْتُكَ مُشْرَئِبٌّ في حُروفِ الشِّعْرِ،
لا يُخْفيهِ لَيْلُ، أَوْ يَنامُ...
ما هَمَّ؟
كُلُّ مَرارةِ الماضي سَتَبْقى جُرْحَكَ المفْتوحَ
في أَرْضِ العَرَبْ،
وَيَطيرُ صَوْتُكَ في جُموحِ الحُلْمِ
أَبْعَدَ مِنْ مَتاهاتِ المدى
حَتّى كَأَنَّ الحَرْفَ يَخْتَصِرُ الغَضَبْ...
ما هَمَّ؟
يا مَحْمودُ، نَمْ،
فَاللَيْلُ أَخْصَبَ جُرْحَكَ المفْتوحَ،
وَالدَّمُ لَوَّنَ الدُّنْيا
وَأَرْعَبَها القَتامُ،

وَالعارُ يَجْلُدُ لَحْمَ أَقْوامٍ
تَجُرُّ عَلى الرِّمالِ خُطوبَها
وَيَلُمُّها عَرْشٌ
تُرَقِّعُهُ جُلودُ النّاسِ
وَالدَّمُ وَالعِظامُ...

- ٢ -

أَقْفلْتَ عَيْنَكَ ثُمَّ عُدْتَ إِلى الَّتي غَنَّيْتَها –
هِيَ أُغْنِيَهْ.
أَلْكَوْنُ أَرْضٌ فانِيَهْ...
وَالكَوْنُ كُلُّ الكَوْنِ يَحْلُمُ
في مَدارِ البُرْتُقالْ.
هِيَ أُغْنِيَهْ
وَالفَجْرُ يَحْمِلُها
لِتُسْكَبَ في تَفَتُّحِهِ رِجالْ.

هِيَ أُغْنِيَهْ
أولى لَدَيْكَ وَثانِيَهْ...
هِيَ أَبْجَدِيَّتُكَ الَّتي سَوَّرْتَ أَحْرُفَها بِروحِكَ
ثُمَّ قُلْتَ:
"أَنا الدَّمُ المسْفوكُ مِنْ قَلْبِ القَضِيَّةِ والشهيدُ!"
ما زِلْتَ تَشْهَدُ،
حينَ تُقْفِلُ في المدى عَيْنَيْكَ،
تُرْسِلُ حُلْمَكَ العاري
إِلى كُلِّ الجِهاتِ رَسائِلًا،
وَتَقولُ: "حَمَّلْتُ الأَغانِيَ كُلَّ أَحْلامي،
وَأَطْلَقْتُ القَصيدَةَ مِنْ مَعاقِلِها —
أَنا الخَتْمُ الحَقيقيُّ المُشِعُّ،
أَنا الرَّسائِلُ وَالبَريدُ!"
ما زِلْتَ تَشْهَدُ،
حينَ تُقْفِلُ في المدى عَينَيْكَ،

ما زالَتْ تُتَوِّجُكَ الحُروفُ
وَيَشْرَئِبُّ الشِّعْرُ مِنْ زَهْوٍ
وَيَزْهو في قَصيدَتِكَ النَّشيدُ...
سَتَكونُ، يا مَحْمودُ، صَوْتَ الجيلِ
إِذْ يَتَعَلَّمُ الأَطْفالُ كَيْفَ يُناضِلونَ،
وَكَيْفَ تَنْكَتِبُ الشَّهادَةُ وَالشَّهيدُ.
سَيَكونُ حَقًّا ما تُريدُ:
أَلأَرْضُ تَحْرُسُها حُقولُ البُرْتُقالِ،
وَفي المدى تَزْهو قَصيدَتُنا —
أَلْحَقُّ صَرْخَتُنا،
وَالقُدْسُ رايتُنا...
سَيَكونُ حَقًّا ما تُريدُ.

٣ –

يا مَنْ رَمَتْهُ الرّيحُ مِنْ مَنْفًى إِلى مَنْفًى

لِيَغْدوَ في نَشيدِ البَحْرِ
رايةَ بُرْتُقالْ،
يا مَنْ يُرَصِّعُ صَوْتَهُ غَضَبٌ
وَيَكْسِرُ حَرْفُهُ سُورَ المحالْ،
غَنّي لِيَنْتَشِرَ اللَهَبْ،
غَنّي لِيَرْجِعَ لِلسُّيوفِ بَريقُها
وَتَرُدَّ آيُ الفَتْحِ تاريخَ العَرَبْ،
غَنّي...
لَعَلَّ الشِّعْرَ يُنْبِتُ في القُلوبِ مُروءَةً
وَيُعيدَ لِلْفُرْسانِ صَوْلاتِ الغَضَبْ.
غَنّي...
فإنَّ الموْتَ مَعْبَرْ،
وَالصَّمْتَ أَقْسى مِنْ جُموحِ العارِ
في اللَيْلِ المخَدَّرْ...
غَنّي...

لَعَلَّ غِناءَكَ المُمْتَدَّ
يَنْشُرُ بَعْضَ نُسْغٍ
في ضَميرِهِمِ الحَطَبْ.
غَنِّي...
لِيَرْجِعَ قَلْبُنا في الكَوْنِ أَخْضَرْ...
لَنْ يَكْسِرَ الوَحْشُ المَزَمْجِرُ نُبْلَ مَحْتِدِنا،
فَاللهُ أَكْبَرْ...
أَلظُّلْمُ، يا مَحْمودُ، تَنْشُرُهُ قَنابِلُهُمْ،
وَيَزْرَعُهُ جُنونُ الذّاتِ في دُنْيا تَجَبُّرِهِمْ،
وَنَظَلُّ أَقْوى مِنْ تَوَسُّعِهِمْ،
وَنَظَلُّ أَقْوى مِنْ قَنابِلِهِمْ
وَتَظَلُّ أَرْضُ الرَّبِّ في دَمِنا
مَزاميرًا وَعَنْبَرْ،
وَالفَجْرُ يورِقُ مِنْ دِمانا
باسِمَ القَسَماتِ، أَخْضَرْ...

– ٤ –

نامَتْ بِعَيْنَيْهِ المنافي
فَارْتَدى أَلْوانَها
وَاشْتَفَّها في رايةٍ مِنْ بُرْتُقالِ،
وَأَشاحَ عَنْ أُمَمٍ
تَجُرُّ الحَقَّ مِمْسَحَةً
وَتَلْعَقُ خِفَّ أَشْباهِ الرِّجالِ،
وَتَسيرُ زاحِفَةً كَساقِيَةٍ ذَلولٍ
تَحْتَ عَيْنِ اللَيْلِ...
أَرْضُكَ هَذِهِ الأَطْلالُ، فَاجْمَعْها،
وَقُلْ: "باقٍ أَنا
في كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُروفِ الشِّعْرِ،
في رَجْعِ السُّيوفِ يَشِعُّ فَوْقَ نِصالِها
طَبْعُ الأَعالي...
باقٍ أَنا

في كُلِّ صاعِقَةٍ تُوَجَّهُ نَحْوَ حَيْفا
أَوْ تُوَجَّهُ بَعْدَ حَيْفا مِنْ قُرى لُبْنانَ...
باقٍ في جِباهِ مُقاوِمينَ
يُزَنِّرونَ الأَرْضَ بِالدَّمِ وَالشَّهادَةِ وَالقِتالِ،
باقٍ أَنا
في كُلِّ مِطْرَقَةٍ
تُقَوِّضُ بُرْجَ بابِلَ فَوْقَ رَأْسِ ضِباعِهِ
وَتُشَرِّعُ الدُّنْيا لِراياتِ الجَلالِ..."

– ٥ –

أَقْفَلْتَ عَيْنَكَ، فَلْتَنَمْ،
وَضَميرُكَ العاري
يَلُفُّ الأَرْضَ.
إِرْحَلْ، أَيُّها الرّائي، فَيَحْفَظَكَ الرَّحيلُ...
نَمْ، يا سَليلَ الشِّعْرِ، في قَلْبِ القَصيدَةِ.

كَمْ رَماكَ الوَقْتُ في المَنْفى،
وَكَمْ مَدَّ الذُّهولُ
في ناظِرَيْكَ رَهافَةَ الشُّعَراءِ
فَالْتَمَّ الزَّمانُ عَلى حُروفِكَ وَانْكَسَرْ،
وَتَعانَقَتْ في روحِكَ الأَمْداءُ وَالطُّرُقاتُ
فَاخْتَرْتَ المَنافيَ وَالحِصارَ،
وَشَجَّ عَزْمُكَ ما رَماهُ العارُ في ظُلْمِ القَدَرْ —
هَذا هُوَ المَنْفى الأَخيرُ،
فَمُدَّ حَرْفَكَ وَاسْتَرِحْ،
وَاضْرِبْ سَدومَ بِهِ
لِتُمْطِرَ فَوْقَها نارًا وَكِبْريتًا
وَيَحْتَرِقَ الأُفُقْ —
هَذا هُوَ المَنْفى الأَخيرُ
فَلا رَحيلَ، وَلا طُرُقْ...
نَمْ، يا سَليلَ الشِّعْرِ، في أَلَقِ القَصيدَةِ

فَالنِّضالُ أَمانَةُ،
وَالمَوْتُ حَتْمُ،
وَالجَنوبُ سَواعِدٌ وَمُقاتِلونْ
لِيَظَلَّ بُرْجُ العارِ مُرْتَعِشًا
وَيَبْقى الرُّعْبُ حَيًّا
في قُلوبِ ضِباعِهِ...
نَمْ، فَالجَنوبُ سَواعِدٌ وَمُقاتِلونَ
يَرُدُّ لَحْمُهُمُ الشَّهادَةَ رايَةً خَفّاقَةً...
وَلْتُخْبِرِ السُّمّارَ
أَنَّ الأَرْضَ تَحْبُلُ بِالجَنينْ،
وَبِأَنَّهُمْ يَتَوالَدونَ، وَيولَدونَ،
مِنَ القَصيدةِ يولَدونْ
وَيُقاتِلونَ، وَيَكْبَرونَ، وَيَشْهَدونْ...

***

نَمْ، يا سَليلَ الشِّعْرِ في العَلْياءِ
وَاقْرَأْ سورَةَ الغُفْرانِ،
وَاحْتَضِنِ النَّضارَةَ وَاللَهَبْ،
سَنَمُدُّ في كُلِّ المدى
صَوْتَ البُطولَةِ وَالنِّضالِ
لِتَسْجُدَ الدُّنْيا لِراياتِ الغَضَبْ...

٢٤ – ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٨

قصيدة غزّة

- ١ -

أَلَلَيْلُ يَكْتُبُ بِالدِّماءِ قَصيدَةً
وَيُلوِّنُ الدُّنْيا بِوَرْدٍ
ضَوْعُهُ كِبَرٌ وَسُكَّرْ...
صَبٌّ يَرُدُّ العارَ عَنْ مَعْشوقَةٍ،
وَيَصيحُ في وَجْهِ الدُّجى:
"أَللهُ أَكْبَرْ!"

***

أَفياؤُها مِسْكٌ،
وَرَيّاها زُهورُ البُرْتُقالْ،
وَضَميرُها نارٌ تَوَرَّدُ في المدى.
وَخُدودُها تُفّاحُ عَدْنٍ،

عَيْنُها طَرَبُ الخَيالْ.
بَسَماتُها وَرْدٌ وسُكَّرْ،
وَسُقوفُها شَهْدٌ وَعَنْبَرْ،
وفضاؤُها المُمْتَدُّ في عَيْنِ الضِّباعِ كَرامَةٌ،
وَسِياجُها زَنْدُ الرِّجالْ.

***

أَلشَّمْسُ إِنْ شَرَقَتْ
فَجْرًا على غَزَّهْ
تَمْتَدُّ قامَتُها
لِتُلامِسَ العِزَّهْ.

- ٢ -

هَلْ قَطَّعَتْنا الشَّمْسُ عِنْدَ شُروقِها
فَانْقَاسَتِ الأَجْسادُ بِالأَشْلاءِ

أوْ رَفَعَتْ حُروفُ الأَبْجَديَّةِ
وَحْيَها عَنْ كُلِّ شِعْرٍ
فَارْتَدَيْنا الوَرْدَ أَحْمَرَ نَكْتُبُ الدُّنيا بِهِ...؟
طالَتْ لَيالي الأَرْضِ،
وَامْتَدَّ المغيبْ،
وَانْشَقَّ وَجْهُ الفَجْرِ عَنْ بُرْجٍ
يُرصِّعُهُ النَحيبْ،
وَيَطولُ في وَجْهِ السَّماءِ
لِيَمْسَحَ الآياتِ عَنْ تَوْراتِها
وَيَرُدُّهَا خِرَقًا
فَيَسْنُدَ بُرْجَهُ الملْعونَ في اللَيْلِ الرَّهيبْ...
بُرْجٌ تُزَنّرُهُ ضِباعُ الأَرْضِ
في صَلَفٍ عَجيبْ
يَمْتَصُّ وَهْجَ الحُبِّ في الدُّنْيا
لِيَرْمِيَهُ حُطامًا لِلضَّغينةِ وَالمَمالِكِ:

طَلْعُهُ مِنْ زَعْزَعٍ في النّارِ
تَحْفُرُ إِسْمَ "إِسْرائِيلَ"
مِنْ كُلِّ المَمَالِكِ في شَتاتِ الأَرْضِ،
يُرْقَعُ ظِلُّهُ المسْبوكُ في هَولِ اللَهَبْ،
وَتُحيطُهُ بالمَوْتِ آلافُ الجَماجِمِ وَالضِّباعِ،
يُرَقِّعُ الحيطانَ في أَرْجائِهِ
جِلْدُ الأَرامِلَ وَاليَتامى
وَالدَّمُ المسْفوكُ في أَرْضِ العَرَبْ...

– ٣ –

قالوا: سَيَرْحُلُ مِنْ مَخاوِفِهِمْ
عَنِ الحَقْلِ المديدِ كَثيرُهُمْ،
وَكَثيرُهُمْ سَيُصابِ بِالصَّمْتِ العَميقِ
لِكَي يَنالَ القَمْحَ،
يَرْحَلُ في جُفونِ اللَيْلِ،

يَرْحَلُ في اتِّساعِ الأَرْضِ،
في كُلِّ المدى...
سَتَكونُ في مُدُنِ المدى المسْلوخِ عَنْ آفاقِهِ
مُدُنٌ حَديدُ،
يَمْتَدُّ خَلْفَ شَريطِها لَوْنُ الحَدائقِ،
وَالقَضاءُ الصّارِمُ الرّاسي،
وَ"شَعْبُ اللهِ"، وَالقَدَرُ الأَبيدُ...
سَيَكونُ خَلْفَ شَريطِنا مَوْتى
وَرُعْبٌ لا يَبيدُ...
لَكِنَّما تَعِبَ الظَّلامُ مِنَ الظَّلامِ
وَعانَدَتْهُ قَصيدَةٌ
شُعَراؤُها تَطْوي القَصائِدِ
ثُمَّ تَنْشُرُها بِلادا،
كَلِماتُها دَمُهُمْ
وَرُؤْياها ضِياءٌ سَيَفْلُقُ شَقَّ الرَّمادا.

تَعِبَ الظَّلامُ مِنَ الظَّلامِ وَأَهلِهِ...
تَعِبَ الظَّلامُ،
وَالبُرْجُ لا يَنْفَكُّ مُنْتَصِبًا عَلى الدُّنْيا
يُدينُ وَلا يُدانُ،
وَيَرقَعُ الدُّنْيا بِجَعْجَعَةِ الرَّحى
إِذْ تُسْحَقُ الأَطْفالُ تَحْتَ صُخورِها
وَجَماجِمُ العُبّادِ
وَالصَّبْرُ المقَدَّدُ وَالعِظامُ...
تَعِبَ الظَّلامُ،
وَتَدَفَّقَتْ في وَجْهِهِ
رِيحُ الكَرامَةِ
حينَ وَشَّحَها دَمُ العُشّاقِ
وَالعَزْمُ الَّذي يَرِثُ البَسيطَةَ بِالحياةِ
وَلا يَنامُ.

– ٤ –

أُمَمٌ تُقَنِّعُ نابَها بِالمَكْرِ
وَالعَدْلِ المضَمَّخِ بِالدِّماءِ.
أُمَمٌ سَرابٌ تَسْحَبُ الأَشْلاءَ في طُرُقاتِها
وَتُلوِّنُ الحَقَّ المصَدَّعَ بِالهُراءِ،
وَيقومُ طاغوتٌ هُنا
يَصْطادُ بِاسْمِ الحَقِّ بَسْماتِ الصِّغارِ،
وَيَفتَحُ اللَيْلَ البَهيمَ عَلى المدى...
فَتَشْتُ عَنْ أُفُقٍ لِأَزرَعَ فيهِ صَوْتي
أَوْ أُواريَ جُثَّتي...
فَتَّشْتُ عَنْ أُفُقٍ لِأُطلِقَ صَرْخَتي...
لَكِنَّما ضاعَ المكانُ،
فَلا مَدارَ وَلا طَريقْ.
لا شَيْءَ غَيْرَ النَّوْمِ مِنْ حَوْلي،
وَلا بَرْقٌ عَلى كَبِدِ السَّماءِ،

وَلا رَفيقْ...
وَحْدي أَهيمُ عَلى مَدى جُرْحي،
وَأَحمِلُ رايَتي لِلْواقِفينَ
يُضيئُهمْ جُرْحٌ كَجُرْحي،
وَالمدى عَبَثٌ ثَقيلٌ
في سُباتِ الأُمّةِ البَكْماءِ...
وَحْدي في شَوارِعِ جُرْحِنا المفْتوحِ
أَكْتُبُ مِنْ دَمي حَرْفَ القَصيدةِ
حينَ يَغْدو الكَوْنُ، مِثْلَ الأُمّةِ البَكْماءِ،
أَبْكَمَ... حينَ تنْطَمِسُ الطَّريقُ.
وَأَصيرُ في جُرْحي طَريقي...
تولَدُ الأَجْيالُ مِنْهُ وَالحَريقُ.
لا شَيْءَ غَيْري
في المدى المفْتوحِ لِلآتي،
وَأَحْمِلُ رايَتي لِلْعاشِقينَ،

أُضيئُهُمْ بقَضِيَّتي،
وَقَضِيَّتي أَعْلى مِنَ البُرْجِ البَغيضِ –
أَنا المدى وَالحُلْمُ وَالآتي
وَلَوْنُ العِشْقِ حِينَ يَصيرُ تاريخًا.
أَنا القُدْسُ الَّتي ارْتَفَعَتْ كَنائِسُها،
وَصَلَّتْ في مآذِنِها الأُلوهَةُ.
كُلُّ جُرْحٍ في المدى جُرْحي،
وَكُلُّ دَمٍ يُراقُ دَمي.
أَنا وَجْهُ العُروبَةِ
حينَ تَسْفُكُهُ ضِباعُ الغَرْبِ
أَوْ تَأْوي سُيوفُ الفَتْحِ لِلنَّوْمِ الثَّقيلِ.
أَنا الكَرامَةُ
حينَ يَغْدو العِزُّ جُرْحًا
وَالحِصارُ قَضِيَّةً لِلْأُمّةِ الخَرْساءِ...
وَجْهي كُلُّ وَجْهٍ، وَالدِّماءُ دَمي.

سَأَظَلُّ في أَعْصابِ غَزَّةَ رايَةً،
وَيَظَلُّ صَوْتُ الحَقِّ يَخْرُجُ مِنْ فَمي.

***

أَلشَّمْسُ إِنْ شَرَقَتْ
فَجْرًا عَلى غَزَّهْ
تَمْتَدُّ قامَتُها
لِتُلامِسَ العِزَّهْ،
وَالأَرْضُ مِنْ دَمِها
تَخْتالُ مُعْتَزَّهْ.

– ٥ –

أَلْعَدْلُ مَذْبَحَةٌ تُزَحْزِحُها تَلاوِينُ القَتامِ،
وَالكَوْنُ يَقْتَرِفُ الجَريمَةَ باسِمًا،
وَالفَجْرُ يَرْحَلُ في الظَّلامِ.

يَبِسَ الكَلامُ عَلى الصَّدى...
يَبِسَ الكَلامُ عَلى الكَلامِ...
صَمْتٌ...
وَغَزّةُ وَحْدَها صَوْتٌ يُدَوّي
بِٱسْمِ كُلِّ بَيارقِ الآتي
عَلى أَرْضِ العَرَبْ:
أَنا كُلُّ راياتِ العُروبَةِ في المدى،
وَأَنا الطَّريقُ مِنَ الرَّدى
نَحْوَ الحياةِ — أَنا الحَياةُ
أَنا أَناشيدُ الكَرامَةِ وَالغَضَبْ.
سَأَظَلُّ في عَيْنِ الظَّلامِ مَنارةً
وَيَرُدُّ وَجْهَ الحَقِّ فِيَّ مُقاوِمونْ
يَرِثونَ بالدَّمِ وَحْدَهُ مَجْدَ الشَهادَةِ،
يُقتَلونْ،
وَبِمَوْتِهِمْ تَرِثُ الحَياةُ حَياتَها،

وَبِمَوْتِهِمْ تُحْيي العُروبَةُ ذاتَها،
وَبِمَوْتِهِمْ تَتِدُ الرِّجالُ مَماتَها،
وَسَيُبْعَثونَ مَدى العُيونِ...
مَدى العُيونْ...

***

أَلليلُ يَكْتُبُ بِالدِّماءِ قَصيدَةً
وَيَصوغُ لِلدُّنْيا سَلامًا
ضَوْعُهُ كِبَرٌ وَسُكَّرْ.
صَبٌّ يرُدُّ العارَ عَنْ مَعْشوقَةٍ،
وَيصيحُ في وَجْهِ الدُّجى:
"أَلَلهُ أَكْبَرْ!"

٦/ ١/ ٢٠٠٩

قصيدة قانا

(أو: نشيد العروبة)

- ١ -

قانا... مَراراتُ النُّبُوّةِ، وَالبُطولَةُ
وَهْيَ تَرْسُمُ لِلزَّمانِ
مَلامِحَ القَدَرِ الجَديدَهْ...
قانا...
مَزاميرُ الشَّهادَةِ... وَالشَّهيدَهْ...
قانا...
دَمُ الشُعَراءِ،
مِحْبَرَةُ القُلوبِ
تَسيلُ في نَبَضاتِها الرُّؤْيا
لِتَنْكَتِبَ القَصيدَهْ...

زَمَنٌ تُوَشِّحُهُ المرارَةُ
وَالعُروبَةُ خاوِيَهْ.
زَمَنٌ تُضَمِّخُهُ الجِراحُ
لِيَرْسُمَ التّاريخَ عَبْرَ "رَبيعِهِ العَرَبِيِّ"
مَوْتَ المرْسَلينَ
وَعارَ سَيْفِ البادِيَهْ...
وَالأَرْضُ دَنَّسَها رَعاعٌ
يَرْفَعونَ عُروشَهمْ فَوْقَ العِظامِ
وَيَجْعَلونَ الموْتَ آياتٍ وَتَلْمودًا
يُنَزِّلُهُ الظَّلامُ...
طُغَمٌ يجمِّعُها الشَتاتُ
عَلى حُدودِ الأَرْضِ في قانا،
وَيُغْريها المقامُ،
وَالقُدْسُ عِرْضٌ مُسْتَباحٌ
في ضَميرِ عُروبَةِ الصَّحْراءِ

حَيْثُ اللهُ أَبْكاهُ التَّزلُّفُ...
والكلامُ...

- ٢ -

غَضَبٌ تجَمَّعَ في قَرارِ الأَرْضِ
مِنْ قَهْرٍ،
وَمِنْ جُرْحٍ تُحاصِرُهُ الخُطوبُ.
غَضَبٌ تَواتَرَ... مُشْبَعًا بِالمَوْتِ في قانا
وَعَرَّشَ في الدَّوالي
ثُمَّ قَدَّسَهُ الجَنوبُ...
غَضَبٌ...
كَأَنَّ حَشاشَةَ الأَرْضِ الَّتي الْتَهَبَتْ بِهِ
انْتَفَضَتْ عَلى عارِ القُعودِ
فَكَدَّسَتْ فيها أَزاهيرَ المدى
وَتَوالَدَتْ مِنْها صُقورٌ تَحْتَمي بِتُراثِها

وَتُراثُها سَيْفٌ يُسَلُّ
لِتَسْتَفيقَ كَرامَةُ الدُّنْيا
عَلى أَرْضِ العَرَبْ –
عرَبٌ... عرَبْ...
عَرَبٌ تَناسَتْ قِبْلَةَ القُدْسِ الَّتي دَنِسَتْ
بِأَقْدامِ المغولِ
لِتَحْفَظَ العَرْشَ المخَلَّعَ في صَحارى الصَّمْتِ
تَحْرُسُهُ سُيوفٌ مِنْ خَشَبْ...
عَرَبٌ تُبيحُ قُعودَها،
وَتُبيحُ مَقْتَلَها،
وَتَغْرَقُ في الخُطَبْ...
تَبَّتْ يَداكَ أَبا لَهَبْ...
أَلْغَرْبُ يَمْرَحُ في حِماكَ
وَفي حِماكَ العارُ يَكبَرْ...
وَعَلى جَبينِكَ لَعْنَةُ التّاريخِ

وَالصَّمْتُ المكَسَّرْ،
لَكِنَّ عَيْنَ اللهِ
تَرْجُمُ عَرْشَكَ المرْقوعَ بِالزُّلْفى
وَيُحْرِقُكَ اللَهَبْ...
أَللّهُ أَكْبَرْ...
أَللّهُ أَكْبَرُ مِنْ صُروحِ الظُّلْمِ يَعْضُدُها الذَّهَبْ...
أَللّهُ أَكْبَرُ مِنْ "عَناقيدِ الغَضَبْ"...
أَللّهُ أَكْبَرُ يا عَرَبْ!

- ٣ -

قانا...
سُطورٌ مِنْ دَمِ الشُّهَداءِ،
مِحْبَرَةُ الشَّهادَةِ وَالشَّهيدْ...
قانا...
حُقولُ المجْدِ،

زَوْبَعَةٌ تُعَلّي الأَرْضَ في أَلَقِ النَّشيدْ.
هيَ زَوْبَعَهْ
حمْراءُ تَرْقُصُ في المدى،
تَعْلو الجِهاتِ الأَرْبَعَهْ.
هِيَ زَوْبَعَهْ...
هِيَ جَبْهةُ الفَجْرِ الشَّهيدِ
تُهَدْهِدُ التّاريخَ مِنْ وَلَهٍ،
وَيَحْمِلُها مَعَهْ...
هِيَ سَيْفُ هَذا الشَّرْقِ
يَبْرُقُ في قُلوبِ مُجاهِدينْ
تَتَبارَكُ الدُّنْيا بِصَوْلَتِهِ
وَيُشْرِقُ في الجَبينْ،
وَيُطِلُّ مِنْ صَدَإِ الزَّمانِ الرَّخْوِ.
لَمْ نُبْصِرْ عَلى أَشْلاءِ جُثَّتِنا
سِوى صَمْتِ الفَراغِ المرِّ.

لَمْ نُبْصِرْ
سِوى غَضَبٍ تَعَتَّقَ
في العُروقِ وَفي هُوِيَّتِنا،
وَلَمْ نُبْصِرْ سِوانا
حامِلًا جُرْحَ المسيحِ
وَعَهْدَهُ الآتي لِهَذي الأَرْضِ.
آلَفَنَا الرَّدى
وَتَواترَتْ مِنْ حَوْلِنا جُثَثُ الرِّفاقِ،
كَأَنَّما الميثاقُ وَقَّعَهُ دَمٌ،
وَكَأَنَّما فُرْقانُنا غَضَبٌ مَديدُ —
ميثاقُنا دَمُنا
وَنَحْنُ القَيِّمونَ عَلى عُروبَتِنا
يُحَرِّرُها وَيَرْفَعُها النَّشيدُ.
قانا هُوِيَّتُنا،
قانا صَلاةُ القُدْسِ

في بُحْرانِ أُمَّتِنا،
قانا مَعاريجُ الشَّهادَةِ... وَالشَّهيدُ...

- ٤ -

صَبْرٌ تَعَتَّقَ في عُروقِ الأَرْضِ خَمْرًا
وَالمدى مَوْتٌ مَشاعُ...
وَاللَّيْلُ سورٌ حاصَرَ الدُّنْيا
لِيَكْتُبَ بِالرِّياءِ الزّيفَ قانونًا
وَيُخْفيَهُ قِناعُ...
صَمْتٌ يُزَوْبِعُ حَقَّنا المجْروحَ
في زَمَنِ التَّخَلّي.
زَمَنُ الهَزائِمِ وَالصَّدى يَمْتَدُّ في وَجَعِ التُّرابِ
وَبَدْوُنا ناموا وَضاعوا،
وَالسَّيْفُ مُنْكَسِرٌ عَلى العارِ المُهِلِّ...
هَذا هُوَ التّاريخُ مُنْصَدِعًا

وَقُرْآنُ الشَّهادةِ صامِتٌ... كَالمَوْتِ،
وَالدُّنْيا تُصَلّي
لِإِلَهِها الدَّجّالِ،
لِلْأَصْنامِ في عَمَهٍ مُذِلِّ.
زَمَنُ المرارةِ يَسْتَبيحُ كِيانَنا المذْهولَ
وَالدُّنْيا يُمَزِّقُها الغَضَبْ.
زَمَنُ التَّخَلّي... وَالعَرَبْ
أُمَمٌ يُنَوِّمُها وَيوقِظُها الطَّرَبْ،
وَالغَرْبُ عَرّابُ القُعودِ
بِبُرْجِهِ العالي المطِلِّ.
زَمَنُ التَّخَلّي
زَيَّفَ الدُّنْيا فَشَوَّهَها التَّعَبْ.
زَمَنُ التَّخلّي
حاصرَ التّاريخَ
فَانْهَزَمَ العَرَبْ!

– ٥ –

أَلْقَتْلُ ميثاقٌ... وَقانا
تَزْرَعُ الفُرْسانَ في الصَّمْتِ المديدْ
وَتُشَرِّعُ الأَحْلامَ في أَطْفالِنا
لِيُعَمّروا الشَّرْقَ الجَديدْ
وَيُزَنّروا التّاريخَ بِالوَجَعِ المطَهِّرِ... وَالشَّهادَهْ –
جيلٌ مِنَ الأَزْهارِ
يُخْصِبُ بِالدَّمِ الفَوّارِ بُورَ الأَرْضِ
كَيْ تَحْلو العِبادَهْ...
طوبى لِمَنْ عَقَدوا عَلى جَبَهاتِهِمْ
نارَ الضَّميرْ.
طوبى لِأَطْفالٍ تُكَسِّرُ ما تَرامى
في وَصايا الزّيفِ مِنْ عارِ القِيادَهْ
وَتَرُدُّ لِلْعَرَبِ الكَرامةَ
وَهْيَ تَرْسُمُ ما تُقَدِّرُ في المصيرْ...

طوبى لِمَنْ كَتَبوا بِسَيْفِ الحَقِّ
تاريخَ القِيامةِ وَالعَبيرْ،
وَبِسَيْفِهِمْ قُدَّ السُّكونْ؛
وَسَيولَدونْ
تَحْتَ الحِجارَهْ.
وَسَيولَدونْ
في كُلِّ حَرْفٍ صِيغَ مِنْ رِئَةِ العِبارَهْ.
وَسَيولَدونْ
بَيْنَ الضَّحايا،
يولَدونَ
مِنَ الشَّظايا،
يولَدونَ
مِنَ الجِهاتِ... مِنَ الزَّوايا...
يولَدونَ
مِنَ اللَهَبْ.

وَسَيولَدونَ

مِنَ الصَّخَبْ.

وَسَيولَدونَ

مِنَ الغَضَبْ.

وَسَيولَدونَ وَيُقْتَلونَ وَيَقْتُلونْ...

وَسَيولَدونَ... وَيولَدونَ... وَيولَدونْ...

قانا...

سُطورُ الشِّعْرِ في تاريخِنا النَّثْرِيِّ،

زَنْبَقَةُ البُطولَةِ... وَالسَّلامْ...

قانا...

رياحُ البَوْحِ في زَمَنٍ

يُحَوِّلُهُ رَمادًا باردًا

صَمْتُ الكَلامْ...

قانا...

حِصانٌ جامِحٌ
يَجْتاحُ أَلْواحَ الوَصايا،
يَكْتُبُ التّاريخُ في عِشْقٍ
وَفي عِشْقٍ يَنامْ...

أرض الغضب
(أو قصيدة سميح القاسم)

غِيَابُكَ فينَا قَوِيٌّ،
وَعيْناكَ يُشْرِقُ ضَوْؤُهُما
في عَميقِ الحُضورْ...
وَتَبقى فِلَسْطينُ عاشِقَةً
سَرَقَتْ وَهْجَها
مِنْ جِراحِ العُصورْ...
وتَبقى القَصيدَةُ سَيْفًا
يُقَطِّعُ جِسْمَ الرَّدى،
وَالمدى...
كُلُّ هَذا المدى...
وَجَعٌ يَتَراكَمُ
في صَمْتِ أَعْرابِنا

وَضَجيجِ الفُجورْ...

***

يَقولونَ: مُتَّ!

وَأَنْتَ أَشَدُّ حُضورًا مِنَ الحاضِرينَ.

يَقولونَ: مُتَّ!

وَلَكِنَّ أَعْرابَنا في السَّكينَةِ ماتُوا

وَلَمْ يُدْفَنوا...

وَأَنْتَ تُضيءُ، بما قِيلَ مَوْتُكَ،

كُلَّ الزَّوايا،

وَبِالرَّعْدِ، يا "طائِرَ الرَّعْدِ"،

تَسْقي العُروبَةَ روحَ الحَياةِ

وَتَحْرُسُ فيها القَضايا...

وَتَحْفرُ في السَّمْت،

في قِمّةِ السَّمْتِ،

صَوْتَكَ...
أَعْلى مِنَ الجَبَروتِ الَّذي خَلَّفَتْهُ
ضِباعُ العَدُوِّ
لِيُعْلِنَ أَنَّ الوُرودَ تُقاتِلْ،
وَأَنَّ التَّواريخَ تُكْتَبُ بِالدَّمِ وَالتَّضْحِياتِ،
وَأَنَّ النِّضالَ مَراحِلْ...
وَأَنَّ القِيامَةَ تَعْقُبُ مَوْتًا،
وَأَنَّ العُروبَةَ شَعْبٌ مُناضِلْ...
سَتَكْتُبُ كُلُّ التَّواريخِ عَنْ دَمِنا،
وَسَنَحْفُرُ بِاللَحْمِ وَالعَظْمِ تاريخَنا،
وَنُعَمِّدُ أَيّامَنا بِالشَّهادَةِ،
نَجْعلُ حَتّى الظِّلالَ مَناجِلْ...
سَنَرْفَعُ وَحْدَتَنا في وُجوهِ القَبائِلْ،
وَنُعْلِنُ لِلْغرْبِ وَالشَّرْقِ
أَنَّ القَصيدَةَ نارٌ،

وَأَنَّ حُدودَ السَّماءِ فِلَسْطِينُ وَالقُدْسُ،
وَالرّايةَ العَرَبِيَّةَ قُنْبُلَةٌ
فوقَ رَأْسِ العَدُوِّ،
وَأَنَّ الزُّهورَ لَدَينا قَنابِلْ...

***

غِيابُكَ فينا حُضورٌ قَوِيٌّ
أَشَدُّ حُضورًا مِنَ العَرَبِ الميِّتينْ
وَنَحْنُ العَرَبْ
صُخورُ الجِبالِ
وَزَوْبَعَةٌ تَتَأَلَّقُ عَبْرَ فَضاءِ السِّنينْ.
يَقولونَ: مُتَّ! —
وَكَيْفَ يَموتُ الغَضَبْ؟!
ضَجيجُ الكَرامَةِ في القَلْبِ نارُ غَضَبْ،
وَغَزَّةُ في مَلْحَماتِ الصُّمودِ غَضَبْ،

وَدَعْساتُنا في الصُّخورِ غَضَبْ،
وَكُلُّ دَمٍ في الجِراحِ غَضَبْ...
وَلَمْ يَعْرِفوا
أَنَّ بَيْنَ الزَّمانِ
وَبَيْنَ الجِراحِ الَّتي هَدْهَدَتْنا
عَلاقَةُ حُبٍّ عَجَبْ...
وَأَنَّ سِوانا يَبيعُ الكَرامَةَ بِالنَّفْطِ،
يُحْمِلُ سَيْفًا خَشَبْ.
نَسَوا، حينَ ذَرَّ بِعَيْنَيْهِمِ الغَرْبُ كِذْبَتَهُ،
أَنَّ طَبْعَ الفَوارِسِ كَالجَمْرِ زَوْبَعَةٌ
تَصْقُلُ الأَرْضَ بِالأَحْمَرِ المتَضَرِّمِ
وَالفَتْحَ سَيْفُ كِتابٍ مِنَ اللهِ
لَمَّ الشُّعوبَ عَلى شَفْرَةٍ مِنْ لَهَبْ...
وَلَمْ يَعْرِفوا
حينَ عاثَتْ ضِباعُ الشَّتاتِ بِقُبَّةِ "جِبْريلَ"

أَنَّ الكَرامةَ فينا عَصَبْ،
وَأَنَّ فِلَسْطِين... كُلُّ فِلَسْطِينَ...
أَرْضُ غَضَبْ...!

***

نَموتُ لِنَحْيا،
فَكَيْفَ، إِذًا، قيلَ: مُتَّ!
وَأَنْتَ ضَميرٌ تَوَزَّعَ في قَلْبِ جيلٍ
يَخُطُّ حُدودَ الحَياةِ،
وَتولَدُ في "طائِرِ الرَّعْدِ"،
تَنْبِضُ في رَحِمِ الكَلِماتِ...
تَذوبُ العُروشُ مَعَ الوَقْتِ
وَالفَلْسُ يُخْصي جِباهَ الطُّغاةِ،
وَتَبْقى العُروبَةُ فينا نَشيدًا
يَمُدُّ جُذورَهُ مِنْ قَلْبِكَ المطْمَئِنِّ

إِلى قَلْبِنا،
وَنَمْسَحُ بِالدَّمِ عارَ العُروشِ
وَعارَ المساوِمْ.
سَنُرجِعُ لِلشَّرْقِ جَبْهاتِهِ الشّامِخاتِ
لِأَنّا نُقاوِمْ...

الآتي من الحلم

(إلى فخامة الرئيس ميشال عون)

– ١ –

إِباؤُكَ عِطْرٌ
وَصَوْتُ الكَرامةِ فِيكَ ٱلْتَهَبْ،
وَفُتِّحَ فِي خَطْوِكَ الحُلْمُ
يَخْتَرِقُ المسِتَحيلَ
لِيَرْفَعَهُ الشَّعْبُ قَصْرَ لَهَبْ...
فَكَيْفَ يَصيرُ الزَّمانُ زَمانًا
إِذا لَمْ تُوَشِّحْهُ أَنْتَ
بِلَوْنِ الغَضَبْ؟

وَتوغِلُ في الحُلْمِ...
تَفْتَحُ فيهِ المروجَ السَّعيدةَ وَالأُقْحُوانْ...

وَيَنْبُتُ في خَطْوِكَ الأَرْزُ وَالسِّنْدِيانْ...
وَتُنْفى...
لِأَنَّ الإِباءَ يَشيحُ عَنِ العارِ...
تُنْفى...
لِأَنَّكَ حُلْمٌ يُعَرِّشُ في النّارِ...
تَغْدو المنافي... جَميعُ المنافي...
حُضورًا لِصَوْتِكَ يَبْعَثُ مَوْتَ المكانْ،
فَيَنْحَسِرُ الزَّمَنُ المتَكَدِّسُ فَوْقَ الجَليدِ
وَيُلْقي عَلى كَتِفَيْكَ عَباءَتَهُ،
يَنْتَحي جانبًا...
كَيْ يُكَلِّلَ رَأْسَكَ تاجُ أَبَدْ.
تَصيرُ كَثيرًا...
كَثيرًا كَثيرًا...
وَأَنْتَ أَحَدْ.
تَعودُ

وَتَفْتَحُ مِنْ قلْبِكَ الحُلْمَ زَوْبَعَةً
مِثلَ صَوْتِ القَضاءْ.
تَعودُ مِنَ الحُلْمِ
أَكْثَرَ ضَوْءًا مِنَ الضَّوْءِ،
تَرْفَعُ عَنّا ٱنْفِلاتَ الهَباءْ،
وَانْفِجارَ الشَّجَنْ
وَتَرْحَلُ في الشَّعْبِ،
في كُلِّ أُمٍّ وَطِفْلٍ...
لِتَجْعَلَ مِنْ كُلِّ قلبٍ
حُدودَ الوَطَنْ...

– ٢ –

إِباؤُكَ عِطْرٌ
وَأَنْتَ ٱمْتدادُ المنى
حَيْثُ يَخْتَرِعُ الحُلْمُ أُرْجوحَةَ المسْتَحيلِ...

إِباؤُكَ لَوْنُ الضِّياءِ
ٱلَّذي عَتَّقَ الحُلْمَ مِثْلَ نَبيذٍ
فَأَسْكَرَنا في جُموحٍ طَويلِ.
وَكُنْتَ اخْتَصَرْتَ رُؤانا جَميعًا
بِوَقْفَةِ عِزٍّ،
وَسافَرْتَ في رُؤْيا النّاسِ...
كُنْتَ النَّشيدَ الَّذي عَلَّمَ الفَجْرَ
أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ فيهِ
لِيَزْرَعَ سَوْسَنَهُ في ٱنْفِتاحِ السَّبيلِ...
كُنْتَ رَعْدًا يُعَلِّمُنا
كَيْفُ نَغْزِلُ خَيْطَ الحَياةَ منَ الدَّمِ
حِينَ يُبَرْعِمُ في المَوْتِ وَجْهُ الشَّهيدِ القَتيلِ...
وَلَمّا رَأَيْتَ التُّرابَ يَصيرُ يَتيمًا
وَيُنْبِتُ زَهْرَ الغِيابِ
خَرَجْتَ مِنَ الحُلْمِ

كَي تَمْسَحَ الأَرْضَ بِالخِصْبِ،
تُنْزِلَ فَوْقَ التُّرابِ المطَرْ،
وَتَفْتَحَ نافِذَةَ الضَّوْءِ في قَلْبِ هَذا العَماءْ،
وَيَرْعُدُ صَوْتُكَ فيهِ قَدَرْ...
تَشُقُّ الزَّمانَ الَّذي كَدَّسَ العارَ
وَاخْتارَ أَنْ يَزْحَفَ النّاسُ زُلْفى
وَأَنْ يَتَصَدَّعَ في طَبَقاتِ العَفَنْ
وَجْهُ هَذا الوَطَنْ...
تَشُقُّ الزَّمانَ...
لِيَخْرُجَ مِنْ حُلْمِنا
أَلَقًا وَسَناءْ،
وَآخَيْتَ بَيْنَ الشَّهادةِ والمسْتَحيلِ،
خَرَجْتَ مِنَ الحُلْمِ... مِنْ كُلِّ قَلْبٍ...
لِتَجْعَلَ في كُلِّ قلْبٍ حُدودَ السَّماءْ.

– ٣ –

رَحَلْتَ إِلى الخَلْقِ...
مَنْفاكَ كانَ الرِّسالَةَ لِلْكَوْنِ
مِنْ أَوَّلِ المسْتَحيلِ...
إِلى قُبْلَةِ الحُلْمِ...
مَنْفاكَ كانَ ابْتِداءَ سُقوطِ الطُّغاةِ
وَبَوّابَةَ الغَضَبِ المتَأَلِّقِ
يَغْسِلُ فينا الرَّبيعْ.
كَتَبْتَ بِلَوْنِ إِبائِكَ أَنْتَ
رَسائِلَ لِلْكَوْنِ أَنَّ النَّجيعْ
مِنْ عُروقِ الشَّهادَةِ حِبْرٌ
يُعيدُ الحياةَ إِلى الأَرْضِ بِكْرًا،
وَلَوْنُ إِبائِكَ قافِيَةُ الأَرْزِ
حينَ يَصيرُ الفَضاءْ
مَدًى لِاحْتِراقِ المسافَةِ

بَيْنَ الخُلودِ وَبَيْنَكَ
حَيثُ تُضاءُ قَناديلُهُ
في ٱمْتِدادِ الفِداءْ...
تُهاجِرُ... حَتّى نِهايَةِ قَلْبِكَ
في الوَطَنِ البُرْتُقالِيِّ...
تَسْقيهِ نُسْغَ الكَرامَةِ،
تَرْفَعُ عَنْهُ الصّدى وَالخِواءْ
وَتُطْعِمُ هَذا المدى
ٱلمكْتَسي بُرْتُقالَ الشَّهادةِ وَجْدَكَ،
تَمْسَحُ فيهِ الجِراحَ،
تُضَمِّخُها بِصَليبِكَ
عَبْرَ المجالِ الفَسيحْ
وَتَحْمِلُ في قَلْبِكَ الوارِفِ
وفي جَنْبِكَ النّازِفِ
وفي قَدَمَيْكَ

وَبَيْنَ يَدَيْكَ
جِراحَ المسيحْ...

— ٤ —

يَنامُ الزَّمانُ عَلى كَتِفَيْكَ وَقَدْ صارَ نارًا،
وَقَلْبُكَ يُشْرِقُ
في أَعْيُنِ النّاسِ قَوْسَ قُزَحْ،
وَالمدى... كُلُّ هَذا المدى...
يَتَدَفَّقُ عَبْرَ الدُّروبِ بِلَوْنِ الفَرَحْ...
يَعودُ الزَّمانُ الَّذي شاخَ فينا فَتِيًّا،
يَسيرُ عَلى صَفْحَةِ الماءِ نَحْوَ التَّلاميذِ...
مِنْ حَقِّنا أَنْ نُغَنّي،
وَأَنْ نُشْعِلَ الأَرْضَ
خَلْفَ حُدودِ التَّمَنّي،
وَمِنْ حَقِّنا أَنْ نُحِبَّ كَثيرا،

وَمِنْ حَقِّنا أَنْ نَعيشَ كَثيرا،
وَمِنْ حَقِّنا أَنْ نَكونَ كَثيرًا... كَثيرا...
وَمِنْ حَقِّنا أَنْ نُعَبِّدَ
بَيْنَ الإِلَهِ وَبَيْنَكَ هَذي المسافَةَ،
أَنْ نَمْلَأَ الوَقْتَ بِالحُلْمِ،
أَنْ نَسْتَفيقَ عَلى النّورِ في بَلَدٍ
صارَ، مُنْذُ رَجِعْتَ، لَنا...
سَقَيْنا وُرودَهُ مِنْ دَمْعِنا،
ومِنْ حَقِّنا
أَنْ نَرُشَّ جَمالَ الأَساطيرِ في دَمِنا...
كُلُّ أُسْطورةٍ في يَدَيْكَ
تُعيدُ بِناءَ التّواريخِ،
تَحْمِلُ لَحْنَ الحَياةِ
بِمَعْزوفَةٍ مِنْ سَناءْ...
وَعَزْمُكَ، إِذْ تَصْدَحُ النّارُ فيهِ،

يُعيدُ بِناءَ الكَرامَةِ
في وَطَنٍ قَيَّدوهُ بِهَوْلِ الرِّياءْ،
لِيَغْدُوَ في كُلِّ صَخْرٍ ثَباتَ مُريدٍ،
وَفي كُلِّ قَلْبٍ حُضورَ شَهيدٍ،
وَفي كُلِّ أَرْضٍ سَماءْ...

***

إِباؤُكَ عِطْرٌ
وَصَوْتُ الكَرامةِ فِيكَ الْتَهَبْ،
وَفُتِّحَ فِي خَطْوِكَ الحُلْمُ
يَخْتَرِقُ المستَحيلَ
لِيَرْفَعَهُ الشَّعْبُ قَصْرَ لَهَبْ...
فَكَيْفَ يَصيرُ الزَّمانُ زَمانًا
إِذا لَمْ تُعَمِّدْهُ أَنْتَ
بِماءِ الغَضَبْ؟

ديزيره سقال

مملكة الفقراء

٢٠١٨

١ – الطَّقْس الأول:

١ – الليل:

يَنْزِلُ اللَيْلُ مِنْ رِئَةِ الوَقْتِ.
يَجْلِسُ في بَصَماتِ الصَّدى
وَيُؤاكِلُنا.../
وَجْهُهُ أَبْجَديَّهْ
وَعَيْناهُ مَرْكَبَتانِ تَجُرّانِنا
في فَضاءٍ مِنَ الحَسَراتِ الطَّرِيَّهْ.

يَنْزِلُ اللَيْلُ مِنْ فَحْمَةِ الوَقْتِ
كَالحَجَرِ المطْمَئِنِّ إِلَيْنا
وَيُهَدْهِدُنا بِجَليدِ القَناعَةِ/ يَأْخُذُنا
في مَسارٍ غَريبٍ:
وَجْهُهُ شَبَحٌ يَتَلَوَّنُ بِالبَرْدِ.

كَفّاهُ رَمْلٌ
يُجَمِّعُ أَحْفادَهُ في الغُروبِ.

يَنْزِلُ اللَيْلُ مِنْ حَجَرِ الوَقْتِ/
بَيْنَ ٱلقَناعةِ وَالوَقْتِ وادٍ
مِنَ اللَعْنةِ الحامِضَهْ.
يَرْتَدي حَبَّةَ الرَّمْلِ كَوْنٌ،
وَصَحْراؤُنا أَبَدٌ حَجَرٌ
بَيْنَ أَطْفالِنا
وَمَدى اللُغَةِ الغامِضَهْ...

٢ – الحجر:

حَجَرٌ يَتَناسَلُ/ كانَ المدى
قارِبًا مِنْ قَراصِنَةِ القَهْرِ/
وَجْهي

عَلى اليَبَسِ المتَقَرِّحِ
يَقْرَأُ ما دَوَّنَتْهُ ٱنكِساراتُهُ.
كانَ وَجْهي يَمُرُّ بَطيئًا
وَيَمْسَحُ حُلْمَ الرَّغيفِ
عَلى الحَجَرِ المطْمَئِنِّ.
يُغَنّي/
يُجيبُ الحَجَرْ.
تَسْمَعُ الرَجْعَ تَسبيحَةٌ
قرأتْها قلوبُ البشَرْ.

حَجَرٌ يَتَناسَلُ؟ كانَ الخَليفَةُ
يَكْتُبُ أَشْياءَنا المسْتَحيلَةَ
وَالصَّمْتُ يَفْتَتِحُ الأَرْضَ. كانَ المدى
حَجَرًا يَثْقُبُ الصَّمْتَ
في هَوْلِهِ المطْمَئِنِّ/ ٱلصَدى

حَجرٌ...
وَالهَواءُ الَّذي يَتَحَرّى الصَّدى
حَجَرٌ...
حَجَرٌ يَكْسِرُ الضِّياءْ.

٣ – الرمل:

رَمْلٌ يَتَعالى/
أَلدَّرْبُ تَميعُ عَلى الأَقْدامِ
وَحَبّاتُ التّيهِ انْزَرَعَتْ
في مَلَكوتِ القَلْبِ.
هُنا
دَغْلٌ يتَناسَلُ فيهِ اللَيْلُ المرْكومُ
عَلى طُرُقاتِ الزَّمَنِ...
رَمْلٌ/ وَالشَّجَرُ الماحِلُ
يَنْهَضُ مِنْ لُغَةِ الرَّمْلِ

وَيَنْسُجُ أُغْنِيَةَ الشَّجَنِ...
رَمْلٌ/ وَمَرايا اللَيْلِ عِظامٌ
تَتَكَسَّرُ في حَلْقِ التّاريخِ.
هُنا
وَمَضَ الماضي
وَتَحَجَّرَ في اللَيْلِ المرْكومِ عَلى الأَحْجارِ.
هُنا
مَسَحَ البَرْدُ وُجوهَ النّاسِ
وَفاضَتْ أَطْيافُ الصَّحْراءِ
عَلى شَفَةِ الأَرْضِ.
هُنا
شَجَنٌ يَتَفَتَّحُ في شَجَنِ...
رَمْلٌ يتَعالى/
ألصبْرُ يُطَرِّزُ وجهَ الكَفَنِ...

٤ – الكَفَن:

سافَرَ الخَطْوُ
في حَلَقاتِ الصَّدى/
كانَ وَجْهي
جِدارًا مِنَ العَظْمِ
فَوْقَ المساءِ الطَّويلِ...
عَلى الثَّلْجِ مِطْرَقَةُ الصَّمْتِ.
في الوَقْتِ ثَلْجٌ/
يَدُقُّ الصَّدى جرَسَ البَرْدِ.
يَنْزِلُ مِنْ شَفَةِ الوَقْتِ/
وَجْهي
غُبارٌ عَلى
صَدَإِ الوَطَنِ المسْتَقِرِّ
بِعَتْمِ الهَباءْ –
خَواءٌ يَمُرُّ عَلَيْهِ الخَواءْ

وَمَدى الأُفْقِ تَطْريزُ أَسْئِلَةٍ
وَرَمادٌ يهُبُّ بِمَمْلَكَةِ الفُقَراءْ...

٢ – الطَّقْس الثاني:

١ – شَيْء:

وَجْهُهُ لا مَلامِحَ فيهِ
وَلَكِنَّهُ يَقْرَأُ الوَقْتَ
نَبْضًا فَنَبْضا...

وَجْهُهُ كالمرايا
وَلَكِنّهُ يَعْكُسُ الصَّمْتَ،
يَرْشفُهُ قَطْرَةً قَطْرَةً
ثُمَّ يَأْوي حَكايا...

وَجْهُهُ كَالدُّروبِ
وَلَكِنّهُ
فارِغٌ كَالَبقايا...

٢ – شَيْء:

لَيْسَ بَيْنَ الكِتابَةِ وَالحَرْفِ
إِلّا شَفيرٌ
مِنَ الأَعْيُنِ العابِسَهْ
وَمَدًى يَفْتَحُ الكَوْنَ
لِلصَّرْخَةِ اليابِسَهْ.

لَيْسَ بَيْنَ الكِتابةِ وَالحَرْفِ
غَيْرُ صَدى شُعَراءِ قرونٍ خَلَتْ
تاعِسَهْ...

٣ – شيء:

يَضْرِبُ الوَقْتُ وَجْهي بِحافِرِهِ
ثُمَّ يَأْوي إِلى البَرْدِ
في ظُلُماتِ المدى.

أَيَرُدُّ عَلى المَوْتِ لَيْلٌ
وَيَحْمِلُهُ كَالصَّدى...؟

٣ – الطَّقْس الثالث:

١ – رقعة:

يَقْعُدُ الصَّمْتُ في وَجْهِنا
هادِئًا
كَصُخورٍ تَشَمَّسُ مُنْذُ الأزَلْ
وَقُرَى تَتَمَطّى عَباءاتُها
تَحْتَ عَيْنِ النُّجومِ
وَتَيْبَسُ فيها قُبَلْ...

لِسُهولٍ يُطارِدُها الجوعُ
مُنْذُ زَمانٍ تَخَنَّطَ كَالمومِياءْ
أُشَرِّعُ وَجْهي،
لِصَنّاجَةِ الفُقَراءْ،
لِلَيْلٍ تَلاقى بِهِ اللَيْلَكُ المتَسَلِّلُ
تَحْتَ خَلايا الظُّنونِ،

لجُرحِ الفَضاءْ.

أُشَرِّعُ وَجْهي
وَيَخْتَرِقُ الصَّبْرُ فَوْقَ العِظامِ الكَسيرَةِ/

يَذْكُرُ:
ما حِكْمَةُ الفَقْرِ؟
– أَنْ يَسْلُكَ العَرْشَ مُحْتَرِفٌ
وَيُسَيِّجَ في وَجْهِهِ العارَ –

يَذْكُرُ:
كانَ المدى
فارِغًا
يتَمَطّى عَلى طَرَفَيهِ الشَّلَلْ

وَالصَّدى
يَتَرَدَّدُ مُنْكَسِرًا
كَصُفوفِ الأَسَلْ...

٢ – رقعة:

زَمَنٌ يَتَحاصَرُ بِالْأَجْوِبَهْ.
زَمَنٌ يَتَكاثَرُ كَالفِطْرِ
في لَيْلِ أَقْدامِنا المتْعَبَهْ.

٣ – رقعة:

أَلْبُطولاتُ ريحُ هَباءٍ
تَهُبُّ وَتَغْرَقُ في البَحْرِ/ سَيْفٌ
مِنَ القَشِّ يَطْعَنُ قَلْبَ الهَواءْ
وَالخَليفةُ
بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ

يُبْحِرُ في دَمْعَةِ الأَنْبياءْ...

٤ – رقعة:

جَلَسَ المتْعَبونَ عَلى رِمْشِ عَيْني:
حَلْقَةٌ
تَتَرَدَّدُ في دَوَرانِ المَلَلْ...
حَلْقةٌ
باعَتِ الوَقْتَ لِلثَّلْجِ
تَجْمَعُهُ تَحْتَ جُبَّتِها.

حَلْقةٌ
تَكْتُبُ الفَقْرَ وَالحُلُمَ المحْتَمَلْ...
نَزَلَ التَعَبُ المتَحَلِّلُ مِنْ جَبْهَةِ المتْعَبينْ:
فَراغٌ
ويَخْتَرِقُ العاشِقونَ عَلى بَعْضِهِمْ

في جَحيمِ الظَّلامْ...
وَيَأْوي الشِّتاءُ إِلى ثَلْجِهِ
يَخْلَعُ البَرْدَ في وَجْهِنا
وَيَنامْ...

٤ – الطَّقْس الرابع:

١ – أنشودة:

غَنّى الهَواءُ وَأَنا فيهِ صَوْتٌ جارِحٌ كَتَكَسُّرِ الخُبْزِ/ غَنّى الهَواءُ وَاسْتَقَرَّ عَلى الجُرْحِ صَدًى يُحَرِّكُ الرَّمادَ فَيَنْزاحُ عَنْ رَمادٍ/ غَنّى.

لَبِسَ الفَضاءُ انْعِكاسَ الصَّمْتِ وَالأَرْضُ في عَيْنَيْهِ قارورَةٌ مِنْ خَمْرَةِ الرَّمْلِ.

غَنّى المُتْعَبونَ:

أَلصَّوْتُ أَبْجَدِيَّةٌ لِلْفَراغِ

وَالصَّدى عُصورٌ تَحْتَرِقُ...

٢ – أنشودة:

جَسَدي خِرْقَةٌ تُخاطُ إِلى اللُغَةِ المومِياءِ – جَسَدي كَفَنٌ/ لَمْ يَعُدْ

يُصْغي إِلى الفَجْرِ أَوْ إِلى نَسيجِ المطَرِ يَغْزِلُ عَباءَةَ الأَبْجَدِيَّةِ...

جَسَدي كِتابٌ لَمْ يَعُدْ يُكْتَبُ فيهِ

سِوى تاريخِ اليَقينِ/ لَيْسَ لَهُ أَخٌ إِلّا ذاتَه – لَيْسَ لَهُ أَبٌ إِلّا ذاتَه...

جَسَدي تاريخٌ يَخْرُجُ مِنَ التّاريخِ

وَالزَّمَنُ ريشَةٌ تُعيدُ كِتابَةَ ما ٱنْكَتَبَ...

٣ – أنشودة:

اسْأَلوا الشَّرْقَ: ما سيماءُ الأَسْماءِ؟

اسْأَلوا الشَّرْقَ:

قامَةُ النُظّامِ تَعْشَقُ لَيْلَ الإِنْشادِ، وَالحَرْفُ جُرْحٌ بَيْنَ اللَفْظِ وَاللَفْظِ يُجَوِّدُ اليَقينَ لِسُلالاتٍ مِنَ الحِبْرِ المتَخَثِّرِ.

اسْأَلوا الشَّرْقَ
قاماتُ النُّبُوّاتِ رُصَّتْ وَٱنْضَغَطَتْ في يَقينٍ صَغيرٍ قاسٍ كَالحَجَرِ...

اسْأَلوا الشَّرْقَ:
شَرْقٌ عَلى عَتَباتٍ فارِغاتٍ كَالأَطْلالِ
وَبَشَرٌ يَتَكَوَّمونَ كَحَبّاتِ الرَّمْلِ...

٥ – الطَّقْس الخامس:

١ – صلاة:

جَسَدُ التّاريخِ حِبْرٌ في صَدى الأَسْماءِ/ قُلْتُ:
ٱلإِسْمُ جُرْحٌ، وَالفَضاءْ
زَمَنٌ يُغْرِقُهُ التّاريخُ في بَحْرِ الهَباءْ.

جَسَدُ التّاريخِ قاماتٌ كَأشباحٍ قَصِيَّهْ
وَالمدى لَفْظٌ خَواءْ
جَمَّعَتْ أَحْلامَهُ الرُّؤْيا
وَما مِنْ أَبْجَدِيَّهْ!

٢ – صلاة:

أَقْرَعُ البابَ، وَلَكِنْ
لي يَقينٌ يَلْبَسُ الأَشْياءَ.

قُلْ: ذاكِرَتي غابَتْ
وَوَحْيي ٱشْتَعَلَتْ فيهِ الرُّفاتْ —
لَيْتَ لي أَنْ أَغْسِلَ اللَيْلَ الَّذي يُطْفِئُنا
بِدُموعِ الكَلِماتْ...

أناشيد الفُقَرَاء

١ – السُلَيك بن السَلَكَة

– ١ –

أ –

لا قامَةُ الصَّحْراءِ، لا الرَّمْلُ الَّذي يَنْمو عَلى الأَعْيُنِ:
كانَ الوَطَنُ المَمْنوعُ في قَلْبي سِياجًا مِنْ إِبَرْ
وَالصَّوْتُ مَحْوًا
وَالمدى المصْهورُ في الصَّمْتِ
دُخانًا وَصُوَرْ –
مَنْ أَنْتَ يا سُلَيْكُ؟
– إِنّي أَحْمِلُ الصَّحْراءَ في دمي
وَيَغْزِلُ السَّرابُ تاريخَ البَشَرْ...

ب —

سـاهِرٌ وَالـزَّمَنُ المقيـتُ يَسْـكُنُ بَـيْنَ الأَصـابعِ، وَالتّاريخُ البارِدُ جُثَثٌ تَمُدُّ رُؤوسَها في الصَّحْراءِ/ لا وَجْهَ في عَيْنَيَّ سِوى الوَطَنِ المقْفَلِ/ لا مَكانَ/ وَوَجْهي خارِطَةُ الأَشْياءِ، وَجْهي خارِطَةُ النّارِ وَالرَّمادِ.

سـاهِرٌ وَالظَّـلامُ الحَـيُّ بـارِدٌ عَلـى العَصَـبِ، وَالصَّـمْتُ يَخْتَصِـرُ الكَـوْنَ في ٱلآلِ/ هَـلْ تَمْتَلِـئُ الـذّاكِرَةُ بِأَبْياتِ الشِّعْرِ وَيُحَلِّقُ الهَباءُ في العَيْنَيْنِ؟/ ساهِرٌ

وَالأَرْضُ سَريرٌ مِنَ الصَّدى.

– ٢ –

أ –

عَلى المدى الفَسيحِ غَيْمَةٌ
تُشْرِقُ قُرْبَ بابِها الشَّمْسُ
وَيَمْرَحُ الهَواءُ فَوْقَ خَدِّها
وفي المدى
وَجْهي وَوَجْهُ إِخْوَتي
يَطْفو عَلى مَتاهَةِ الصَّحْراءِ/ رَمْلُها
سَريرُهُمْ وَشَمْسُها ثِيابُهُمْ/ هَلْ
تَرْجَمَتْ جِراحُكَ الخَضْراءُ تاريخَ البُكاءْ؟
جِسْمُكَ أَفْلاكٌ مِنَ الرَّفْضِ
وَفي عَيْنَيْكَ يَرْوي الشِّعْرُ
ما يُمْلي الهَواءْ.

ب —

سَـهْلٌ مِـنَ البَـرْدِ وَالسَّـيْفُ غـارِقٌ في الصَّـقيعِ/
سَـيْفُكَ يَرْحَـلُ في نَشـيدِ الصَّـحْراءِ. سَـيْفُكَ يَمْتَشِـقُ
الضَّجيجَ وَيَسْكُبُ النَّبيذَ عَلى الخُبْزِ المَمْدودِ...
سَهْلٌ مِنَ الصَّدى، وَالفَقْرُ سَفينةُ الصَّحْراءِ في زَمَنٍ
يُغْرِقُهُ الصَّدى/ تاريخٌ مِنْ جُثَثٍ تَخَنَّطَتْ تَمُرُّ كَالقافِلَةِ
عَلى أَعْصابِ البَشَرِ، وَالفِعْلُ أَبْجَدِيَّةٌ خَرْساءُ تَكْتُبُ
بِالهَباءِ صَوْتَ الزَّمَنِ الأَعْرَجِ...
سَهْلٌ مِنَ الصَّدى وَالفَقْر،
وَالبَرْدُ خَيْمَةٌ مِنْ صَقيعٍ
تَمْضَغُ الأَعْصابَ.

– ٣ –

أ –

مَرْثِيَّةُ الغُبارِ في عَباءَةِ الصَّحْراءِ/
خاطَ بِٱسْمِهِ النُّجومَ في الفَضاءِ
وَٱرْتَدى الرَّحيلُ دِرْعَهُ/
لا أَرْضَ... لا وَطَنْ...
يُصْغي إِلى الخُطى
وَفي الخُطى مَفازَةٌ لِلتيْهِ/ لا زَمَنْ،
وَالصَّبْرُ في عَيْنَيْهِ أَبْجَدِيَّهْ
وَعالَمٌ مِنَ الزُّهورِ
في حَديقةِ الشَّجَنْ.

ب —

كانَ يَحْفَظُ الماءَ في طَيّاتِ الرَّمْلِ، يَشْرَبُ مِنْ بَيْضِ النَّعامِ، وَتَخْرُجُ بِهِ الكَواكِبُ كَأَنَّها تَسْبَحُ بِهِ في فَلَكٍ رَمادِيٍّ/ كانَ وَجْهُهُ مُلْصَقاتٍ عَلى جُدْرانِ القَلْبِ يَحْفَظُ ذاكِرَةَ الغُبارِ، وَهَذا العالَمَ المُثْقَلَ بِالعُروشِ المَكْسورةِ/ وَجْهُهُ أُنْشودَةٌ تَرْوي أُسْطورَةَ الرَّمْلِ وَتاريخَ مَمْلَكَةِ الفُقَراءِ/ وَجْهُهُ ذاكِرَةٌ تَمْسَحُ القَهْرَ النّابِتَ فَوْقَ عِظامِ العَرْشِ، تَغْسِلُ وَجْهَ الأَرْضِ بِالرَّفْضِ.

كانَ يَحْفَظُ الشَّمْسَ في جَيْبِهِ

وَلا جَيْبَ لَهُ إِلّا الهَواءُ.

– ٤ –

أ –

أَسْوَدُ جِسْمُهُ وَثَوْبُهُ،
وَلَوْنُهُ يَسْتَمْرِئُ الظَّلامْ
لَكِنَّ وَجْهَهُ يُبارِكُ الخُروجَ
مِنْ دَوّامَةِ العَرْشِ المنيعِ/ وَجْهُهُ
حُلْمٌ عَلى المدى المَقْهورِ/
كانَ يُمْسِكُ الرِّياحَ وَالحُطامْ
وَيَعْقدُ الهَواءَ فَوْقَ خَصْرِهِ؛
يَمْضي عَلى أَحْلامِهِ الحَرّى،
وَفي أَحْلامِهِ الحَرّى يَنامْ...

ب –

تُحْصيهِ خَطَواتُهُ فَوْقَ الرَّمْلِ سائِرًا بِاتِّجاهِ الفُقراءِ: كانَ كَثيرًا،
وَعَلى الجُدْرانِ شَظايا الزَّمانِ المَخيطِ عَلى المكانِ.
تُحْصيهِ خَطَواتُهُ.
هَلْ كانَ يَصْرُخُ لِلْحَجَرِ أَنْ يَقومَ،
لِلرَّمْلِ أَنْ يَنْعَصِرَ مِنْهُ الماءُ؟/ كانَ
يَسْكُنُ في ريشِ الغُرابِ وَلَكِنَّهُ يُعَرّي أَبْجَدِيَّتَهُ عَنِ
ٱبْيِضاضِ الشِّعْرِ– كانَ يَحْفَظُ في الشِّعر نِظامَ الفُقَراءِ
وَيَمْسحُ العَرْشَ باتِّضاعِ الكَلِماتِ.

تُحْصيهِ خَطَواتُهُ:
كانَ كَثيرًا
لَكِنَّهُ نَسيجُ وَحْدِهِ.

٢ – الشَّنْفَرى

– ١ –

أ –

رِئَةٌ تَتَنَفَّسُ في قَلْبِ الصَّحْراءْ.

يُصْغي لِلْأَشْلاءِ تُرَدِّدُ أُغْنِيَةَ القَهْرِ.
يَزورُ بَقاياهُ
وَيُخيطُ الرّيحَ إِلى عَيْنَيْهِ الجامِحَتَينِ/ هُنا
حُلْمٌ يَقْفِزُ كَالمهْرِ
عَلى أَشْلاءِ اللُغَةِ العَرْجاءْ
وَيَفِرُّ القَهْرُ أَمامَ الصَّبْرِ الخارِجِ
مِنْ رِئَةِ الصَّحْراءْ...

ب —

عَلى العَقْلِ أَنْ يَقولَ ما لا يَقولُ العَقْلُ، وَفي اللُغَةِ المومِياءِ حُلْمٌ بارِدٌ كَالرُّخامِ/ عَلى اللُغَةِ أَنْ تَقيسَ حرَكَةَ الشِّفاهِ وَالشِّفاهُ صَدًى لِهَجيرِ الرِّمالِ/ عَلى الشَّفَةَ أَنْ تَتَحَرَّكَ كَأَجْنِحةِ العَصافيرِ...

التِّلاوَةُ صَمْتٌ عَلى الوَحْيِ البارِدِ كَالجَليدِ، وَالشَّعْبُ رَشْفٌ لِلْخَمْرِ وَرَكْعَتانِ أَمامَ اللاتِ وَالعُزّى: "إِنَّما الخَمْرُ وَالأَصْنامُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ..."/ عُقولُها تُدَحْرِجُها يَدُ اللهِ في مَتاهاتِ الأَبْجَدِيَّةِ،
وَالصَّبْرُ قَلْعَةٌ مِنَ الشَّكْلِ الفارِغِ،
وَالقَلَمُ تِبْنٌ يَفورُ
عَلى قَدَمِ العَرْشِ الخاوي.

- ٢ -

أ -

"أَقيموا عَلى جَمْرِ الوَداعِ عَشِيّةً
فَإِنّي إِلى قَوْمٍ سِواكُمْ لَأَمْيَلُ!"
وَلي في المدى المفْتوحِ دُنْيا كَريمَةٌ
وَزَهْرَةُ أَشْعارٍ عَلَيَّ تَفَضَّلُ،
وَجِسْمٌ إِذا مَرَّتْ رِياحٌ عَلى الصَّدى
سَكَنَّ بِأَشْعاري تُغَنّي وَتَكْحَلُ.
أَقيموا عَلى جَمْرِ الوَداعِ عَشِيَّةً
فَفي نَجَماتِ الشِّعْرِ أَغْدو وَأَرْحَلُ...

ب –

أَرْسُمُ الرّوحَ: لا حَنينَ الماضي، لا فراغَ الحاضِرِ.
كُلُّ لَفْظٍ كَوْكَبَةٌ تَجْمَعُ سَديمَها وَتَنْبُتُ في زَهْرِ الكَلامِ.
لا لَوْنَ لِلْوَقْتِ. لا لَوْنَ لِلزَّمَنِ.
الوَحْيُ مَشْروعٌ مَفْتوحٌ، وَالأَسْماءُ تَعَلَّمَها الشُّعَراءُ/
لا لَوْنَ، لا حَدَّ لِلَحَدِّ.
في الحِبْرِ صَدى أَجْيالٍ،
وَفي الحَرْفِ طينٌ أَبَدِيٌّ لِلتَّكْوينِ...

أَرْسُمُ الرّوحَ:
وَجْهي ثَوْبٌ لِلرِّياحِ الخَضْراءِ
وَالأَرْضُ مَدًى مَفْتوحٌ لِلآتي.

– ٣ –

أ –

وَحْدي
وَعِظامُ الجوعِ مَرايا لِلْوَحْيِ.

سَأَلْبَسُ ثَوْبَ القَهْرِ
وَأَحْمِلُ تيهَ الصَّحْراءِ رِماحًا
وَأَمُرُّ عَلى جوعِ الفَرَحِ المخْضَرِّ بِقَلْبي:
جَسَدٌ يتَساءَلُ في اللُغَةِ الخَضْراءْ
وَالرّيحُ نَشيدٌ
يَتَجَمَّعُ فيها الأَلَمُ الطّالِعُ
مِنْ مَمْلَكَةِ الفُقَراءْ.

ب —

ضَـيَّعَتِ السَّـماءُ أَقْـدامَها في صَـحْراءِ العَـرْشِ المسقوفَةِ بِالجَماجِمِ/ هَبَّ الهَواءُ هَزيلًا في حَديقةِ الرَّمادِ/ نَسِيَ الرَّحيلُ أَقْدامَهُ في الرَّمْلِ —

كَيْفَ تَنْضَمُّ الذّاتُ إِلى الذّاتِ؟

كَيْفَ يَتَهيَّأُ السَّريرُ لِلْعاشِقينَ؟

كَيْفَ تَعودُ القَصيدَةُ إِلى القَصيدَةِ؟

ضَـيَّعَ الكَـلامُ أَقْدامَـهُ/ جـاءَ الزَّمـانُ الحَجَـرُ إِلى سَـعَفِ النَّخيـلِ/ حَبِلَـتْ بِـهِ عَناقيـدُ الـبَلَحِ/ تَمَطّـى في أَعْصابِ الصَّحْراءِ...

بَشَرٌ

ثُمَّ لا تَموتُ وَلا تَحيا...

– ٤ –

أ –

كانَ اللَيْلُ يَقُصُّ عَلى الرّيحِ
أَقاصيصَ العُشّاقِ
وَفي أُذُنَيْهِ أُسْطورَهْ:
مَلِكٌ خِيطَ إِلى العَرْشِ،
عَلى كَتِفَيْهِ جُمْجُمَةٌ فارِغَةٌ
وَأَمامَ مَداهُ أَحْلامٌ مَقْهورَهْ –
مَسْخٌ رُكِّبَ فوْقَ عِظامٍ
يَهْدُرُ بَيْنَ النّاسِ، وَلَكِنْ
يَحْكُمُ في قارورَهْ...!

ب –

زَمَـنٌ تَنْـزِلُ إِلَيْـهِ السَّـماءُ مِـنَ الجُـرْحِ وَتَرْقَعُـهُ
بِالصَّـدى، تَحْشـوهُ بِـالرَّغْوَةِ وَالتِّـبْنِ/ زَمَـنٌ مِـنَ الصَّلْصـالِ
يَرْتَفِعُ بُرْجًا عالِيًا وَالنّاسُ يَتَفَيَّأونَ الموْتَ/ زَمَنٌ
حَوافِرُهُ تَنْطَبِعُ عَلى جَبَهاتِ البَشَرِ/ هَلْ
نَخْرُجُ مِنْ دَهاليزِ الكَلِماتِ؟

زَمَنٌ
قاسٍ كَالحَديدِ، وَلَكِنْ
لا زَنْدَ إِلّا مائِعَةٌ كَالضَجَرِ...

– ٥ –

أ –

جَسَدي مَدَّتْ ذاكِرَتي فيهِ جِسْرًا
فَطَوى فَلَواتي
وٱحْتَرَفَ التَّكْوينَ وَأزْهارَ العُشّاقِ/ أَقولُ:
أَنا الظِّلُّ. وَتَحْمِلُني كَلِماتي –
وَأَقولُ:
أُعَلِّمُ هَذي الأَشْياءَ تَكاوينَ الأَعماقِ
وَأَرْحَلُ في رائِحَةِ العِشْقِ
وتَفضَحُني ريحُ مَفازاتي.

جَسَدي وَطَنٌ
وَالزمَنُ المتَسائِلُ فيَّ لُغاتي.

ب —

كُلَّما حَدَّثْتُ الفَجْرَ سَالَ كَالرَّمْلِ: لا قَديمَ. لا لُغَةٌ بَيْنَنا. نَفْهَمُ بِلا كَلامٍ/ كُلَّما ٱنْتَقَلْتُ ٱنْتَقَلَ. وَمَتى حَزَمَ الرَّحيلُ حَقائِبَ الوَقْتِ صارَتِ الخُطى كَالهَواءِ، وَالصَّوْتُ صَدى الصَّمْتِ...

كُلَّما حَدَّثْتُ الفَجْرَ ذَكَّرَني بِالزَّمَنِ الآتي، وَحَمَلْتُ في عَيْنَيَّ السَّفَرَ: صُعْلوكٌ، وَفي الفَلَواتِ أَشْجارُ خُطاهُ. صُفوفُ الخُطى أَشْجارُ نَخيلٍ، وَالصَّحراءُ بَحْرٌ مِنَ السَّعَفِ.

كُلَّما حَدَّثَني الفَجْرُ
قادَني إلى فَجْرٍ آخَرَ...

٣ – عنترة بن شدّاد

– ١ –

ما زالَ وَجْهي غارِقًا في القَهْرِ
يَرْكَعُ فيهِ عُنْقودُ الأَسى،
وَتَمُدُّهُ الفَلَواتُ بِالشَّجَنِ.
ما زالَ وَجْهي صَفْحَةً لِلرّيحِ
تَفْتَحُهُ وَتُغْلِقُهُ عَلَيْها/ ثُمَّ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالزَّمَنِ
أَلْفٌ مِنَ القُبُلاتِ: عاشِقَةٌ
يُتَوِّجُها الصَّباحُ بِثَوْبِ أَحْمَرِهِ
وَيَحْمِلُها المدى
في قَلْبِهِ المفْتوحِ لِلْهَذَيانِ:
"عَنْتَرَةٌ"... وَتَخْفُقُ بِالحَنينِ/
يَمُرُّ قَهْرُ الفَقْرِ فَوْقَ عُيونِهِ

وَتُقَهْقِهُ الأَطْلالُ –
ما تَرَكَتْ بِنا إِلّا لُغاتٍ أَعْتَمَتْ
طَيَّ القُلوبِ وَفي جِدارِ المَبْسَمِ:
"هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدِّمِ؟
أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ؟"
وَتَرُدُّ قَهْقَهَةُ الصَّدى:
"مُتَرَدِّمِ...
مُتَرَدِّمِ..."

ما زالَ وَجْهي غارِقًا في القَهْرِ/
لا في سِيرَتي أَبْقى
وَلا في الشِّعْرِ أَخْرُجُ مِنْ فَمي...

– ٢ –

أ –

بَقِيَتْ حَضاراتُ العُروشِ تُشيدُ في دَمِنا
صُروحًا/ ثُمَّ
لا نَلْقى عَلى أَشْلائِنا
إِلّا ظِلالَ العَرْشِ
مُنْجَذِرًا بِلَيْلٍ مُظْلِمٍ –
سَمِّ العَشِيَّةَ قُبْلَةً
مَنْسوجَةً بِعَذابِنا المتَثَلِّمِ.

ب —

أَسْوَدُ اللَوْنِ وَيَرْكُضُ كَالبِيضِ في هُبوبِ الدِّماءِ/ أَسْوَدُ وَالعِشْقُ يَحْمِلُهُ إِلى آخِرِ الدُّنْيا/ فَمُهُ لُغَةٌ تُخيطُ العُشْبَ بِالسَّماءِ وَالأَرْضَ بِالهَواءِ المفْتوحِ/ فَمُهُ وَرْدَةُ الرَّفْضِ عَلى الجُمْجُمَةِ البَليدَةِ فَوْقَ عُروشِ الزَّمانِ.

كانَ قَلْبُهُ سَيْفًا ضَمَّ إِلَيْهِ القُلوبَ
وَ"عَبْلَةُ" لُغَةٌ مِنَ المحيءِ الَّذي
يَظَلُّ بَعيدًا كَالنُّجومِ...

– ٣ –

أ —

عَيْناهُ يَسْبَحُ في بَريقِهِما
ضِياءُ الأَنْجُمِ
وَتُسَيِّجانِ الأرضَ، تَنْسَحِبانِ في حُبٍّ
وَتَنْزَرِعانِ في عُمْقِ الرِّمالِ
فَتُخْصِبانِ النّورَ/ عَيْناهُ ٱنْهِمارُ النّورِ
في تاريخِنا المتَهَدِّمِ
وَنَشيدُ ما فَقَدَتْهُ شَمْسُ القَفْرِ
في بُؤْسِ الزَّمانِ المعْتِمِ.
عَيناهُ تَخْتَصِرانِ أَزْمانَ العُروشِ المسْتَحيلةِ
وَالمدى
وَضَمائِرَ الشَّعبِ المحَطَّمِ في الصّدى
وَتُراقِبانِ الشَّمْسَ تُسْجَنُ
خَلْفَ قُضْبانِ الطُّموحِ السّاجِمِ...

ب —

لَمْ يَبْقَ مِنْ "عَبْلَةَ" سِوى أَرْضٍ زَرَعَها الهَوْلُ قَهْرًا حينَ ٱلْتَمَّتِ الحَضارَةُ أَحْجارًا عَلى دُروبٍ مُخَنَّطَةٍ كَالمومِياءِ/ "عَبْلَةُ" نَشيدٌ غارِقٌ في ضَبابِ التّاريخِ تَرُدُّها الأَطْفالُ بِالحِجارةِ حُلْمًا وَتُسَيِّجُهُ بِالأَرْضِ وَالدِّماءِ وَالدُّموعِ — "عَبْلَةُ" مَزَّقَها رَصاصُ "صَهْيونَ"، ٱنزَرَعَتْ أَشْلاؤُها رُؤْيا في الأَرْضِ، أَوْرَقَتْ في النُّجومِ وَغَنَّتْ لِلشَّمْسِ —

نَبَتَتْ في عالَمِ القَلْبِ
وَرَفَعَتْ تاريخَ الظُّلْمِ في أَرْضِ الفُقَراءِ.

"عَبْلةُ" نَبْضُ الجُرْحِ المزْهِرِ
يُرْسَمُ صَلاةً في "أُورْشَليمَ" الجَديدَةِ.

– ٤ –

أ –

هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدِّمِ؟

أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ؟

يا دارَ عَبْلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي،

وَعِمي صَباحًا، دارَ عَبْلَةَ، وَٱسْلَمي.

ب –

في البَريقِ الأَخيرِ قَمَرُ الفُقَراءِ
وَعَلى المدى نُجومٌ مِنْ دَمٍ وَشَوْكٍ.

"عَنْتَرَةُ" هَذا النَّشيدُ البَعيدُ في سيرَةٍ غائِبَةٍ،
وَالزَّمَنُ يَلِدُ الرَّمْلَ فَوْقَ الرَّمْلِ.

"عَنْتَرَةُ" هَذا المدى الفارِغُ
مَليئًا بِأَحْلامِ الفُقَراءِ.

"عَنْتَرَةُ" السُّؤالُ بَيْنَ الأَسْئِلَةِ،
رُؤْيا القَصيدَةِ وَهِيَ تَكْتُبُ العَصْرَ،
وَالرَّفْضُ بابُ الآتي.

٤ – عُرْوَة بنُ الوَرْد

– ١ –

أ –

كانَ يَمْشي عَلى حافَّةِ البَرْدِ في غابةِ الأَسْئِلَهْ،
حَوْلَهُ يَسْكُنُ الصَّمْتُ
في مُقْلَةِ اللُغَةِ الآفِلَهْ
وَتَنْبُتُ حَوْلَ خُطاهُ نُجومٌ
وَأَخْيِلَةٌ سَكَنَتْ لُجَّةَ البَرْدِ/ كانَ وَحيدًا
وَلَكِنَّهُ يَتَكاثَرُ في القَلْبِ
مِثْلَ حَنينٍ إِلى وَرْدَةٍ ذابِلَهْ.

وَجْهُهُ رِحْلَةٌ في مَدارِ التَّغَيُّرِ
وَالخَطْوُ عَبْرَ المدى قافِلَهْ...

ب –

يُقَسِّمُ جِسْمَهُ "في جُسومٍ كَثيرةٍ" وَيَرْحَلُ عَلى أَهْدابِ الشَّمْسِ في كُلِّ حَبَّةِ رَمْلٍ، وفي وَثَباتِ المها/ يَتَكاثَرُ/ يَبْقى وَحيدًا.
كُلُّ ما لَهُ لَيْسَ لَهُ،
وَمَعَ ذَلِكَ وَجْهُهُ لَيْسَ كَالْوُجوهِ.

مَشى إِلى الشَّمْسِ/ أَوْرَقَ/ أَزْهَرَ
وَظَلَّتِ الأَرْضُ فارِغَةً كَالصَّحْراءِ...

- ٢ -

أ -

يَدُهُ دَفَّةُ الرّيحِ حينَ تَنامُ
عَلى حَنْوَةِ الرَّمْلِ/ هَلْ خاضَ تَجْرِبَةَ الزَّهْرِ؟
لَكِنَّهُ يَتَقَدَّمُ مِثْلَ الهواءْ
وَتَرْحَلُ خَلْفَ خُطاهُ المسافاتُ
غارِقَةً في سَديمِ البَهاءْ...
يَدُهُ مِثْلُ خَفْقِ الشِّراعِ مَتى ٱصْطَخَبَتْ
ريحُهُ، وَمَضى نَحْوَ آفاقِهِ
عاقِدًا في الجَبينِ شَريطَ ضِياءْ.

يَدُهُ قَسَمَتْ غَضْبَةَ الفَقْرِ
بَيْنَ جُسومٍ حَمَلْنَ عُتُوَّ العُروشِ
بِمَمْلَكَةِ الفُقَراءْ.

ب —

يَعْصِب جَبينَه بِالشَّمْسِ وَيُواجِهُ بِقَدَمَيْهِ العاريتينِ وَهْجَ الرَّمْلِ:

قَساوةُ الصَّحْراءِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ
وَفي قَلْبِهِ مِهْرَجانُ الضَّوْءِ وَالعَبيرِ.

فَقْرُهُ فَلَكٌ "يُقَسِّمُ جِسْمَهُ في جُسومٍ كَثيرَةٍ"
وَالمدى حُلْمٌ جائِعٌ لا يَعْرِفُ إِلّا الآتِيَ.

صُعْلوكٌ، وَعَيْناهُ تَحْتَقِرانِ الأَرْضَ:
المدى يابِسٌ كَالرَّمْلِ
وَالعَرْشُ حَضارَةٌ تَحْتَرِقُ.

– ٣ –

أ –

"عُرْوَةُ" غَنَّتِ الأَرْضُ في قَلْبِهِ
كَرَغيفِ الجِياعِ.
وَزَقْزَقَتِ الطَّيْرُ في حُبِّهِ المتَطاوِلِ.
"عُرْوَةُ" أُنْشودَةُ الصَّبْرِ في لَيْلِهِ المتَرامي.
وَسُنْبُلَةُ الرّيحِ
تَثْقُبُ ما كَدَّسَتْهُ
عُيونُ الظَّلامِ.

حُلْمُهُ جَنَّةُ القَمْحِ في وَطَنٍ
قَلَّصَتْ قَلْبَهُ طُغَمٌ
وَرَمَتْهُ صَدًى في غُبارِ الرُّكامِ.

ب –

تَتَسَلَّلُ إلى عَيْنَيْهِ مَشاهِدُ مِنِ ٱلْتِهابِ الظَّلامِ
داخِلَ الجُفونِ/ بَيْنَ رُموشِه نَبْضٌ، وَتَحْتَ أَظافِرِهِ نَبْضٌ،
وَفي المسامِّ نَبْضٌ.
كانَ السُّؤالَ في رُكامِ الأَجْوِبَةِ –
وَلَكِنَّهُ كانَ مِثْلَ إِخْوَتِهِ وَحيدًا.

عَيْناهُ سَفَرٌ
مِنَ الماضي إلى ما يَكونُ...

٥ – محَمَّد

– ١ –

أ –

يَنْزِلُ مِنْ كَوْكَبَةِ الرّوحِ إلى تَرْنيمَةِ الجَسَدْ:

يُومِضُ حَوْلَهُ الزَّمانُ/ في خُطاهُ
مَطَرٌ
وَفي حُروفِهِ لَظًى،
وَحَوْلَهُ يَسْتَيْقِظُ التّاريخُ كَالضِّياءْ:
صَوْتٌ مِنَ الصَّحْراءِ
يَنْثُرُ الغِلالَ فَوْقَ رَمْلِها
وَيُشْعِلُ المساءْ...

ب –

يَمْتَزِجُ في صَوْتِهِ الصَّمْتُ وَالكَلامُ. يَمْتَزِجُ الماضي وَالآتي. يَمْتَزِجُ الأَثيرُ وَالأَرْضُ، الجَسَدُ وَالرّوحُ، الهُدوءُ وَالضَّجيجُ/ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ الزَّمانُ بِكْرًا:
لا شُروقَ. لا غُروبَ.
أَلكُلُّ يَنْسُجُ اللَحْظَةَ،
وَتَنْسُجُ اللَحْظَةُ وَجْهَ الأَبَدِ.

"وَالقَلَمِ وَما يَسْطرون"
حِبْرٌ عَلى الأَرْضِ يَمُرُّ فَتَنْفَتِحُ الأَبْوابُ –
رَجاءٌ يَتَساقَطُ مِنْ غُيومِ الدَّمْعِ
في مَمْلَكَةِ الفُقَراءِ.

– ٢ –

أ –

كانَ في الصَّحْراءِ نَهْرٌ
شَقَّ صَمْتَ الرَّمْلِ
وَٱنْداحَ وَفيرا
مِنْ عُيونِ الغَيْمِ، أَوْ
مِنْ لُغَةٍ تُخْصِبُ فينا
هامَةَ الضَّوْءِ/ تَمَرَّغْنا
عَلى النّورِ وَثيرا
وَٱمْتَشَقْنا البَرْقَ وَالرَّعْدَ،
وَلَكِنَّ المدى
صَدَّعَتْهُ لَعْنَةُ الصَّمْتِ
وَأَطْيافُ الصَّدى،
ثُمَّ ضَيَّعْنا العَبيرا...

ب —

أُمَمٌ تَخْرُجُ مِنْ قارورَةٍ/ تَمورُ عَلى الرَّمْلِ/ أُمَّةٌ مِنْ نورٍ تَصيرُ أَمَةً/ تَرْحَلُ في الفَلاةِ/ لا مَكانَ لا زَمانَ...

كانَ الرَّعْدُ قامَةً يَخْفُرُها الضَّوْءُ وَوَهْجُ البَرْقِ وَالرَّعْدِ/ تُرى

يَنْتَقِلُ الفَضاءُ مِنَ الفَضاءِ إِلى جَيْبِهِ؟

غَيْرَ أَنَّ الهَواءَ يَحْتَفي بِهِ، وَالماءَ يَغْتَسِلُ،

وَالفَقْرَ يَزْدادُ تَأَلُّقًا في فَضاءِ النّارِ.

– ٣ –

أ –

زاهِدٌ في قِمَّةِ الدُّنْيا،
وَلا شَيْءَ سِوى نورٍ تَدَحّى
في عُيونِ الأَبَدِيَّهْ.
زاهِدٌ،
يَقْطِفُ مِنْ "غَارِ حِراءٍ"
هَمَساتِ السَّمْتِ لِلدُّنْيا،
وَفي عَيْنَيْهِ فَيْءٌ لِلبَرِيَّهْ:
"آهِ! ما أَصْغَرَ هَذي الأَرْضَ
مِنْ حَوْلي،
وَما أَعْظَمَ صَوْتَ الأَبْجَدِيَّهْ!"

ب –

حَرْفٌ وَتَسيرُ اللُغَةُ مُدُنًا في عُنُقِ الكَوْنِ. يُطرِّزُ النّورُ
يَنابيعَ الكَلامِ/ حَرْفٌ، وَبَيْنَ اللَفْظِ وَاللَفْظِ
أَنْزَلِقُ/
أَنْجَذِرُ/
أُثْمِرُ طُرُقًا وَدروبًا وَبَشَرًا وَأَحْوالًا.
يَدي كِتابٌ، وفي عُيوني هُدوءُ الغاباتِ وَسَكينَةُ
الصَّحْراءِ/ يَدي صَدى التُّرابِ حَيْثُ لا شَيْءَ سِوى
الرّوح، وَلا لَفْظَ إِلّا أَوَّلَ الأَبْجَدِيَّةِ – لا لَفْظَ إِلّا آخِرَ
الأَبْجَدِيَّةِ.
يَدي قَلَمٌ يُسَطِّرُ في لَوْحٍ ما يُهْمَسُ في أُذُني مِنْ عَلُ.
يَدي صِراطٌ يَسْتَقيمُ لِيَدْخُلَ النّاسُ
وَهُنا بَيْتٌ وَأُفُقٌ وَفَضاءٌ...

– ٤ –

أ –

زَمَنٌ يُبْحِرُ في الصَّمْتِ/ صَدًى/
غابَةُ اللَيْلِ مَدًى يَصْلُبُهُ الفَحْمُ،
وَقاماتُ الفُصولْ
حَجَرٌ/
يَرْسُمُ المَوْتُ عَلى الأَشْجارِ أَثْمارًا
وَفي العَيْنَيْنِ أَمْداءَ السُّهولْ/
زاهِدًا كانَ، وَفي عَيْنَيْهِ أَضْواءٌ قَصِيَّهْ.
زاهِدٌ يَفْتَحُ أَسْرارَ الحُقولْ.
زاهِدٌ في وجَعِ الأَشْياءِ،
ماءٌ لِلْبَرِيَّهْ،
وَصَحارى العَطَشِ المَزْمِنِ في أَقْدامِهِمْ
تَطْفو عَلى اللَيْلِ، وَتَصْطادُ الذُّهولْ.

ب —

لا سِتارَ يَحْجُبُهُ عَنْ وَجْهِ الشَّمْسِ، لا مَدى، لا حِجابَ... كُلُّ شَيْءٍ مُنْفَتِحٌ أَمامَهُ كَوَليمَةٍ: الأَرْضُ عُرْسٌ في عَيْنَيْهِ. الرَّجُلُ قَبَسٌ في الأَرْضِ. المرأةُ وَديعةٌ كَالزَّهْرَةِ. المدى صَدًى لِلصَّوْتِ الآتي مِنْ عَلُ... لا سِتارَ... لا مَدى...

كُلُّ شَيْءٍ في القَبَسِ طَعْمُ رُؤْيا.

كُلُّ شَيْءٍ سَديمٌ.

غَيْرَ أَنَّ الظِّلَّ القاتِمَ يَعودُ، وَالأَرْضَ تَميعُ كَاللَبَنِ، وَالملامِحَ

تَذوبُ

في

حَبّاتِ

الرَّمْلِ.

٦ – جميل بن مَعمر

– ١ –

أ –

في صَوْتِهِ ٱلْتَمَّتْ دُموعُ العاشِقينْ.

عَصَرَ الهَباءَ عَلى الهَباءِ
وَأَطْبَقَ الجَفْنَينِ فَوْقَ سَديمِهِ المَنْهوكِ/
كانَ الصَّمْتُ حِرمانًا، وَفي لَيْلِ الجَبينْ
تَلْتَمُّ أَصْواتُ الَّذينَ مَضَوا
وَأَصْواتُ الَّذينَ سَيَرحَلونْ –
عَصَرَ الهَباءُ عَلى الهَباءْ:
أَلشَّمْسُ مِطْرَقَةٌ يُوَشِّحُ وَقْعُها الصَّحْراءَ
حَتّى المَوْتِ، وَالقَدَمَانِ صارِيَتانِ غارِقَتانِ
في رَمْلِ السَّماءْ.

ب –

لُهاثُهُ صَدى الزَّمانِ وَهُوَ يَنْكَسرُ عَلَى رِمالِ الفَراغِ/ فَراغُ اللَوْنِ. فَراغُ اللَيْلِ. فَراغُ المدى. كُلُّ أَرْضٍ فَراغٌ. كُلُّ صَوْتٍ فَراغٌ. كانَ وَحيدًا.

كانَ سُلَّمًا مِنْ رُعْبِ العاشِقينَ

وَمِنْ لَوْنِ الحِرْمانِ الشَّفيفِ/

ثَوْبٌ كَالعَراءِ عَلى جَسَدِهِ.

جَسَدٌ كَالفَراغِ يَحْمِلُ ثَوْبَهُ،

وَالرّوحُ مِعْراجٌ طَويلٌ في أَبْجَدِيَّةِ الفَقْرِ وَالضَّياعِ.

– ٢ –

أ –

يَنْتَظِرُ المدى أَنْ يَفْتَحَ الهُيامَ في أَعْماقِهِ،
وَيَسْتَريحُ عِنْدَ عَيْنَيْهِ التَعَبْ/
لَوْ كانَ أَنْ مَرَرْتَ في غَمامةٍ
فَوْقَ ٱرْتِعاشِ النَّخْلِ وَالقَصَبْ
لِتَكْتُبَ الزّوايا أَنْتَ
خَفْقَةً مِنَ النَّسيمْ
تُداعِبُ الوُجودَ بَيْنَ أَسْرارِ الهَشيمْ
أَوْ تَكْتُبُ التّاريخَ لَمْعًا
عَبْرَ أَبْجَدِيَّةِ الغَضَبْ...

ب –

كانَ يَقْرَأُ في حَبّاتِ الرَّمْلِ وَجْهَ "بُثَيْنَةَ"، وَيَرْحَلُ فيهِ حَتّى يَرْتَشِفَه؛ يَتَقَمَّصُ الحَنينَ الضّائِعَ. يَتَقَمَّصُ بِلَّوْرَ البُكاءِ. يَتَقَمَّصُ سَديمَ الهَوى.

كانَ يَرْكَعُ في قَلْبِهِ

يَتَناثَرُ فيهِ كَالرَّمْلِ/ يَتَشَظّى/ يَتَكاثَرُ/ يَتَحَوَّلُ/ يَتَغَرَّبُ/ يَعودُ/

كانَ كُلُّ شَيْءٍ في ذاتِهِ بَعيدًا عَنْهُ.

كانَ كُلُّ أَحَدٍ بَعيدًا عَنْهُ.

لَكِنَّهُ كانَ في كُلِّ شَيْءٍ وَفي كُلِّ أَحَدٍ

كِيانًا وَذاتًا

وَتاريخًا مِنَ الصَّفاءِ...

– ٣ –

أ –

بِمَنْزِلِنا، يا بُثَيْنَةُ، أَلْوى
غُبارٌ مِنَ البَيْنِ في الأَعْصُرِ،
وَفَرَّقَ بَيْني وَبَيْنَكِ دَهْرٌ
تَهاوَيتُ في وَجْهِهِ المنْكَرِ؛
وَكانَ لَكِ الذِّكْرُ نِعْمَ الرَّفيقُ
فَوَلّى، وَذِكْرُكِ في خاطِري،
وَذِكْرُكِ في أَبْجَدِيَّةِ قَلْبي
سَماءٌ، وَكَونٌ مِنَ الأَنْوُرِ.
كَبِرْتُ كَبِرْتُ وَظَلْتِ أَمامي

حَنينًا يُهَوِّمُ في ناظِري:

"كَبِرْتَ، جَميلُ، وَأَوْدى الشَّبابُ.

فَقُلْتُ: بُثَيْنُ، أَلا فَاْقْصِري!

قَريبـانِ مَرْبَعُنـا واحِـدٌ

فَكَيْفَ كَبِرْتُ، وَلَمْ تَكْبَري!"

ب —

"بُثَيْنَةُ" الأَرْضُ المدى الهَواءُ العُروقُ. "بُثَيْنَةُ" الوَطَنُ وَالجُرْحُ. آهٍ! كانَ المدى لَزِجًا كَأُنْشودَةِ الأَبَدِ.
كانَ المدى عَيْني وَالصَّحْراءُ جَسَدَها/ هَلْ
كَتَبْتُ في شِعْري تاريخَ الصَّدى؟
أَوْ كَتَبْتُ الطَّريقَ إِلى جِراحِ الرُّوحِ؟
"بُثَيْنَةُ" هَذِهِ المَمْلَكَةُ المَثْقوبَةُ بِالوَطَنِ الصّارِخِ كَالسَّيْفِ،
الباردِ كَالحَجَرِ، بِالوَطَنِ المخْتَبِئِ تَحْتَ الجِلْدِ كَالدَّمِ
المخَثَّر.
"بُثَيْنَةُ" الشَّرْقُ،
وَالشَّرْقُ في تاريخيَ الطَّعْنَةُ،
وَأَنا نَزيفُ الجُرْحِ.

٧ – مالِك بن الرِّيَب

– ١ –

أ –

وَطِئْتُ رِمالَ مَوْتٍ حينَ هَصَّرَني الزَّمانُ/ وَلي
بَقايا مِنْ رَمادِ الصَّبْرِ
في مَلَكوتيَ المكْفوفِ.
كانَتْ مُهْجَتي بِيدًا تَقَمَّصَها المساءْ.
وَرَمى إِلَيَّ اللَيْلُ بُرْقُعَهُ
وَأَشْجاني الغِناءْ:
وَجَعُ البَرايا يَثْقُبُ الصَّحْراءَ
وَالتّاريخُ مِنْ وَرَقٍ
يُعلِّقُهُ الفَناءُ عَلى الفَناءْ!

ب –

بَـيْنَ وَجْهـي وَاللَيْـلِ صَـدْعٌ، وَالخَليفَـةُ عَلـى عَيْـنيَّ جُمْجُمَـةٌ سَـوْداءُ: لا زَمَـنَ. لا تـاريخَ. لا مَكـانَ/ وَجْهـي كُلُّ الزَّمانِ وَالمكان/ وَجْهي الجُرْحُ بَيْنَ العَظْمِ وَالعَظْم.

أَلوُلاةُ قَشٌّ يابِسٌ؛

أَلخَليفَةُ مِطْرَقَةٌ عَمْياءُ؛

أَلمدى صَحْراءُ فارِغَةٌ إِلّا مِنَ الرَّمْلِ وَالسَّرابِ...

بَيْنَ وَجْهي وَاللَيْلِ صَدْعٌ/ تِلْكَ حُدودُ اللغةِ الأَخيرَةِ وَالصَّمْتِ الأَخيرِ – تِلْكَ حُدودُ العَصْرِ بَيْنَ التُخْمِ وَالنِّهايَةِ.

- ٢ -

أ —

...وَيَمُرُّ سَيْفي
مِثْلَ مَنْ هَجَرَتْ مَلامِحَهُ تَقاسيمُ البَدَنْ.
وَيَمُرُّ وَجْهي مِثْلَ مَوْتٍ
أَشْعَلَتْهُ ضَفائرُ القَهْرِ الطَّويلَةُ
بينَ أَدْغالِ الشَّجَنْ...
وَيَمُرُّ هَذا العَصْرُ كَالأَنّاتِ تَخْتَرِقُ العِظامَ
وَتوقِظُ الأَحْلامَ
جُمْجُمَةً مُهَشَّمَةً
تَنامُ عَلى مَراراتِ الوَطَنْ...

ب –

فَتَحَ الهَواءُ طَريقَهُ بَيْنَ العَذابِ وَالعَذاب/ مَرَّ العَذابُ عَلى عُيونِنا وَلَمْ يَجِدْ بَيْتًا. ضَرَبَ خِيامَهُ وَنامَ... صارَ صَرْحًا. صارَ صَخْرًا، نُصْبًا سامِقًا بَيْنَ الدَّمْعِ وَالدَّمْعِ.

فَتَحَ الهَوْلُ طَريقَهُ/

كُنْتُ بَيْنَ الضَّحِيَّةِ وَالضَّحِيَّةِ مِزَقَ الوَجْهِ ٱلتّائِهِ

وَأَحْرُفَ البُكاءِ.

كُنْتُ أَنا الدَّمْعَ وَالبُكاءَ.

– ٣ –

أ –

"أَلَمْ تَرَني، يا ذِئبُ، إِذْ جِئْتُ طارِقًا
تُخاتِلُني أَنّي ٱمْرُؤٌ وافِرُ اللُبِّ"،
وَيَحْسَبُني الغادونَ حَتْمًا مُهَوِّلًا،
إِذا هُـمُ قَدْ خَفّوا إِلى الشَّرْقِ وَالغَرْبِ.
تُراني إِلى لَيْلي نَزَعْتُ، فَوَحْشَةٌ،
وَتَوْقٌ إِلى المَجْهولِ أَقْسى مِنَ الصَّعْبِ؟
كَأَنَّ ضَواري الوَحْشِ آنَسْتُ صُحْبَها
وَلَمْ آنَسِ الأَصْحابَ مِنْ بَشَرٍ صَحْبي،
وَلا كانَ بَيْنَ السَّوْطِ وَالعَدْلِ مَعْبَرٌ،
فَقَهْرٌ يَلي قَهْرًا، وَغُلْبٌ عَلى غُلْبِ...
"وَلَكِنْ أَبَتْ نَفْسي، وَكانَتْ أَبِيَّةً،
تَقاعَسَ أَوْ تَنصاعَ يَوْمًا مِنَ الرُّعْبِ."

ب –

أَلْقَلْبُ صَدًى لِلَّيْلِ: عَتَمَةٌ وَفَراغٌ،
وَالنَّفْسُ ذُهولٌ صامتٌ كَالقَبْرِ!

أَيْنَ وَجْهي؟/ بَيْنَ السُّلْطَةِ وَالسُّلْطَةِ جِسْرٌ وَطيدٌ وَسَيْفٌ
مَصْقولٌ بِالدِّماءِ:
"العَدْلُ أَساسُ المُلْكِ" –
المُلْكُ أَساسُ العَدْلِ!

وَاللَّيْلُ حَجَرٌ
وَطاغوتٌ يَعْتَصِرُ الأَجْيالَ...

٨ – القَتّال الكِلابِيّ

– ١ –

أ –

كَأَنَّما المدى قِلادَةٌ
قَيَّدَها الفَراغُ وَالصَّدى/
أَمُرُّ كَالهَواءِ في قَرارةِ الأَشْياءِ،
أَمْسَحُ الرَّمادَ عَنْ أُغْنِيَّةِ الضِّياءِ/
وا مَرارَتا!
ما أَطْوَلَ الرَّدى!
الأَرْضُ حَفْنَةٌ مِنَ الحُروفِ –
أَحْمُلُ الحُروفَ في عَيْنَيَّ،
أَسْتَلُّ الكَلامَ
كَيْ أُواجِهَ الرَّدى.

ب –

نَذْرٌ وَحيدٌ يَسْأَلُ التّاريخَ عَنْ تاريخِهِ/ عَنْ هُوِيَّةٍ/
عَنْ عَيْنٍ/ عَنْ سَحابٍ/ نَذْرٌ...
لَكِنَّ الرَّمْلَ يَسْأَلُ المتاهَ عَنِ المتاهِ
وَالمتاهُ في مَسامِّ الجِلْدِ/
الصَّحْراءُ
قُبَّةٌ مُتَوَهِّجَةٌ مِنَ اليَباسِ وَالصَّمْتِ
وَالتّاريخُ زُجاجُ الرَّمْلِ فيها
وَأُوارُ الشَّمْسِ...

– ٢ –

أ –

أظَلُّ مُؤْنِسًا
لِلنَّمِرِ الوَحيدِ
في مَغارةِ الصَّدى –
صَوْتي يُعَرّي الفَقْرَ في جُرْحِ الوَطَنْ
وَالفَقْرُ هائِمٌ في وِثْبَةِ الصَّدى،
بَقِيَّةٌ مِنَ الصَّدى...
بَقِيَّةٌ مِنَ الرَّمادِ وَالكَفَنْ.

ب –

وَحْدي في المغارَةِ كَالرّيحِ أَرْسُمُ بَيْني وَبَيْني خارِطَةَ
الوُجودِ وَأَسْكُنُ الهَباءَ المَنْثورَ.
وَحْدي
حينَ تَكونُ القُبَّةُ الكَوْكَبِيَّةُ
فارِغةً إِلّا مِنْ ذاتِها
وَإِلّا مِنْ ضَجيجِ الصَّمْتِ الماطِرِ،
وَحْدي...

– ٣ –

أ –

أَظَلُّ مُؤْنِسًا لِأَنْجُمِ اللَيالي
تَسْحَبُني في تيهِها،
تَقْرَأُني،
تَجْعَلُني في شالِها لَآلي
وَحينَ تَقْفِزُ الأَشْياءُ مِنْ إِلْفَتِها
أَصيرُ إِلْفَةَ الأَشْياءِ
أَوْ تَنْهيدَةَ المحالِ...

ب –

المطَرُ قاماتٌ مِنَ الأَشْجارِ الرّاقِصاتِ/
كانَتْ عُيونُ الأَشْياءِ بُحَيْرَةً مِنَ البَريقِ أَخْرَجْتُ
مِنْها السَّمَكَ وَالصَّدَفَ وَاللُّؤْلُؤَ
وَأَخْرَجْتُ ذاتي/
صِرْتُ بُحَيْرَةً لِلْأَشْياءِ
تَغْتَسِلُ فِيَّ/ أَغْتَسِلُ فيها
وَنَتَزاوَجُ تَحْتَ لِحافِ الفَقْرِ
وَفي أَناشيدِ الغِنى الماكِرِ...

المطَرُ وَجْهي
وَالمطَرُ حُقولُ الشِّعرِ في ذاتيَ المخْصِبَةِ.

٩ – أبو الشَّمَقْمَق

– ١ –

أ –

بَيْتٌ مِنَ العَرَقِ الصَّبيبِ عَلى جِراحاتِ المدى/
وَطَنٌ كَأَنَّ عُيُونَهُ أَلَمٌ مِنَ التّاريخِ.
عَيْني كُوَّةٌ مَحْشُوَّةٌ بِالفَقْرِ،
وَالجوعُ العَريقْ
مُتَكَدِّسٌ في كُلِّ زاوِيَةٍ
عَلى أَلَقِ البَريقْ.
وَطَنٌ مِنَ الحِرْمانِ يَخْفُقُ في المدى.
أَلصَّبْرُ يَذْروهُ ضَبابًا
في مَتاهاتِ الصَّدى

ب —

اللَيْلُ في أَلَقِ البُكاءِ صَفْحَةٌ مَفْتوحَةٌ عَلى الصَّمْتِ الأَخيرِ وَالأَرْضُ مِطْرَقَةٌ مِنَ الصَّمْتِ/ كُنْتُ وَجْهًا يَنْبُتُ مِنْ صُدوعِ الثَّرى كَالفِطْرِ وَسِوايَ مِمَّنْ هاموا عَلى وُجوهِهِمْ في جَنّاتِ الفَقْرِ/ كُنْتُ صَبْرًا يَعْرَقُ في بَراري الجوعِ مُفَتِّشًا عن ذاتِه حَيْثُ لا ذَواتَ وَلا آتٍ وَلا أَمَلَ/ كُنْتُ آخِرَ الوُجوهِ في بُكائِيَّةِ الوَطَنِ/ السَّرابُ ٱرْتَقَبَ الفَرَحَ الآتيَ وَلا فَرَحَ.

- ٢ -

أ —

يُصادِقُني الطِّوى، فَكَأَنَّ ظِلًّا
لِجِسْمي، أَوْ خَليلًا مِنْ صِحابي؛
يُنادِمُني، وَيَأْكُلُ مِنْ طَعامي —
وَقُوتي الجوعُ في وَطَنٍ عُجابِ،
"وَمَنْزِلِيَ الفَضاءُ، وَسَقْفُ بَيتي
سَماءُ اللهِ، أَوْ قِطَعُ السَّحابِ.
فَأَنْتَ إِذا أَرَدْتَ دَخَلْتَ بَيْتي
عَلَيَّ مُسَلِّمًا مِنْ غَيْرِ بابِ..."
فَيا وَطَنًا كَهَذا البَيْتِ يَزْهو
بِلا بابٍ، وَيَرْفُلُ كَالذُّبابِ!

ب –

وَطَنٌ مَفْتوحٌ بِلا حُدودٍ عَلى اللَيْلِ، وَاللَيْلُ يَدْخُلُه مِنْ كُلِّ مَكانٍ/ بَيْتُنا كَهَذا الوَطَنِ القاسي، وَسَقْفُنا النُّجومُ تَلْمَعُ فيها الدُّموعُ.

وَجْهُنا كُلُّ وَجْهٍ بِلا مَلامِحَ في المدى المَرْكومِ كَالفَراغِ/ وَجْهُنا الطَّعْنَةُ بَيْنَ الجُرْحِ وَالجُرْحِ/

أَيُّها الوَطَنُ البَعيدُ كَالسَّرابِ

المُمْتَلِئُ كَالطَّبْلِ أَوْ كَالقَشِّ،

كُنْ لَنا المَذْبَحَ وَالذَّبيحَةَ،

كُنْ لَنا ذاتَنا.

– ٣ –

أ –

بَقِيَّةٌ مِنَ الزَّمانِ هاجَرَتْ
عَلى مَراكِبِ الدُّموعِ وَالضَّجَرْ –
بَقِيَّةٌ مِنَ السَّفَرْ...

عَيْنايَ قاموسٌ مِنَ الحَنينِ في حُروفِهِ يَسْتَيْقِظُ الشِّعْرُ،
وَعَيْنايَ القَصيدُ، وَالمدى مِساحَةُ الأَوْراقِ وَالكِتابَهْ
بَقِيَّةٌ مِنَ الزَّمانِ هاجَرَتْ/ تَلاشَتِ القَرابَهْ
بَيْنَ المدى وَبَيْني –
كَأَنَّني عَزْفٌ عَلى رَبابَهْ
أَوْ قُبَّلَةٌ وارِفَةٌ تَهْطُلُ كَالمطَرْ،
كَأَنَّني الرَّعْدُ يَشُقُّ قَصْفُهُ تُرابَهْ،
كَأَنَّني القَدَرْ...

ب —

يَنْفَجِرُ الصَّمْتُ

يَنْداحُ كَالحُمَمِ عَلى الأَشْياءِ

كُلُّ ما في الوَطَنِ يَلْتَئِمُ وَطَنًا وَالتُّرابُ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ عَلى الطَّبيعةِ يُخْصِبُهُ المطَرُ يُخصِبُهُ البَرْقُ وَالرَّعْدُ

كُلُّ ما كانَ لَنا لَيْسَ لَنا.

كُلُّ ما كانَ فينا لَيْسَ فينا.

١٠ – ابن حمدي

– ١ –

وَجْهي عَلى المدى
قَصيدَةٌ طَرَّزَها الحِرْمانُ وَالتَّعَبْ
وَقُبْلَةٌ تَخْرُجُ مِنْ حَشاشَةِ السَّغَبْ.
وَجْهي حَصيرُهُ الجِهاتُ وَالصَّدى
وَكُلُّ دَمْعَةٍ أَسيرَةٍ
يَذْرُفُها الجِياعُ حينَ يَهْتُفُ الرَّدى.
وَجْهي مَدينَةٌ
مِنَ الذُّهولِ وَالغَضَبْ...

– ٢ –

في الخاتَمِ السِّحْرِيِّ،
عِنْدَما تُفَتِّحُ النُّجومْ

عَيونُها،
وَيَسْكُنُ الدُّجى في كُوَّةٍ،
أَحْلُمُ أَنَّ وَطَنًا
يولَدُ مِنْ عَباءةِ الهُمومْ
نَهارُهُ وَلَيْلُهُ في القَلْبِ زَوْرَقانِ،
مَدارُهُ عَلى عَيْنَيَّ فَوْحُ مَهرَجانِ...
أَحْلُمُ أنَّ إِخْوَتي البَشَرْ
تَزْرَعُ حَقْلَها أَماني،
وَأَنَّ ما ٱرْتَمى في القَلْبِ
مِنْ بَقِيَّةِ الذُّهولِ وَالضَّجَرْ
يَمُرُّ كَالغُيومِ
في سَفينَةِ السَّفَرْ...

– ٣ –

كانَ في الحَقْلِ الَّذي زَنَّرَهُ

طِيبٌ وَعيدانُ بَخورْ
أَمَلٌ قاسٍ كَأَهْدابِ الضِّياءْ —
أَيُّ ضَوْءٍ حاصَرَ الرُؤْيا
فَما عادَتْ تَحورْ؟!
أَيُّ وَجْهٍ صارَ وَجْهي؟

أَيُّها الخارِجُ مِنْ أَعْماقِنا
رُؤْيا بَهِيَّهْ،
ما أَشَدَّ الفَرَحَ الآنَ،
وَما أَضْيَقَ حَرْفَ الأَبْجَدِيَّهْ!

نشيد الفقراء

(أو النشيد الأحمر)

- ١ -

يَمْشي الفُقَراءُ عَلى وَجْهِ الوَطَنِ المصْفَرِّ كَأَوْراقِ الدُّلْبِ/ كَأَنَّ الماءَ يَغورُ بِأَطْباقِ الرَّمْلِ/ عَلى الأَقْدامِ مَدًى يَتَناثَرُ بَيْنَ أَناشيدِ الزَّمَنِ المكْسورِ، وَفي شُبّاكِ الوَقْتِ أَناشيدٌ يابِسَةٌ:

١ – صَوْتٌ لِلْفَرَحَ المسْكونِ عَلى جُمْجُمَةِ الرُّعُبِ،

٢ – صَوْتٌ لِبَقايا الوَطَنِ المتَكَوِّمِ في رَجْعِ صَدًى،

٣ – صَوْتٌ لِلصَمْتِ يُجَمِّعُ كُلَّ مَلامِحِهِ في قَصْفِ الغَضَبِ...

يَمْشي الفُقَراءُ، وَلَكِنَّ التيهَ يَمُطُّ الدَّرْبَ، وَفي الحَلْقِ فَراغٌ،

في الخَطَواتِ فَراغٌ،

في الحَرَكاتِ فَراغٌ...

يَمْشي الفُقَراءُ إِلى الوَطَنِ المتَقَلِّبِ كَالمِفْتاحِ، وَلَكِنَّ الدُّنْيا في الدّائِرَةِ الصَّمّاءِ. يَمُرُّ عَلى أَوْجُهِنا/ كُلُّ البَرْقِ فَراغٌ، وَالأَمْطارُ عَويلٌ يَتَناثَرُ كَالفَحْمِ عَلى أَوْجُهِنا.

جُعْنا/

كانَ المَوْتُ غِذاءً.

جُعْنا/

كانَ الكُفْرُ قِناعًا يُغْوي أَحْلامَ الوَطَنِ المذْبوحِ.

مَشَيْنا/

كانَ التّيهُ طَريقًا نَحْوَ التّيهِ – مَرَرْنا. لَكِنّا لَمْ نَلْمَحْ في أَطْباقِ اللَيْلِ المتَناسِلِ غَيْرَ الذّاكِرَةِ المثْقوبَةِ وَالزَّمَنِ المكْسورِ/ مَشَيْنا:

كانَ الوَطَنُ

بُرَكًا مِنْ كِلْسٍ، وَعُروشًا جَمَّعَها زَمَنٌ عَفِنُ.

كانَ الوَطَنُ

مَمدودًا تَحْتَ الأَقْدامِ كَصَحْراءِ رِمالٍ تَقْتَحِمُ العَيْنَيْنِ، وَتَزْني في القَلْبِ،

وَكانَ الوَطَنُ

يَتَجَمَّعُ في عَرْشٍ مَمْسوخٍ

رُقَعًا مِنْ بَشَرٍ طَرَّزَها الكَفَنُ.

كانَ التّيهُ طريقًا نحوَ التّيهِ، وَأَقْدامُ الفُقَراءِ يُغاويها الزَّمَنُ المَثْقوبُ عَلى عَصْرٍ مَهْدومٍ. كُلُّ العَطَشِ المَتَجَمِّعِ في القَلْبِ مَمالِكُ لا تَلْقى ضَوْءًا. كُلُّ المَوْتى تَتَجَمَّعُ بَيْنَ الأَقْدامِ كَأَوْراقِ الدُّلْبِ اليابِسِ/ كانَ القَلْبُ اليابِسُ فاتِحَةَ السَّفَرِ المَسْبوكِ بِهَسْهَسَةِ اليَبَسِ الفارِغِ إِلّا مِنْ شَجَنِ السَّحَرِ القاسي.

وَطَنٌ كَالزِّئْبَقِ يَنْسى كُلَّ مَلامِحِهِ
وَيُحاصِرُهُ آلٌ كَبَرِيقِ الأَلْماسِ.
وَطَنٌ يَتَجَمَّعُ في حَبّاتِ الرَّمْلِ، وَمَمْلَكَةُ الفُقَراءْ
وَعْدٌ مَنْسِيٌّ في ظُلُماتِ اللَيْلِ الرّاسي
وَطِباعُ الذُلِّ المَتَرامي فَوْقَ عُروشِ الوَطَنِ الخَرْساءْ!

- ٢ -

أَلْوَقْتُ غُرابٌ يَنْعَقُ فَوْقَ الأَطْلالْ.
زَمَنٌ مَنْسِيٌّ، وَعَناقيدُ الصَّمْتِ دَوالٍ تَحْتَ الحُزْنِ المَكْسورِ/ هُنا أَحْلامُ الرَّمْلِ تَكَدَّسُ فَوْقَ بَقايانا تيهًا... وَرِمالًا مِنْ تيهٍ/ زَمَنٌ تيهٌ يَتَحَجَّرُ كَالأَحْلامِ، وَلَكِنَّ الفُقَراءَ بَساتينُ النُّورِ وَشَلاّلُ الفَجْرِ المَتَدَفِّقُ مِنْ طَعْنَةِ

"قانا" وَدُموعِ المهْزومينَ عَلى مَلَكوتِ الخَوْفِ/ بَقايا الصَّبْرِ المنْهوكِ تَمُرُّ عَلى جَسَدي وَدَمي أَرْغِفةُ الآمالِ —

دَمي دَمُهُمْ،

وَمَدايَ اللُّغَةُ الحَمْراءُ تُغَنّي في زَوْبَعَةِ الخَلْقِ. مَدايَ الرَّعْدُ المفْتوحُ عَلى حَنْجَرَةِ الآتي كَالشَّلّالِ. مَدايَ البَرْقُ يَقُضُّ العَرْشَ لِأَجْلِ الفُقَراءِ الآتينَ مِنَ النُّورِ. مَدايَ دَمي، وَدَمي كُلُّ هَديرِ الكَوْنِ إِذا سَحَقَ الكَوْنُ طَواغيتَ الزَّمَنِ المكْسورْ.

مِنْ أَجْلِكِ، يا مَمْلَكَةَ الفُقَراءِ، يُبَرْعِمُ صَوْتُ النّورْ،

مِنْ أَجْلِكِ، يا مَمْلَكَةَ الفُقَراءِ، يُهيلُ الضَّوْءُ تَرانيمَ الأَبَدِيَّهْ —

يَلْتَمُّ بِبَرْقِ دَمي بَشَرٌ وَنُشورْ،

يَلْتَمُّ بِبَرْقِ دَمي نورٌ وَنُشورْ:

ما أَعْظَمَ صَوْتَ الخَلْقِ عَلى أَنْقاضِ العَرْشِ المَرْمِيَّهْ!

فهرس المحتويات

أصداء وألوان ص ١

القصيدة ١ ص ٣

القصيدة ٢ ص ١٣

صديق ص ٢٥

مرآة لجليل حيدر ص ٣٥

الغائب (أو قصيدة نورمان دياب) ص ٣٧

باب الحلم ص ٤٥

زهر الغائب (أو قصيدة جورج غانم) ص ٥٥

كتاب الوقت ص ٦٣

مريميتان

مريم ص ٧٣

كتاب مريم ص ٧٥

الصحراء ص ٨١

مزامير الصحراء ص ٨٣

قصيدة الصحراء ص ١٠١

القصائد الضائعة ص ١٤٣

مطر ١	ص ١٤٥
القصيدة	ص ١٤٦
أبي	ص ١٤٧
الوحي	ص ١٤٩
فراق	ص ١٥٠
غيم	ص ١٥٢
المعاتِبَة	ص ١٥٣
صديق	ص ١٥٤
أنا	ص ١٥٦
الكتابة	ص ١٥٨
عصافير	ص ١٥٩
عيون	ص ١٦٠
صفحة ببيضاء	ص ١٦١
ليل	ص ١٦٢
طفل أبيض	ص ١٦٣
انتحار	ص ١٦٤
فانتازيا	ص ١٦٦
حرب	ص ١٦٨

مال	ص ١٦٩
كلام	ص ١٧١
زيارة	ص ١٧٣
خلق من عدم	ص ١٧٥
القصيدة الأولى	ص ١٧٦
كون	ص ١٧٧
رحيل	ص ١٧٩
مطر ٢	ص ١٨٠
هَمْس	ص ١٨١
راحة	ص ١٨٢
صَيد	ص ١٨٣
خلود	ص ١٨٤
بيت الله	ص ١٨٥
حضور	ص ١٨٨
أمي	ص ١٩٠
كوّة	ص ١٩٢
مَنْظَر	ص ١٩٣
أغنية	ص ١٩٤

كَنيسة	ص ١٩٥
معركة	ص ١٩٦
ضدّ المألوف	ص ١٩٧
ثَمَر	ص ١٩٨
شَوْق	ص ٢٠٠
سرقة	ص ٢٠١
خَلْق جديد	ص ٢٠٢
الشُّهداء	ص ٢٠٥
شَلّال	ص ٢٠٦
حَديقة	ص ٢٠٧
نجوم	ص ٢٠٨
عَصَب	ص ٢٠٩
سَراب	ص ٢١٠
قراءة	ص ٢١١
مِرْآة	ص ٢١٢
أُسرة	ص ٢١٤
جسد	ص ٢١٦
لصّ	ص ٢١٧

قطار	ص ٢١٨
العالم	ص ٢١٩
الأفكار	ص ٢٢١
صلاة	ص ٢٢٢
قصيدتي	ص ٢٢٤
باب	ص ٢٢٥
مِمْحاة	ص ٢٢٦
قطرة ماء	ص ٢٢٧
قِدّيس	ص ٢٣٠
نَوم	ص ٢٣١
ضوء أخضر	ص ٢٣٢
شِعْر	ص ٢٣٣
طفل طائش	ص ١٣٤
وطني	ص ٢٣٦
تكوين	ص ٢٣٨
تَكرار	ص ٢٤١
كلامٌ زائر	ص ٢٤٢
جِراح	ص ٢٤٤

قَمَر	ص ٢٤٥
ورقة	ص ٢٤٦
شَجَر	ص ٢٤٧
سراج	ص ٢٤٩
غياب	ص ٢٥٠
إرهابيّون	ص ٢٥٢
فلّاح	ص ٢٥٤
عُمْر ١	ص ٢٥٦
يسوع	ص ٢٥٧
دم	ص ٢٦٠
أخضر	ص ٢٦٢
عُمْر ٢	ص ٢٦٣
جدّتي	ص ٢٦٤
طِفل	ص ٢٦٦
لُغَتي	ص ٢٦٨
قصيدة الغابة	ص ٢٧٠
قصيدة	ص ٢٧١
وجه	ص ٢٧٤

كتاب الأناشيد ص ٢٧٧
السندباد يعود إلى خرائب بيروت ص ٢٧٩
قصيدة خليل حاوي (أو سمفونية الغضب) ص ٢٨٣
برج العار (أو قصيدة إسرائيل) ص ٣٠١
الكهف (أو نشيد الظلام) ص ٣١٥
جسر النار (أو قصيدة رفيق الحريري) ص ٣٢٧
قصيدة جبران التويني (أو سمفونيّة الشهادة) ص ٣٤١
النشيد البرتقاليّ (أو قصيدة العماد عون) ص ٣٥٣
باب جهنّم ص ٣٦٥
زهرة الدم (أو قصيدة بيار الجميّل) ص ٣٧٧
نشيد النّضال (أو قصيدة محمود درويش) ص ٣٨٧
قصيدة غزّة ص ٤٠١
قصيدة قانا (أو نشيد العروبة) ص ٤١٣
أرض الغضب (أو قصيدةسميح القاسم) ص ٤٢٧
الآتي من الحلم ص ٤٣٥
مملكة الفقراء ص ٤٤٥
١ – الطقس الأول
١ — الليل ص ٤٤٧

٢ – الحجر ص ٤٤٨
٣ – الرمل ص ٤٥٠
٤ – الكفن ص ٤٥٢
٢ – الطقس الثاني
١ – شيء ص ٤٥٤
٢ – شيء ص ٤٥٥
٣ – شيء ص ٤٥٥
٣ – الطقس الثالث
١ – رقعة ص ٤٥٧
٢ – رقعة ص ٤٥٩
٣ – رقعة ص ٤٥٩
٤ – رقعة ص ٤٦٠
٤ – الطقس الرابع
١ – أنشودة ص ٤٦٢
٢ – أنشودة ص ٤٦٣
٣ – أنشودة ص ٤٦٣
٥ – الطقس الخامس
١ – صلاة ص ٤٦٥

٢ – صلاة ص ٤٦٥
أناشيد الفقراء ص ٤٦٧
١ – السليك بن السلكة ص ٤٦٩
٢ – الشنفرى ص ٤٧٧
٣ – عنترة بن شداد ص ٤٨٧
٤ – عروة بن الورد ص ٤٩٥
٥ – محمد ص ٥٠١
٦ – جميل بن معمر ص ٥٠٩
٧ – مالك بن الريَب ص ٥١٦
٨ – القتّال الكلابيّ ص ٥٢٣
٩ – أبو الشمقمق ص ٥٢٩
١٠ – ابن حمدي ص ٥٣٥
نشيد الفقراء (أو النشيد الأحمر) ص ٥٣٩